



ST. AUGUSTINE
FLA.

ST. AUGUSTINE
FLA.
51084









مؤلفات الجمعية الفيلسفية المصرية

بشرط مؤلفها، الدكتور محمد عبد الوهاب، رئيس الجمعية - والدكتور عثمان أمين، مستنيرها العام

التنبؤ بالغيب

عند مفكرى الاسلام

تأليف

الدكتور توفيق الطويل

مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

١٩٦١ - ١٩٦٥ م

مكتبة شواليم والفكر العربي
دار لحيات الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه



١٥
Tawfiq, al-Tawfiq.

مؤلفات الجمعية الفيلسوفية المصرية
بمقر على مدرستها، الدكتور محمد الزمراني، رئيس الجمعية - والدكتور عثمان أمين، مكنونها العام

التنبؤ بالغيب عند مفكرى الاسلام

تأليف

الدكتور توفيق الطويل

مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأولى

١٩٣٦ - ١٩٤٥ م

مكتبة الفقه والفكر الاسلامي
دار احياء الكتب العربية
عيسى البستاني الحلبي وشركاه

١٩٤٥

Bullstax

BF

1758

.A7

T39



1589F

30 S 47

مقدمة

ظهر النيل إلى اكتشاف الغيب المحجب ، منذ وُجد على ظهر الأرض إنسان ، لأن مراد هذا النيل إلى طبيعة البشر الزراعية بفطرتها إلى معرفة المجهول - وهي معرفة تواد لذاتها أصلاً ، وإن جرت العادة باتخاذها أداة لخدمة غايات - ومن هنا كان التنبؤ بالغيب ، مثال امتداد التنبؤ في كل زمان ومكان^(١) . وليس يفتق هذا ما يلاحظه البعض من أثر انتشار العلم في إضمار هذا النيل عند الفلاس ، إذ ليس العام في كل مؤرخ ، إلا محاولة ترمي إلى اكتشاف مجهول - واختلاف النتائج وتباين المقاصد ، لا يغير من هذه الحقيقة كثيراً .

وقد أدى تشارك البشر في فطرية التنبؤ نحو إدراك الغيب ، إلى تشابه الكثير

(١) حسب ما روي في بيان ما بين نظري عند أرسطو ، أن يفتق على أمثال :

Bouché — Leclercq, L'Histoire de la Divination dans l'antiquité

تاريخ الأرواح - تم تكملة على جيب لإيمان (باريس ١٩٨٢) ونحوه من السجود الإمبري (باريس ١٩٨٩) وفي بفرانغ - لغز الغيب - Divination - جيبوف برومن وحقيقهم شينرون Cicero

وتدعى إلى لغوية وألفه برمان - المذكور - الأختار - وفي هذا أن يفتق ترجمته مع التعاليم عليها في - وكنت (Dr. Hastings) Encyclopedica of Religion and Ethics art, Divination وقد شارك في وضع هذه - دة - عشرة علماء - دون كل منهم الحديث عن التنبؤ عند الشعب الذي تخصص في درسته - وهذه المصادر تروى من يريد التوسع في هذا الموضوع - بكثرة من المراجع .

من أساليب التنبؤ عند الشعوب في مختلف العصور ، وقد خدعت البعض هذه
الظاهرة ، ففقدوا بأن هذا التشابه في كل حاله ، مرجعه إلى نقل اللاحق عن السابق
وعدوى الثقافات وتزاوج الآراء . واستندوا في هذا إلى انتقال الحضارات والثقافات ،
من شعوب الشرق في ماضيہ الحقيق ، إلى شعوب اليونان والرومان ، وأخذوها
عن هؤلاء وورثت ترثهم إلى المنتم للإسلامي ... والرأي عندنا أن هذا التبادل العقلي
بين الشرق والغرب ، إذا كان له تأثيره في وجود التشابه في بعض فنون التنبؤ ،
فالأرجح أن الكثير من وجوده الأخرى ، مرده إلى وحدة العقل البشري ، وتشابه
امتجابهاته - مع اختلاف الزمان والمكان - كما تشابهت تأثيرات ... بهذا يفسر
جمهرة المحدثين من علماء الاجتماع الكثير من مظاهر التشابه في الحضارات البدائية ،
حتى في بعض الحالات التي ثبت فيها الاتصال بين هذه الشعوب ... (١)

وقد مكنت الأدیان لهذا النيل المعطى عند البشر ، لأنها لا تستقيم بغير الإيمان
بالغيبيات ، وبأن في هذا ما يظير الأدیان في شيء ، وقد أقر الإسلام نفسه العالم بالغيب ،
ورده إلى عالم الغيوب ومن يتنبئه تعالى من رسله وصفوه بأنهم من عباده ،
وعرف العالم الإسلامي صنوف من مدركي الغيب ، بقصد هم الرسل والأنبياء ، وبإمامهم
الأولياء ، وأهل الكتف الصوفي ونحوهم من الصالحين والبهائيين والبرهمن والمعتوهين
من المريدين ، وأصحاب الرقيا الصادقة ، وغيرهم ممن لا يتوسعون إلى إدراك الغيب

(١) إذا كان Elliot Smith من رسل عصر رافى إلى Frazier وغيره ، ورد
الحضارات إلى حيز الغيب وحده - فمعنى الغيب - معناه الغيبية لشعوب : فقد دحض
رأيه بأكس مور ، وبما حده - صريح معجده في دولتي تحت طلي ، وبس لا تنفي كجاشي تلي
وفى عام ١٨٨٨ بين " أورد ولان " A. Wallace و " داروين " Darwin في وجهة
نظر التطورية ، إلا تشابهاً في صفة شعوب ، وسعود إلى ... في آخر فصل في هذا الكتاب

صناعة واكتساباً ، وأولئك هم أهل التنبؤ الطبيعي Natural Divination كما كان يسميه شيشرون Cicero وغيره من القدماء مؤرخيه .

وعرف العلم الإسلامي - مع هؤلاء - صنوفاً من أهل التكهن الصناعي^(١) Artificial Divination الذي يقوم على منطلق العقل ومهارة الصنعة وسعة الخبرة ، وصدق الحدس ونواب الغطاة ودقة الملاحظة ووفرة الذاكرة ، وتعد هذا مما ينبغي أغايه اكتساباً - فلا يفتاح إذا لم تصحبه مهارة تمكن من الخرافات - وهو يشمل الإسلام الكهانة والعرافة والميافة والمجامة والخيارة والفراسة وميتعل بهذه الفنون والاستناد إلى منبع البحث العلمي ، واللاهوت ، فنون النبوة عند تحليل هذه الفنون التي استخدمت لتكشف عن الغيب المحجوب ، يفضي إلى مكس النتيجة التي انعقد عندها رأي جمهور مفكرى الإسلام - فلاسفة وصوفية ورجل شراع... وهذه نقطة سنكشف مقدماتها في الفصول التالية ، ونعود إلى مناقشتها في نهاية هذا البحث .

وحيثما الآن أن نقول إنها حاولت في هذا الكتاب ، أن نوضح وجهات النظر الإسلامية في أشهر أساليب التنبؤ ، وأن نبيح أصولها في القرآن الكريم والقرآن الإسلامي إجمالاً ، ونأخذ في هذا إلى الإشارة إلى ميزته هذه الآراء ، في تراث القدماء من الغربيين والشرقيين على السواء^(٢) ، وإن اضطررنا ضيق المقام في كل حال ،

(١) صمى لهذا صنف شيخنا العلامة العربية ، على ما بين عند غرنجه Artificial (friche)

(٢) كان أكبر علماء في ذلك على كتب شيشرون - كما ذكر - وبعض من صنفه ، جازيب ، Garnier ، فر - ل ، والرب ، Loeb ، الإنجليزية ، و - ب - ، بوش - لوكيرك ، ولم نعد ما يجرى التوسع في ذلك على المقام .

إلى الإيجاز حتى فيما يتطلب الإسهاب . فحسبت أن تشير في أذهان القراء هذه الوجوه من النظر العقلي ، كما تضمنها نواتج الإسلامى ، عسى أن تكون ذاتها من أبحاث العقلية والتنظمية المشتركة .

ولعل من الغالب أن تشير - قبل أن ينتهى من هذه المقدمة - إلى أن هذا الموضوع - فيما يتعلق - أكثر له بطرفه أحد الباحثين من قبل ولا سيما ما اتصل منه بأساليب التكهن الصنعى - إذ استلينا ما عرفته بعض فنونه فى العربية قديما ، من مصنفات أو مقالات فصار - قرا منها ما أدخل - من باب المصنوع - فى فئات البحث العلمى .

وبعد ، فليس يسمى فى ختام هذه الكلمة ، إلا أن حبي الجمعية الداعية المصرية ، ممثلة فى رئيسها الأستاذ الدكتور على عبد الواحد ، شاكرا له ملاحظاته الطيبة على بعض نواحي هذا البحث ...

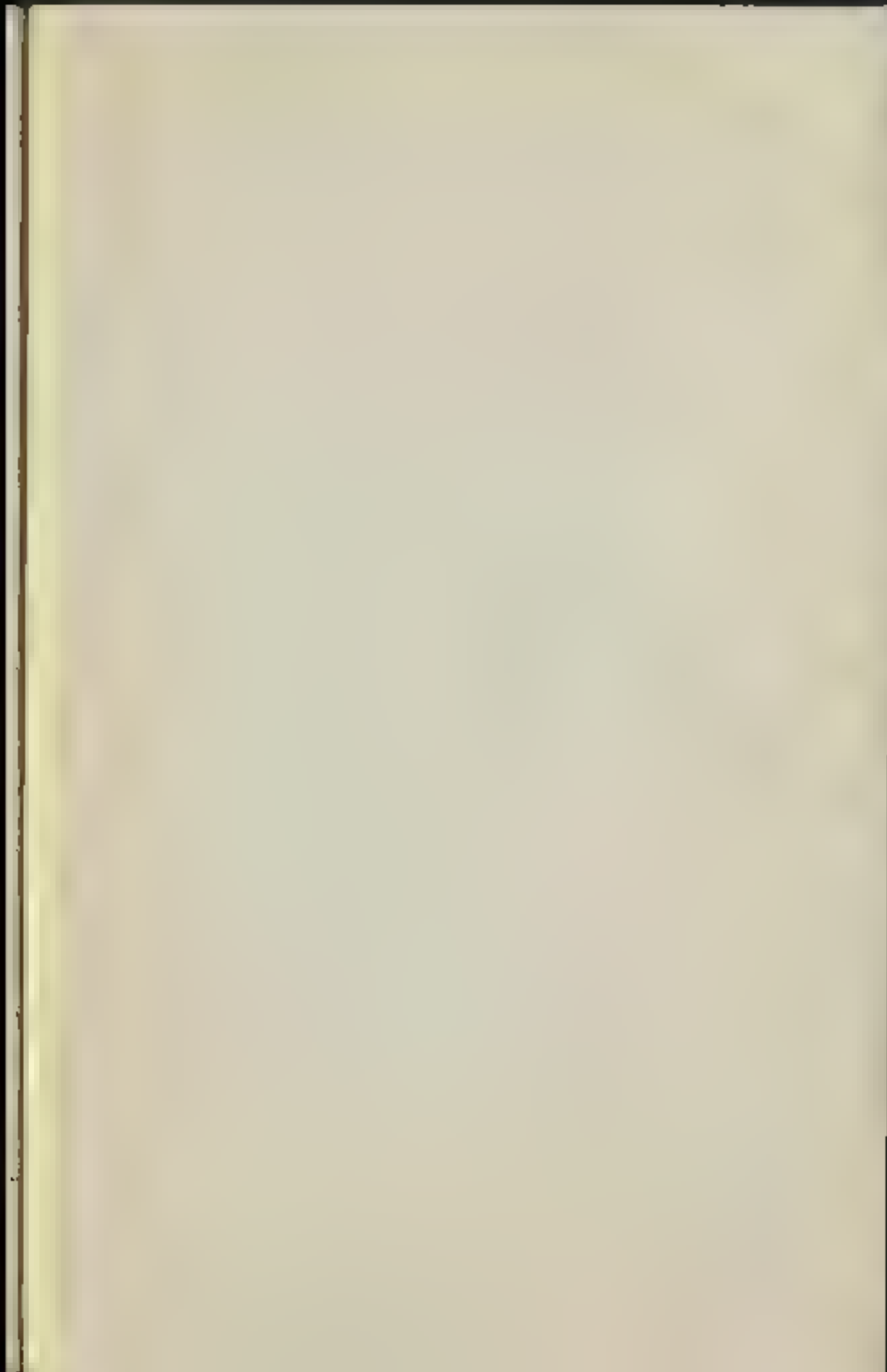
توفيق الطويل

الإسكندرية فى ١٢ شعبان ١٣٦٤ هـ
١٩٤٤ م

الباب الأول

علم الغيب

عند مفكرى الإسلام



علم الغيب

هو الغيب :

الغيب هو الأمر الخفي الذي لا يدركه الحس ، ولا تفحصه بهذه العقل ^(١) ، ويقع العلم به دون مقدمات أو أسباب نقضي إليه ، ومن غير استدلال منطقي ينتهي إلى معرفته ، ودون أن يثبت عنه خبر صادق ^(٢) ، مما يدرك بالتأويل والقياس والنظر ، وبه مجرد ظن ، والظن مع العلم ^(٣) . وعلى هذا يكون العلم بالغيب إما أن يجري أو كلي مغيب عنه ، دون التوصل إلى ذلك مباشرة أو نحوها مما يستند إليه الزجر والتعابر وما إليه ^(٤) .

(١) انظر في كشف معانيه ج ٢ ص ١٠٩ ، ودرر في الأسرار محمد مرشد وجلي أن عبد الله بن محمد بن أبي حمزة ج ١ ص ١٠٩ من الطبعة الأولى ، وإن كان هذا المصنف حتى تصدق بأما قد مضى في شرحه (استاذ في علوم العربية سنة ١٠٥٥ هـ) في كتابه (عنوان حصص من أخبار الإمامين) ص ١٠٩ ، وفي (الأنوار) ص ١٠٩ ، وإن الغيب قد عاب عن الحقيقة ، وعلى ما هو أن العربيتين ليس بينهما تباين ، وإن كان كلاهما غير واف ، خاصة .

(٢) انظر في معانيه ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ ، طبعة نسخة العربية عام ١٩٢٨ م ، وإن خلدون في نسخة ص ١٠١ ، طبعة نسخة حجة تصحيح .

(٣) انظر في كشف معانيه ج ١ ص ٥٣ .

(٤) انظر في شرحه ص ١٠٩ ، وفي (الأنوار) ص ١٠٩ ، وفي (الأنوار) ص ١٠٩ .

علم الغيب لا يجي ، اكتساباً :

ومن أجل هذا ذهب جمهور مفكري الإسلام إلى أن الله وحده علام الغيوب ،
فليس يعرف الغيب أحد من البشر ، لا منجم ولا كاهن ولا نبي من الأنبياء
ولا ملك من الملائكة إلا الله عز وجل ، وذلك لأن معارف المرء لا تتجاوز ثلاثة
مبادئ : أولها ما اتصل بالذات ، وثانيها ما اتصل بالحواس ، وثالثها ما امتد إلى
المستقبل ، ويدرك المرء هذه الآفاق بثلاث طرق : أولها السمع والإخبار ، وثانيها
الإحساس بما هو حاضر موجود ، وثالثها الاستدلال على ما هو كائن في المستقبل -
وهذه الطرق تشمل النجوم والأحرار والأقمار والكهانة والعيافة ، وتتضمن تأويل
الأحلام والنظر في الكف وصرب الحمى والمرافة ونحوها مما يحتاج إلى تعلم ونظر
واعتماد ، وليس هناك من الغيب شيء ، فإما يقع الغيب بالحواس والوحي
والإلهام وهذا لا يعني صناعة ولا اكتساباً^(١) وتوجه المرء بقلبه إلى الله ليكشف له
الغيب ، من صفات أرباب الأحوال ، الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال ، ومن أجل هذا
قل الكشاف عند أكار المصحة وكمال الصالح ، فإليك عن باحثون الغيب
بالتوجه إلى غير الله...^(٢)

(١) الخزانة ، ج ١ ص ١٠٦

(٢) كتاب تنزيه من المكو كذا جعل نحن الجامعة فيما يقول البعض (قارئ جواهر
الكتاب الأنبياء ص ٢٠٥ من جزء ثان من مجلد ثان لحقة كذا كذا بجماعة فؤاد
البرهان ١٩٢١ سنة المكنون في علم الغيب أسرار السلف الإسلامية بكلية كذا بجماعة فؤاد
البرهان)

العلم بالغيب عن صفوة البشر :

الله وحده علام الغيوب ، ولكن استشاره تعالى بالغيب ، ليس معناه في نظر الكثيرين من مفكرى الإسلام ، سلب القدرة على معرفة الغيب عن كافة البشر ، فإن معرفة الغيب هبة من شاء أن يحميه الله من عباده ، أو عقارة يؤتيها صفوة المؤمنين وخاصة الناس ، ممن فطروا على الرجوع عن علم الحس إلى علم الروح ، وآية هذه العقارة أن أهلها إذا توجهوا إلى أعرف الكائنات الغيبية عنهم ، اعترهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالتأوب والتخطف ومصادى الغياب عن الحس ، وبمقتوت هذا تفاوت هذه العقارة عند أهلها ، ومن لم تهيه له هذه الآية فليس من إدراك الغيب فى شىء ، وإنما هو ساع فى تنفيق كذبه^(١) وشبه هذا ما يقع لأصحاب الوحي من الأسماء ، إذ يدركهم غيبة عن الحاضرين معهم ، يسحبها غطيطا كثيرا غشى أو باغما ، فى رأى الدين ، وليست منهم فى شىء ، ولكنهم فى حقيقة الأمر استغرق فى لقاء الذات الروحاني ، بما تهيه لهم من إدراك خارج عن نطاق البشر ، خلافا ، ومن أجل هذا اتهمهم أهل الشرك بأن لهم رؤيا أو ناعما من الجن ، ولو لم يلتبس عليهم مشهوده من ظاهرات الأحوال ، لعمرو أن ذلك وحي من الله^(٢) .

ويقول « لين » E. W. Lane فى معرض حديثه عن أهل الترك من الأولياء :
جرت العادة أن يقال إن الولي يعرف ما يخفى على غيره من البشر ، إذ يهبه الله القدرة على إدراك أسرار من الغيب ، تغضى ولايته العلم بها ، وبذلك يطلع على ما لا يكون فى

(١) ابن خلدون ، مقدمة ص ٩٨ - ٩٩ ، ١٠٢ .

(٢) المصدر نائف ص ٨٠ .

مقتول الإدراك الحسى ، وهذا يناقض - فيه بقول "الذين" - تناقضا صريحا ما يقرره القرآن الكريم فى عدة مواضع ، من أن حجاب الغيب الذى تقصر الخواص عن إدراكه ، لا يرفع تغير الله . ولكن ، الذين قلنا تساورهم الخيرة فى مناقشة موضوع ، فهم يدعون على أن الآيات القرآنية فى هذا الصدد ، تتضمن الحديث عن العلم بالغيب بمعنى المطلق ، ويرون أن قد ذهب أولاء ، هذا العلم متى أراد ذلك ^(١) وسنعود إلى مناقشة ماير ، الأستاذ "الذين" تناقضا بين موقف القرآن وموقف محدثه من المسلمين .

هذا ما يقع للأيقاظ من مدركي الغيب . أما البياض فقد يوحى الله إليهم رؤيا صادقة يطالعهم فيها على غيبه ، ويرون مكيولته دون أن يحرجوا عن حوائج الطبيعية فى كثير أو قليل .

ومن هذا ترى أن الله وإن استأثر بعلم الغيب ، فإنه قد يهب رسوله القدرة على إدراك بعض لواحيه ، فيكون إدراكهم من حقائق النبوة ، وهى لا تجس .

أكتأبنا ، وقد بقوى بعض المتأخرين من أتباع هؤلاء الرسل ، على الإشراف على عالمه بانكشاف الحجاب وإدراك شئ من تلك الأنوار ، ودون هؤلاء ، أمرنا وربما كان لهم من سلامة الفطرة أو معالجة النفس بأنواع الرياضة أو طرد مرض يصرف قوى النفس عن الاهتمام بشهوات الجسد أو نحو ذلك ، فيدركون شيئا من عالم الغيب أحيانا ^(٢) .

هذا هو الاتجاه الذى عند مفكرى الإسلام ، وإن كنت ستمرض فى ختام هذا

(1) E.W. Lane, The Manners and customs of the Modern Egyptians.

(٢) السيد رشيد رضا ، الوحي المحمدي ص ١٦٥ وتفضيله فى جزء التفسير السابع (٥)

ص ٤٢١ ، ٤٥٦ ، ٤٦٩ ومنه فى الجزء التاسع ص ٤١٣

البحث ، إلى بيان شيء من وجوه الخلاف بين المفكرين في تأييد الكهن الصنمى أو إنكاره ، مقدرين بأن التأييد لا يحاو من التأثير بالاتجاهات الهيكلية القديمة ، وأن الإنكار مرجعه إلى الروح الدينية الإسلامية .

عند إدراك الغيب في نظر مفكرى الإسلام :

ومرد القدرة على إدراك الغيب - في نظر هؤلاء المفكرين - إلى ذهاب الحس وزوال حجاباته ، وقد بنينا هذا لبعض الذين والرمي والقتل وانعوتهم من المريدن ، ومن إلهام ممن ينهيا لهم التصرف في ألواح عن موارد الحس ، ونجود النفس عن علائق الدنيا ، واشغافها عن التفكير العقلى ، ومن هنا وقع الغيب لهؤلاء ، ولئن حاولون أن يتصوروا بأضواء مونا متاعية ، بقول كافة قوهم الدينية ، ويعيدوا آثارها التي تناولت بهذا النفس^(١) ، ليس يمنع النفس من تعقل الإدراك الغيبية إلا انغماسها في البدن والحواس وشوائبها ، فإن الحواس بما فطرت عليه من إدراك حسي «مخفى» ، تجذب النفس إلى الظاهر دونها ، ولكن النفس إذ انغمست من الظاهر إلى الباطن ، ارفع حجاب الحس لحظة ، تتطاع فيها النفس إلى الذوات التي فوقها في الملاء الأعلى ، لما بين أقدارهم من وحوه لا اتصال ، وفي هذه الذوات صور انوحدات لأنها إدراك محض وعقول بالفعل ، فتقتبس النفس منها علما ومعرفة^(٢) ، ومن أجل هذا جاز وقوع المسلم بالغيب ، لمن استطاعوا أن يزيلوا حجاب الحس في بقطة أو مقام ، أليس في النوم زوال حجاب الحس^(٣) ؟

(١) ابن خلدون ، مقدمة ص ٩٥

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٢ - ٩٣ و ٢١٥ - ٢١٦

(٣) وهكذا أخرج جملة مفكرى الإسلام من مركز حجب ، مدعية من أهل انرافة والنجامة ، ومادة وخفية وسحر ونحوه .

اتجاهات التفكير في قبر الوحي والألزام :

والإسلام - كغيره من الديانات - لا يستقيم دون الاعتقاد في صحة الوحي والإلزام ، ولهذا كان لابد منكريه من أن يعرفوا المفسر الوحي تفسيراً عقلياً بدحض مفتريات منكريه ، أو يحدد تياره ، على أقل تقدير ، وقد اختلفت وجهات النظر في مسائلها ونقائصها ، ولكنها اتفقت في أصولها والتفت عند تأييده ، وحسبنا الآن أن نشير موجزين إلى هذه الاتجاهات :

الاتجاه الفلسفي في تفسيره :

فإنما الفلاسفة فقد ذهب جمهورهم في تأويله إلى ترفن العقل البشري في مراتب الإدراك ، حتى إذا أعزته النيفس والإلزام ، وأصبح - عقلاً مستفاداً - اتصل بالعقل الفعال الذي يربط بين العالم العلوي والعالم السفلي ، وعند وقوع هذا الاتصال يتقبل المرء قبض الأوزار الإلهية ، وتكشف له مكنونات القيد المحجب ، وقد يقع هذا الاتصال بالتأمل العقلي المحكم ، وبإثابة القوية مع هذا التأمل الأنياء والواصلين من الأولياء ، فتوحي عند فلاسفة الإسلام اتصال النفوس الماطفة بقول الأفلاك ونفوسها اتصالاً معنوياً يمكنها من الاطلاع على ما يتضمنه من مسود الحوادث التي ترسم في النفس البشرية ، كما يحدث إذا أخذت مرآة أخرى فيها نقوش تنعكس إلى الأولى كما يقول ابن حينا في إشاراته .

الاتجاه الصوفي في تفسيره :

وقد نشعت وجهات الصوفية في نظرهم إلى ذلك ، فمنهم من تعاون عنده الاتصال الفاسفي إلى اتحاد ترتبط فيه النفس البشرية بالروح المقدسة - أي العقل الفعال في لغة الفلاسفة - مد تجردها من علائق الحس وشهوات الجسم ونحوها بما أبان عنه السهروردي وأتباعه من الإشرافيين من الصوفية ، ومنهم من رفض الاتصال الفاسفي والاتحاد الصوفي السائب - كما نرى - وذلك بأن لإلهام الذي يفيض عنه العلم اللدني ، مصدر عن الله دون وسيط ، ومردة إلى قطرة النفس وهيئتها له من غير معلم ، فإن النفس مهيأة بطبيعتها لاستقبال الوحي والإلهام الإلهي متى تجردت من علائق حسها ، بتقديم اتحادها ونحو الصفات المدبورة وطمع العلائق كآباء والإقبال كذلك المعية على الله مع الخروج والمهر ونحوه - حتى يرفع حجاب الحس المرسل بين القاب والناوح ، وتطامع النفس حواهر - سكوت وتكشف لها مكونات الغيب .

وليس بمغيبا اختلاف الصوفية في التفاصيل ، بقدر ما تعدد النتيجة التي انتهى إليها ، وهي نتيجة سلم بها بعض الخفايا من أهل السنة ، قدس سبوا انتصارين من الصوفية المبداء . وهكذا يتفق صوفية لإسلام مع فلاسفته - في يقول معالي أستاذنا مصفاي بلنا عند الرازي - على اعتبار الوحي شرفا من النفس الإنسانية على حقائق الكون المبنية في عالم فوق عالم ، ولكن بين مذهب الصوفية ومذهب الفلاسفة فروقا ، لأن العالم العلي عند الفلاسفة - عقول مجردة ونفوس هي عقول الأفلاك ونفوسها ، ومصور لأشياء منقوشة في بحكم أنما مصادر لها وأسباب توجودها ، وبحكم أنما مجردة بطبيعتها ودراسة ، أما العالم العلي - عند الصوفية - تندي بفيض منه

الوحي والإلهام ، فهو الوحي محفوظ ككتب الله فيه التوجه الذي أراد ، ما كان وما يكون ، وملائكته هم أحياء من نور ذوق نفوس كريمة لما اطلعوا على ما في الوحي ، وهي أيضا ألواح ، خطت فيها صنوف من العلم الإلهي ، وما الوحي إلا أن يتلقى النبي من الله شرائع إلهية مع شهود نكت وسرر خطية ، إذ لا يجتمع بين شهود ذلك وسماع خطائه إلا لأتبياء ، ثم الولي فيه إن سمع صوتاً فهو لا يرى صاحبه ، وإن رأى الملك لا يسمعه كلاماً - كما جاء في كتب السالكين الأحرار .

وهنا خلاف أن الفلاسفة عسروا النصوص الدينية بما يوافق ما استقر عندهم ،
من قدام الـكون وتثبيت العوائق الدينية ، وعيوبها ، فليس يعتمدون إلا ما كان ورد
مكرها على لسان الشارع ، فمروا عن العقول الصاعدة ، والنصوص الفلكية التي ثبتتها
فلسفتهم ، ويؤيدون النصوص الدينية بما يتفق مع أغراضهم ، أما التصوفية فيهم
يعتمدون أولا على النصوص الدينية ، ويعدلون ما منع عنهم من أن يشيروا ببعضها
ويؤيدوا بين ملوهم التطرف بها ، فمعتزلون إلى أن يكونوا في مدارج الفلسفة ، وإلى
ما يسمونه ذوقا ففصر عنه المبرد ، وبذلك المارفون ، فليس أقل منه ما في التوفيل ،
وأقل وضوحا في بقول معتزل البشار ، وقد كان رأي الفلاسفة يظهر في عصر
النهوض ، كما يظهر رأي المتكلمين في عهد التركود ، ومذهب المحدثين من أمثال
محمد عبده ، إنا هو مذهب الفلاسفة قد طرأت حواشيه مذاهب المتكلمين ^(١) .

(١) من مذهبنا أن الله عز وجل خلق آدم من طين مطبوخة بالريحانة ، وخلق نوحا من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق هودا من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق إسماعيل من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق إسحاق من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق يوسف من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق موسى من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق داود من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق سليمان من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق عيسى من طين مطبوخة بالزبد ، وخلق محمد من طين مطبوخة بالزبد .

منابع هذه الأفكار :

إن الاعتقاد في علم الغيب والقُدرة على التنبؤ ومجده ، أعرق في القدم من النظر العقلي عند بني البشر ، لأن الناس لم يفتقدوا إليه ينطلق عقولهم ، بل يوحى عليهم وهم وهدى سمورهم ، وليس بعزيب لأن أنه يؤرخ هذا الاعتقاد ، ولكن كما سيجادل أن نورد الأمثلة التي قوت فيه إلى منابع التي صدرت عنها ، وما دامت تصدر أفكار إسلامي ، فإن من سداد الرأي أنها نتيجة هذا البحث عن أصوله خارج الإسلام ، حتى إذا عر الاعتدال إلى جذوره في السابق ليرى أنه ينزل إلى البحث عنها في أصول المسلمين من تراث القدماء .

موقف القرآن الكريم :

ذاعب أساليب القبط عند عرب الجاهلية ذبوعاً واسع المعنى ، فها نزل القرآن هاجم هذه الأساليب ، وحصر الأمر في الغيب في الله وحده ، ليبحث توثيقاً من جذورها ، فلا يخشع أو ينجأ غير الله تعالى^(١) ، ول تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو »^(٢) وكبر هذا المعنى في أكثر من آية^(٣) ، ولكن الله بطامع على غيبة من يختبئ به من رسله : « وما كان الله ليضلكم على الغيب وما كان الله يهدي من رسله من إ شاء »^(٤) ويقول كذلك « علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من

(١) محمد عبده ، رسالة سوريه - ص ١٥٤ (الطبعة - سنة ١٣٥١ هـ)

(٢) سورة الحديد ، آية ٢٧

(٣) سورة هود آية ٣١ ، فصل آية ٦٢ والحمد آية ٢٠ وغيره

(٤) آل عمران آية ١٧٩

ارتضى من رسول فانه يست من بين يديه ومن خلفه رسدا يعلم أن قد أبلغوا
رسالات ربهم»^(١) . ومع أن آيات القرآن التي تمصب على العلم بالغيب ، يبدو أنها
ترده إلى الله ومن يحتببه من رسله ، فإن أهل السنة قد انفق إجماعهم في تفسير
الآيات ، على إمكان اطلاع غير الرسل على الغيب ، اطلاعاً لا يقيد أكمل مراتب العلم ،
أو قصر اطلاعهم على بعض ميادين الغيب ، وبذلك فرقوا بين اطلاع الرسول واطلاع
غيره من صفوة المؤمنين^(٢) .

والقرآن بعد هذا يحارب التثنية القدي بقصد إليه أهل واثمونه صداعة
واكتساباً . سواء اقتصرنا في هذا على التوصل إلى الله^(٣) ، أو اعتمدوا فيه على
الشواهد الحسية من فداح أو أذلام أو نحوها^(٤) .

والله يطع على غيبه من شاء ، بطرق شتى : فقد يرسل ملكاً يشتمل بشراً سواباً^(٥)
وقد يكلم الله الرسول تكلم^(٦) ، وقد يلقى الله المعاني في نفس الوحي إليه كما وقع
لبعض الأنبياء ، وقد يوحى الله بالمعاني في رؤى صادقة تكشف عن مجاهل الغيب^(٧)

(١) النحل : آية ٢٢ - ٢٧

(٢) Flügel في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من نبي إلا وله نصيب من الغيب »

ونشهد صدقهم . وورد في سورة الكهف عن صاحب موسى - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى على غيبه
بشاً من الغيب ، وأنه وأخوه ، مع أنه لم يكن سواه . وورد في سورة ص
عن جبريل - عليه السلام - أنه قال : « ما من نبي إلا وله نصيب من الغيب » وأما
ولده ، مع أن صوابه : « ما من نبي إلا وله نصيب من الغيب »

(٣) التوبة : آية ١٠ - ١١ ، النور : آية ٣٧ ، ومن آية ٨ - ٩ ، شعراء : آية ٢١٠ -

٢١٢

(٤) سورة آية ٣ ، ٤ ، ٥

(٥) مريم : آية ١٠ - ١١ ، النور : آية ١٢ - ١٣

(٦) النحل : آية ١٠٤ ، النور : آية ١٠٤

(٧) النور : آية ١٠٣ - ١٠٤ ، النور : آية ١٠٤ - ١٠٥

وهكذا نرى أن القرآن الكريم قد تضمن اتجاهات مفكرى الإسلام في تعريف الغيب وتحديد آفاقه ، حتى لا يسلك أحد رأيا يخفوه في هذا الصدد إلا وقد نصب عليه آياته الكريمة .

وأما من الطبيعي ألا يتضمن القرآن اتجاهات المفكرين في تفسير الوحي وإمكان وقوعه تفسيراً عقيباً ، فـ هذا لأن القرآن الكريم ، وهو من إبداع مفكرى الإسلام ، على الرغم من اتفاقها مع كثير من الأفكار الشائعة عند اليونان والرومان والهنود بهذا الصدد . والراجع أن هذا التوافق دليل على ما يمكن أن تصل إليه وحدة العقل البشرى . وتشبه استجابة النشأة الفؤرات - وستعرض فيما يلي بعض نماذج من هذه الأمثلة .

موقف اليونان والرومان من "علم الغيب" :

إن التشابه بين آراء اليونان والرومان وآراء مفكرى الإسلام ، لا يشمل الأصول وحدها ، بل قد يمتد حتى يتناول الفروع والتفاصيل : فمن ذلك أن الإدراك المنهجي قد أصاب حظه الوافر من تقدير النسبين ، لأنه لم يتبع بوحى الأنبياء وإلهام الأولياء ، فارتفع بذلك عن كل علم سواء ، وسكهم - مع هذا - هاجوا من أساليبه ما حو صناعه واكتساباً ، لأن علم الغيب خاصة يستقر به الله ويهيم من شأنه من عباده ، وكذلك الحال عند اليونان والرومان : تصل الإدراك الغيبى بالشعائر المقدسة وأصاحب حراء من الذين ، واعتبر الاستخفاف به استخفافاً بالآلهة ^(١) ، واهتم الذين أبوا التسليم به ، بنوكيد الفصل بينه وبين الذين ولائهم معه ^(٢) . وقد حل أهله في

(١) ديون 4.5 Cicero : Divination : i. 4.5 - Loeb الإنجليزية و Garnier

عربية - في عينا -

(2) Ibid : i. 5 & 6 : ii, 72.

المصحيح ومنكره على الهواء^(١) ، وتشد خيل هؤلاء الدجائين حتى اضطر مجلس
الأعميان في عام ١٦٣ ق.م إلى معاصرة نقصانات التي تسببت ابوابهم لرخيصة^(٢)
وفد حصروا الإمبراطور الفيني في الآلة ، ورأوا أنهم تمجده من تشاء من السكبان
والزانيين والعوامين ألقاه ، وأجذب الروم إلى دفعة بيماء ، وفد هيمنت الآلة حتى على
أساليب النبط الصناعي^(٣) .

ورد القائل - ولا - في التاريخ منه - إلى الآلة لا إلى "الخرامقلى ونحوه ، أفضى
إلى القول بقدرة بعض الصناعات على كسب مجده ، وحرمان الحكام من هذه الخلة^(٤)
كما ذهب الروم فيقول ، و يمكن تزيين الآلة كزينة الخليفة ، قد رافضوا عند الزائى^(٥) ،
والثبات عند حيزه المستقر في المدن عروضا لبحث في تاريخ هذه العلوم ، أن
هذه العلوم قد عرفت في الشرق القديم عند الآشوريين والسكانيين والعبريين
ومن بعدهم ، ثم انتشرت في غرب عن اليونانيين والرومان من أعشار ، ومن قبل الفرات
المصري الذي جمع بين العناصر الشرقية والأفكار اليونانية ، كما انقلب (على وجه
التأويل) إلى ملامحة جديدة ، والفلسفة اليونانية القديمة والفنوسية ونحوه مما يمتاز
الروح العربي ، إلى فلسفة إسلامية وفكرية في الكتابين^(٦) .

(1) Ibid. i, 58.

(2) Die Leve XXY 1. ١٢ - ١٣ .

(3) Ibid. i, 35-37, 53, 52, 54 .
من كتاب أول في السور

(4) Ibid. i, 38.

(5) Ibid. ii, 54 .
والدعوى ، شرب كيون ، في فلسفة في فلسفة ، حركية ،
نورانية ، رأيي ، حركية ، فلسفية ، سحرية ، وهو من حركية ، سحرية .

(٦) ثبات عن هذا الموضوع ، كبير - Bouché - Leclercq و - شربون - Cicero
والذين استلزموا في سنة Divination في دراسة معرفية للمد والخطاف وغيره من فصول في بيان
هذا الموضوع .

المسلمون بين الفرق وتراث الفراء :

إن معرفة المسلمين بالقرآن أسبق من معرفتهم بفلسفة اليونان والرومان لا محالة، فإذا كان القرآن قد حدد آفاق العلم بالغيب على النحو الذي أسلفناه، واستوعب آراء المسلمين في هذا الصدد، فإن الشيء الذي لا يكاد يترافق إليه الشك - عند من يؤمن بأن القرآن منزل وليس موضوعا - هو أن مرد آراء معسكري الإسلام إلى القرآن لا إلى اليونان والرومان - بالغ ماصح التشبه المتفق بين وجهات النظر الإسلامية واليونانية، ومهما ثبت انقلص الهيلينية إلى العلم الإسلامي إلا إذا قيل إن القرآن نفسه قد تأثر بتراث هؤلاء القدماء، وإذا نحن فهمنا النظر إلى تسببية علمهم بالقرآن، لما كان التشابه وحده مبررا للحزم بقل اللاحق عن السابق، لأن في العقل الشرعي وحدة كافية بالاهتمام إلى النتائج المشابهة رغم اختلاف الزمان والمكان مما لا سنعرف في نهاية هذا البحث.

والسكن إذ كان من الإنصاف أن نورد بالإسلام اتجاهات مفكرية في مهم الغيب وتحديد آفاقه، فإن من الإنصاف لتراث العربي أن نورد إليه الكثير من عناصر التفسير العقلي لهذا الإدراك عند المسلمين، وإن لم يكن إسلامي لم يكن ليفسر مثل هذه الطواهر تفسيراً عقلياً منطقياً، وما من شك في أن مفكرى الإسلام قد أخذوا عن الهيلانيين الكثير من وجوه التفكير النظري، لأن زووجهما تساهل الإسلام بحالا ونساق مع طيبة أهله، لا سيما وأن الكثير من عديمه، ورحمه إلى الشرق القديم، وصنعرض لهذا في بعد.

ملاحظات على بعض مسائل :

حسبنا الآن أن نسجل بعض ملاحظات حاشية :

١ — استلزام الله بالغيب ومنحه من يشاء من عباده ، فمضى إلى استبعاد الصنعة من أمره ، وأفضى هذا إلى احتقار العقل والمنهج التجريبي في الوصول إليه ، وانتهى هذا إلى سلب إرادة الخبير عن الفلاسفة والعلماء ، وإسقاطه المحجبان والعواميين والنياميين من أمره من دواشي العقل ، وروعت مرئبة هؤلاء حتى اقترت من مرئبة النبوة ...

٢ — تفسير الفلاسفة لبعض الفصول المتقدمة بعقل المعدل ، يقوم على جانب شعري خيالي ليس من المنصور على العقل العيني أن يعلم به .

٣ — تفسير الصوفية للإلزام برده إلى الصنعة ولا كتب ، فإن تعريض النفس من علائق الحس بحسبها وذكر والجوع والظمير ونحوه من مبادئ كديفة صناعية . وربما قيل إن التجريد الذي قصدوا إليه قد نوافر الحكاميين من أمثال فاضل ، فهل وقع لهم شيء من مدارك الغيب ... ؟ على أن من الإلزامات أن يقول لهم لم يدعوا أن التجريد يؤدي إلى العلم بالغيب في كل حالة .

٤ — ابن حلدون مفكر عبقري باعتراف المستشرقين ، ولكنه يبدو في هذا الفصل مجرد ناقل يحيط فقهى العقل بهمة من التقديس ، ويناقض نفسه فيقرر حيناً بأن الغيب لا يحصى صنعة ولا كتب ، ثم يقرر حيناً آخر بأنه يقع لمن يموت بالمجاهدة موتاً صناعياً فيقتل بذلك كافة قواه البدنية بالتذكر والجوع ... إلى آخره .

٥ — ربما بدأ من عرض اتجاهات الفلاسفة ومضى الصوفية في تعطيل الإدراك العيني ، أنها لا تتفق مع مظاهر الشرع الذي قرر بأن الله يطلع على غيبه من شاء من عباده ، وهذا

— فيما يلوح — مما حمل رجال الدين والسلميين من الصوفية على رفض الاتصال القاسي والاتحاد الصوفي معا .

٦ — إن بعض المفكرين قد أنكروا الإدراك القبي في مختلف صورته ، ورد ما يبدو من آثاره إلى النفس ، أي أنه يسع من يظن النفس ولا يفد إليها من خارج ، ورعا أهداه في ذلك بعض الدراسات السيكولوجية الحديثة والتجربة مما^(١) ، وسنعود إلى هذا بعد قليل^(٢) .

٧ — إن التنبؤ في عرف مفكرى الإسلام غير التنبؤ الذي يسم به العلم — وهو استنباط نتيجة من مقدمات أبرر — متبناها .

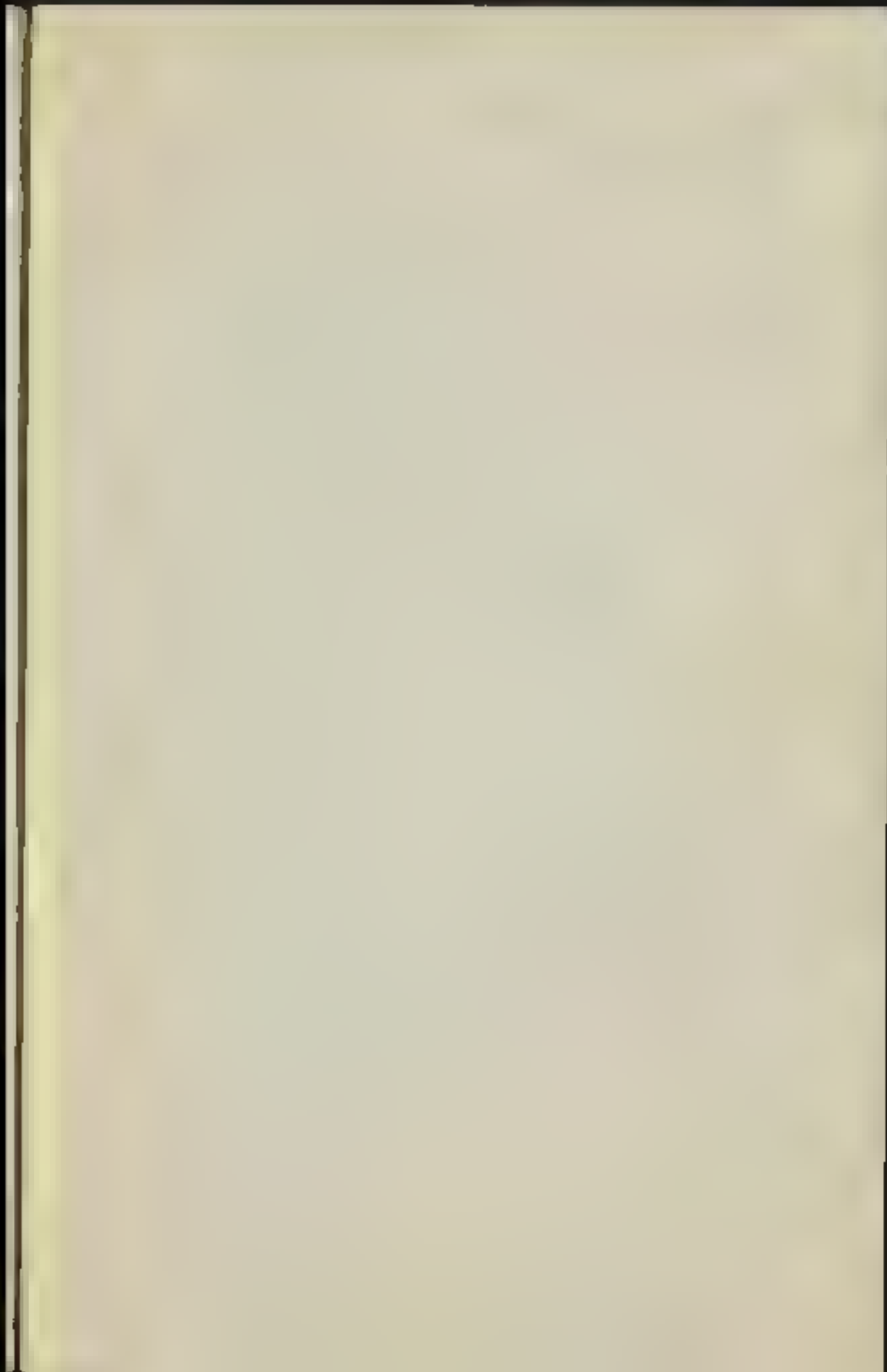
وعد ، وهذه نظرة بجدية إلى علم القبي عند مفكرى الإسلام ، وهو على ما رأينا قديما : طبيعي وصنعي ، منقذ بما خالفه تفصيل الحدث عن كل منهما :

(١) فاني رأيت شبسرون أحد رعاي الأكتيحية جديدة في سنة ٢٧ من كتاب الثاني في سفره السلف المذكور .
(٢) فصل ٢ يدرك القبي عند القبياء .

الباب الثاني

التنبؤ الطبيعى

عند مفكرى الإسلام



عند الألبان

العلماء النجاشي

الذي ينفذ أهل الكتاب هو الظاهر الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المقبلة ،
ولعل الأسح أن يقال إنه من بقى من شيء وحياً ، فإن أمره قد بلغه كمن رسولاً^(١١) ،
وهو عبد المتعارفة من الصلوة لله من عباده ، وأوله تسبيح وسائحه^(١٢) ، وأرسل
قوم اصطفاهم الله من بين البشر وقصصهم خطابه وقطارهم على معرفته ، وحماهم وسدائل
اتصال بانه وبين عبده ، يقولوا بانه بانه ، ويخبر الله على أسرارهم الخوارق ، وأخبار
الكلمات القوية عن البشر ، لا يمدح ولا لا يمدح ، لا لا يمدح بانه من الله^(١٣) ، فثبت أن العلم

7. 4. 1968 - (1)

(۲) - تاریخ و سیرت ائمه اطهار - ۲۳۹۹ - (۱۳۹۹)

[illegible][illegible]

الإنسانى يحصل عن طريقين ، أحدهما طريق الاستقلال والتعليم ويسمى اعتباراً واستبصاراً ، ويختص به العلماء والحكماء ، والآخر سبيلهم على القلب كانه ألقى فيه من حيث لا يدري ^(١) وقد يسمى بالتصور الربوبى ويكون طريقين : أولهما إلقاء الوحي فى النفس التى كانت خالصة ، وإزال عنها دس الشهادة وذن الحرام والآفات والرغبة عن شهوات الدنيا والإقبال على بارئها ، والثالث تجود مسد عنها ، فيقبل الله بحسن عذيقته على هذه النفس ، ويبدل قلبها فورا ، كما يتخذ من النفس السكينة قلما بنفس فيها جميع علومه ، وهذا ما تقدم تأييده ، كما نوحه الذى فى الإجماع الذى يتوافر لأوليائه ^(٢) ، وسنذكر من الحديث عنه ما يدل .

ولا يكون العلم الذي يتصور فيكون من باب الإلهام أو الطلق أو القوم أو
الكيفية أو النجوم أو الزمان التي لا يثبت صدم من مصادرها ، وإنما يكون عن
وحى إلهي (٣) ، وقد قيل إن الوحي شرع ، فاعلم الله نبي من أنبؤاه يحكم شرعي
أو نوحه ، وأما الأصح أن يقال إنه ، فإن بعدد الشخص من بعده مع التيقن بأنه
من قول الله يومئذ هو غير وسامعة ، ولأن صوت تعالى سمعه ، أو غير صوت
يبلغ أذنه ، ويرفق به وبين الإله ، لأن الأصح قد يحصل من الطلق بغير وساطة
الملك وهو من خواص الأولياء (٤) ، أو هو وجدان استيقده النفس وتعلقها إلى

(١١) معنى الألف: متصل بعد حرف الألف في حيفه على حرف النون والواو المعاكرف
الإسلامية (نسخة العربية)

(٤) $\frac{1}{2} \frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} \frac{d^2}{dt^2} \right) = \frac{1}{2} \frac{d^3}{dt^3}$

(۳) ابن حزم + عاصی فی منہ و سحر ج ۱ ص ۱۶

(٤) ابن العربي ، مجموع الحكم ٢٦ وما بعده وانظر مختلف معاني الحديث في مادة Wahy في اللغة من A. J. Wensinck في دائرة المعارف الإسلامية

ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى ، وهو شبه بوجدان الجوع والعطش
والحر والسرور^(١) ومن هنا قيل في التفرقة بين الأنبياء والأولياء : إن العهد إذا لم
يذكر كيف حصل له العلم ومن أين حصل ، حتى علمه بضمه وبث في الروح ، وكان
هذا حصراً بالأولياء ، فإن طبعه مع هذا العلم على الحساب الذي استند منه ذلك
العلم ، وهو مشقة التمسك بالحق في القلب ، حتى العلم وحده ، وكان حصراً بالأنبياء ،
وإن كان العلم في السابق يحصل في القلوب بوساطة رب^(٢) ، وإن قيل مع هذا إن
الإلهام ليس مقصوراً على الأنبياء ، فإن الوحي الظاهر الثلاثة مستوفى : الوحي ما أتت
بلسان لسان كذا ، وإنها ما وسع راحة ملك من غير بيت ، الكلام ، وإنه
خاطر الملك ، وإنها الإلهام ، والأول الثلاثة حجة مضافة ، وهذا بخلاف الإلهام ،
فإنه لا يكون حجة على غيره^(٣) ، والإلهام بريد الحق وازد غيب من الله المؤثر في
كل شيء^(٤) ، وإن كان قوماً من متبعي السنوات ، سموه أن تكون النبوة عن خطاب أو
تروى ملك ، لا انتفاء الخاطبة السريعة عنه تعالى ، لأنه ليس بحسب ، وإنما الملكة
لا يهبطون لأهم من العالم المعنى وهو بسيط ، كمال العالم السفلي كيف لا يعلم ،
واحتجاب هذا الرأي فيه أدى إلى النبوة عند أهلها ، وقال بعضهم إنهم صاروا
أنبياء بالإلهام لا بالوحي ، وهذا غلط عند المصنف ، لأن الإلهام حتى غلب على يد غيره
الحق والباطل ، وذلك بعضهم إنهم صاروا أنبياء لأن الله اصطفاهم وأكسبهم ماله من

(١) محمد - مد ، رسالة سحرية ص ١٠٨ وما بعده

(٢) الغزالي في الإلهام ص ٣٠ من ١٣ (رسالة الأول ص ١٢٤٥)

(٣) الهادي ، كيف اصطفت القلوب ص ٢ من ١٥٢٣

(٤) القدر سالك ص ٢ من ١٤٠٨

خواص وأسرار تخالف مجرى الطبيعة . وهذا فاسد أيضا ، لأن خفاها غير دليل على صدقه ، ثم إنه يكون دليلاً عن نفسه لا عن ربه ، وعندئذ يصح كخبره^(١) .

وعلى هذا فلو وحى في معناه المسموع : إلقاء عن أمور مغيبة عن الحس ، يتدح في النفس دون كفاة ولا قصد^(٢) ، ويرى فلا تصفة الشريعة أن النبي من اجتمعت له خواص : أولها أنه يكون ذا اطلاع على الغيب الذي طواه الناس ، أو أخفاه المستقبل ، وليس المراد أن يطلع على كل شيء ، بل حسبه أن يعرف بعضه ، وليس المراد أي بعض كان ، بل المقصود ما لم يخبر به العادة دون أن يسبق ذلك تعلم أو تعليم^(٣) . ومن هنا قيل إن الأنبياء يطلعون على الغيب بوحى لهم لا تنك في صدقه ، وقد قيل إن الله يختص برحمته من يشاء من عباده ، فلا يشترط فيهم شرط ولا استعداد ذاتي ، وإن كان المعروف عند المسلمين ، أن النبوة لا تأتي إلا كتابيا^(٤) . ولكن كيف أثبتوا أنه كان الوحي ... ؟

إشكال الرسمى :

هذه نقطة عاجتها في الباب السابق^(٥) وحديثنا أن نصيب الآن إلى ما قلناه ، أن بعض الظواهر - فيما يرى البعض - فيها استعداد قطري لذلك ، وليس في هذا

(١) - ويرى : إلقاء النبوة من ١٦ - ١٧

(٢) - ويرى : إلقاء من ١٨ - ١٩

(٣) - ويرى : إلقاء من ٢٠ - ٢١

(٤) - ويرى : إلقاء من ٢٢ - ٢٣

(٥) - ويرى : إلقاء من ٢٤ - ٢٥

الأنبياء من ٢٦ - ٢٧ في نفس الله . ثم قد يكون في بعض من عاد كونه عن إلهام الغيب عند أهل الكشف لا يفي ...

بدع ولا عجب ، إذ أن البشرية تشهد بأن درجات العقول متفاوتة ، يعلم بعضها بعضاً ،
وأن الأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى . إلا على وجه من الإجمال ، وليس ذلك
تفاوت المراتب في التعليم وحده ، بل لا بد معه من التدرج في الفطر التي لا تدخل
فيها لاختيار الإنسان وكسبه ، وهذه التدرجات نالها لا محالة إلى القول بأن من
النفوس البشرية ما يكون له من مقام الجوهر بأصل الفطرة ما تستعمل به ، من محض
الفيض الإلهي ، لأن تنصل بالآفاق الأعلى وانتهى من الإنسية إلى القروية العليا ،
وتشهد من أمر الله شهود الميسان ، ما لم يصل غيرهم إلى تعقله وتحسسه بالدليل
والبرهان^(١) . والنحو أن النفوس قسمان : أحدهما يعوزه التعليم ، وثانيهما غنى
عنه بفطرته ، وما يحتاج إلى التعليم منه ما يتأثر به وإن طال نفيه ، ومنه ما يصيب العلم
سريعاً في غير إبطاء ، ومن الناس من يستبطئ الشيء من ذاته ، دون حاجة إلى معلم ،
وليس ذلك بدع ، فإن أول معلم لم يسبقه معلم ، وإنما ارتقى إلى العلم بنفسه ، دون
الاستعانة بكاثر ما . ذلك أن النتيجة تخطر بباله فينبه للحد الأوسط ، كأنه الذي في
نفسه من حيث لا يدري ، أو يتدرج للحد الأوسط فتجدر النتيجة ، كمن نظر إلى سقوط
الحجر إلى أسفل ، فخطر له أن الحجر ما كان ليهوى نولا اختلاف الجهتين ثم يخطر له أن
اختلاف الجهتين لا يكون إلا في البعد عن جسم والقرب منه . ولا يمكن تصور هذا إلا
بحرط ومركز ، فيستنتج من هذا أن السر ، محيطاً ، ولا بد من وجودها ، ومثل هذا
غير محال ، وإذا خطر فإس بمحال أن يتأدى إلى آخر المعقولات ، إنما في زمان طويل
أو قصير ه فمن اكتشف له مثل هذه المعقولات في زمان قصير ، وإن تعم على
معام أو كتاب أو نحوه ، كان نبياً ، وكان هذا معجزة له . وهذا ممكن ومقول ،

فإن بين التعمين من يسبق إخوانه مع قلة جهده ، وتساوى مدة التعمين عند الجميع ،
لأن شدة حدسه وقوة ذكائه ، تمكنه من التفوق عليهم ، وإن قل عنهم الجهد ،
وإن صح هذا فزاد فيه من الممكن^(١) .

وفي بعض النفوس قوة لا تشغلها الخواص ، ولا تستوعبها بحيث تستغرقها
وتغنيها عن غيرها ، وتليقها ، وقد تقوى حتى تجمع بين الكتابة والكلام في آن واحد ،
ومثل هذه النفوس قد عثر عليها مثل الخواص ، فتشبع إلى غير الغيب ، وتكشف
بعض غوامض في سريرة البرق الخاطف ، وهذا النوع من النبوة ، فإن سمعت النبوة
وعت الذكورة ، تكشف للنفس ، دون أن تعيق بغيره ، أو تحذف منه شيئا ،
فيكون وحيا صريحا لا يعمره التأويل ، وإن قوت الخفية لم تكن الآية ، وشابه
الحال الرؤيا التي تحتاج إلى تعبير^(٢) .

نحو في النبوة والفلسفة :

والعلم الذي يجي عن طريق الوحي ، لا يختلف في شأنه عن العلم الذي يأتي
إليه الفكر العقلي والاستدلال المنطقي ، وإن اختلف الطريق في كل منهما ، ومن هنا
تلافت النبوة والفلسفة ، إذ قيل إن المعرفة التي تجي عن طريق الوحي ، إن وبلها
صاحبها كما عند العلماء من حقائق ، أنفأها على اتفاق معها ، لأن العلم والنبأ
واحدة ، فإذا أخبر بها من وصل إليها من أسفل بالتفكير ، اتفق رأيهما وصدق
أحدهما الآخر بالضرورة ، ويأثر الفيلسوف إلى قبول ما يأتي به النبي أو الكاهن ،

(١) الخواص : متعدد دلالة من ٣١٢ - ٣١٤ - النسخة الأولى : ١٣٣١ هـ

(٢) الخواص : في النص : ٣١٢

٢ - وعرف الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الدين من قبلهم ولئلا يكون لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا... سورة النور آية ٥٥.

أنبا الربي أصحابه بأن الذين هموا بين الإيمان والعمل الصالح ، سيكونون الظالمين والغالبين والمناسكين ، سيفتحون بدمه بلاد الشام وبلاد الفرس ومصر ويستولون على ملك كسرى وقصر... كما استخلف من قبل زمن داود وسليمان عليهما السلام ، ويمكن لهم دينهم فيؤيدوه بالنصر والافتراء ، ويبدلهم بعد الخوف أمنا ، فيكفل لهم النصر على أعدائهم والأمان من شرهم... (١)

٣ - وقد نرى إلى أن البعض يقول إن رؤيا الرسول وحى إلهي ، والله تعالى يقول : " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم... الآية سورة الفتح آية ٢٧

رأى الرسول أن المؤمنين سيدخلون مكة ويسمعون الحج ، وله يمين وفداء له ، وإذا قص رؤياه على المؤمنين ، فإن أن دخلوها سيكون عام الحديبية ، وإن كان الله يعلم أنه لا يكون إلا عام الفتح ، فما صدقوا ورجعوا قبل المنافقون استهزاء ما دخلنا ولا حاقنا ، فقال تعالى : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق... (٢)

حسنا هذه الإشارات الواضحة ، إلى بعض نبوءات الرسول كما وردت في التراث الإسلامي ، وإن كان الله سبحانه يفتي أن نكف عنها قليلا :

(١) - مصنف - مدار - ٢٨٧ - ٢٨٨ و - بدر شيدرد - في الحري المحمدية .

(٢) - انصاري - تاريخ - ٣٠٧

القرآن والعلم :

التمس بعض المحدثين من مفكرى الإسلام في القرآن ، يوماً عربياً من العلم الغيب ، فقالوا إن القرآن نزل على جميع مخترعات العلم وما تشتهى ، وكافة ما وصل إليه مما يمكن أن يصل إليه البحث العلمى من أصول ... وأُضيفت لهجات هذا المزيج بأشرف ما حوت ، وحملوا أنظار القرآن فوق ما أُضيف ، وقد يعميه أن يقول ككتاب الله إلى كتب في علم الفلك أو الطب أو الصيعة أو غيرها ... أو يد هذا الاتكاء « السكوا كى » ومحمد عده « ووريد وحشى » ، ولما كتور عبد العزيز باشا السامعيل وغيرهم من المحدثين في مصر على ما يعرف بالقرآن .

والرأى عندنا - مع تقدير وجه الإخلاص عند هؤلاء المتكبرين - أن محاولاتهم لبرهنة على أن كل ما يتجدد في طول العالم متضمن في أصول القرآن ، إخراج للدين عن نطاقه ، وإسراف قد يضر ولا يفيد ، لأن حقائق الدين لا تتغير ، وحقائق العلم تتطور مع الزمان ، وتقدر بتقديم النظر العلمى ، وتزول مروج البحث العلمى ، فإذا كنا صرنا بطل الدين بالعلم ، كان معنى هذا أن تتغير العقائد التى نؤمنها آياتها ، بعداً لتغير النظريات التى ينتهى إليها البحث العلمى . وقد علمت أسدود الدكتور طه فى مقال متبع له ، على محاضرة حاول الشيخ محمد نجيب أن يسلط بها من أصول القرآن : كروية الأرض وحركتها حول الشمس وحول نفسها ، واختلاف الليل والنهار ... الخ^(١)

وقال إن الأستاذ « نوردمان » Nordmann قد وضع فى اثنين لأخيرة كتاباً

(١) طه حينئذ من بعد من ٥٨ - ٥٩

عن مملكة السموات ، انتهى في فصل منه إلى استحالة البرهنة على دوران الأرض بطريقة علمية قاطعة .. ! ثم عقب الدكتور على هذا بقوله : إذا انعقد الإجماع على أن الأرض لا تدور ، كما كان منقاداً على ذلك منذ قرون ، وحينئذ القرآن الكريم ، فإن تذهب جهود العلماء الذين حاولوا هذا النوع من التوفيق .. ؟

بين الميرين والعلم في هذا المصدر :

هذه محاولات ليست جديدة في تاريخ الملاقة بين الدين والعلم ، فشت في العلم المسيحي ، منذ أخذ رجس الدين أنفسهم بالتوفيق بين نظرية بطليموس وموقف المسيحية من ثبات الأرض ودوران الشمس حولها .. ! فلما استيقظ الفكار العقلية وتمهض البحث العلمي ، وبحث كوبرنيكوس في ١٥٤٣ و غاليليو في ١٦٤٢ رأى متأخري الفيناغورية من أمثال أرسطارخوس في ٣١٠ ق.م في دوران الأرض المزوج ، ناهضت الكنيسة هذه الدعوة ، ورشكت ففائدتها مع رواد الفكر الحديث ، حتى إذا استقر العلم عند رأي الأخير ، أخذ رجس الدين يجاهدون في سبيل التوفيق مرة أخرى ، بين هذا الرأي الحديث ونصوص الكتاب المقدس .. ! ولم نزل بهذا تفاصيل هذه الأحداث وأمثالها ، مثل السخربة عند جمهور المؤرخين ، فمن الحكمة ألا نزل في خطأ زل فيه غيرنا ، وأن نأخذ من صفحات السابقين عمرة وعقطة .

منابع التفكير الإسلامي في الوحي : موقف القرآن الكريم :

من الطبيعي أن أتبع هذه الأفكار السالفة في القرآن ، فإن الدين لا يستقيم بغير النبوة والوحي ، ولنحيط أن تعريف الوحي على النحو الذي أسلفناه ، مأخوذ عن الآية الكريمة التي تضمنت أنواعه الثلاثة : إنقاء المعنى في القاب ، والسكلام من

وراء حجاب ، وما يلقيه ملائكة النوحى المرسى من الله فى صورة ما ، قل تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب » أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء ، إنه على حكيم ^(١) .

وأما إدراك النبى لعمق الغيب دون فهم أو تفكر ، فإن هذا مرجعه إلى قول الله لنبيه الكريم ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، أى تفكر وساطة ما ، وتشهد بهذا قصة آدم الذى لم يثبت عما ما ، وبلائكة الذين حصلوا من العلم ما جعلهم أعلم بالوجودات والذات ، وما فحرة ، فى ، لا يوفى شئ هؤلاء ، إن كنتم صادقين ... إلى آخر ما يذكره القرآن بتسليم على الراسخ العلم الربى على العلم الإلهى ^(٢) ، أما إمكان نوحى وتفسيرهم العقل به ، فقد يكون ويدفع برهنا ، وربما وجدت هذا عناصر من ثروت قديم وصل إليهم ، وبالحول من الفار فى الذى شدد نظرية اتصال العقل بالمتنفس بالعقل العلم ، وإدراك الغيب عن طريق هذا الاتصال ، قد استمد الكثير من عناصر هذه النظرية ، من نظرية الفيض أو الصور عند « أفلاطون » كما صوره الفار فى فى بعض رسائله ^(٣) . وقد جرى على نهجه ابن سينا فى تصوير هذه النظرية ^(٤) .

(١) سورة نوح آية ٥١

(٢) القرآن : الرسالة مدية من ٤٣ وآياتها ما يؤرخ ما يؤرخ ، دون أن يورده ، لأنه لا يوفى به كجنت .

(٣) فارى : رسالة فى معنى العقل لشدة لآل يوحى ونصوباته .

(٤) فارى ما يستذكره فى تحليل لروى الصادقة ، مستنداً إلى إشارات ابن سينا ورسالته فى الشبوات ثم انظر من ١٢٩ - ١٣١ من كتابها « لأحلام » .

صوفى اليونان والرومان من الوحي :

عرف هؤلاء ما يشبه أنواع الوحي الثلاثة التي وردت في القرآن ، فالكلام بحيث يسمع النبي ولا يرى كما وقع موسى ، وقد وقع لسقراط كثيراً ، وكان الصوت كثيراً ما يمنعه من الإقدام على عمل ما ، وإن كان لا يدفعه إلى عمل ما ، وأحداثه في ذلك كثيرة تمها كتب سيرة^(١) ، ولم يقع هذا لسقراط وحده ... وكما وقع لليونان ، كان يحدث الرومان ، وكثيراً ما كانت تسمع هذه الأصوات المنذرة الزاجرة في أخرج الآلهة^(٢) .

وظهور المثلث ، وهو ثلث أنواع الوحي ، قد يتجسم في صورة رجل مثلاً ، وقد قيل إن أمليان الآلهة ، كثيراً ما كانت تظهر وكأنها تجسم في مادة - مع أنها مفارقة لها ، وقد تظهر أحياناً غير متقومة في مادة^(٣) .

أما النوع الثالث ، وهو لقائه الملائكة في النفس دون تعلم ، فقد كان متلوقاً شائعاً ، إذ ألقى البعض ملكة الثقبو بحيث يستطيع أن يرى ما لا تراه العيون ، ويسمع ما لا تسمع الآذان ، وقد كانت كهنة دلفي وغيرها من هذا الصنف .

وأشباع القدرة على الإدراك الفسي ، كانوا يرون في تفسير هذا الوحي ، ما يشبه آراء المسلمين في هذا الصدد ، إذ قالوا إن في باطن النفس الإنسانية تسكن قوة من نوع ما - وهم يعزونها إلى الوحي - وهذه القوة تتمكن النفس من كشف الغيب

(١) قارن شيمرون في غفيرة ، من الكتب الأولى و « بلونارك » في حديثه عن شيطان سقراط (قارن تميث « لوب » في هذه الغفيرة) .

(٢) قارن المصدر السابق في غفيرة خامسة والأربعين .

(٣) قارن المصدر السابق في غفيرة السابعة والثلاثين من الكتاب الأول .

المحجب ، متى أدركها الجذب اللائقي ، أو حردها النور من علائق الجسد^(١) وفلما
كذلك بن النفوس على خلاف وتفاوت في طبيعتها ، وأنها أقوى متكون في
الرائين والعرافين ومن بينهم^(٢) .

وهكذا نلاحظ قيام التشابه بين آراء اليونان والرومان من جهة ، وآراء المسلمين
من جهة أخرى ، وإن كان هذا لا يبرر الخواضع نقل هؤلاء ، مادام القرآن قد
استوعب بذور آراء المسلمين كلها على وجه التقريب ، وسنفرس بقوة وجود التقابل
بين الفريقين ، عند الكلام على منابع التفكير الإسلامي ، في ذلك الغيب عند
أهل الكائنات السوي .

(١) مصدر الجذب من الكتاب الذي في طريقة جامعة ولازم من وشرق في أيها .

(٢) فرق بعضهم بين طريق السيرة والرائين من الكتاب الأول .

إدراك الغيب

عند أهل الكشف الصوفي ومن إليهم

عمارة الولاية بالنبوة :

من المتصورة من رفع الولاية إلى مرتبة النبوة ، ومنهم من فصل بينهما بفروق
شكائية ، لا يكاد المرء يحفظها ، ومنهم من آثارها إلى النبوة ، وينبع على الولي من
قدس الصفات ما لا يتوافر في الأنبياء ، وأهل تعصيل هذا يتكلموا من أن نفهم مدى
اطلاع الأولياء على عالم الغيب ..

الولاية دون النبوة :

يرى المتكلمون من الصوفية أن الولاية دون النبوة ، ويمرحون باستنثار الأنبياء
بالوحي ، واستنثار الأولياء بالإلهام ، ويقررون أن الإلهام دون الوحي ، ومن أجل
هذا كان الولي دون النبي^(١) والولاية درجة مختصرة من النبوة^(٢) ، ويرون أن
الأنبياء يمتازون على الأولياء ، بأنهم يعرفون مصدر العلم الذي يهجم على قلوبهم ،
ويتبينون كيفية حصوله ، ويرون ذلك الذي يأتي بالعلم إلى نفوسهم^(٣) .

(١) الغزالي : رسالة القلبية ص ٤٣ وردد أقوله ابن خلدون .

(٢) الغزالي : كيميا السعادة ص ١٤ طبعة عام ١٣٤٣ هـ .

(٣) الغزالي : الأحياء ج ٣ ص ١٩ .

الولاية من النبوة :

ولكن المتطرفين من العمومية لا يسمعون بهذا الرأي فيما يظهر ، بل يرفعون الولاية إلى مرتبة النبوة ، بل يحملون النبوة دون الولاية ... فهم يقولون إن الولاية من النبوة ، لأن من الوحي ما ينفيه الله عن البشر من غير وسامة ، فيسمهم في قلوبهم حديثا لا يأخذ ولا يصوره خيال ، ولا يعرفون مصدره ولا سببه ، ولكنهم مع هذا يعتقدونه ويدركونه بأنه^(١) بل ليست الولاية في واقع الأمر إلا بطلان النبوة^(٢) لأن النبوة ظاهرها الإتيان وباطنها التصرف في نفوس بالحق ، وإجراء الأحكام عليها . وهذا هو الولاية^(٣) ، والنبوة قسمان : نبوة تشريع ونبوة ولاية ، فالنبوة كالرسالة من حيث أنها قد انقطعتا من وجه ، هو مسمى النبي والرسول ، ولهذا قال النبي : لا رسول بعدي ولا نبي^(٤) ، وقصد بذلك أن ليس بعده مشرع يحل ويحرم^(٥) ، لأن نبوة التشريع قد انقطعت بمات الرسول^(٦) ، وبقيت نبوة الولاية ، وهي مجرد إخبارات إلهية يجدها العبد في نفسه ، من وجوه الغيب أو تحليلات لا يتفق بها حكم يحل شيئا أو يحرمه ، وتكون إما روح منك^(٧) ، ولا يسلون

(١) ابن عربي : الفتوحات المكية ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ . وإن كان هذا لا يتفق مع رأي الخزان السالف الذكر .

(٢) ابن عربي : تنوير الحفاك ص ٣٩

(٣) ابن العربي ، كتاب الأمشاط ص ٢٨ من ١٥٢٨ ، ١٥٢٩

(٤) ابن عربي : الفتوحات ص ٣٢٣ ، ٣٢٤

(٥) صدر السامع ص ٧٠ و ٤٩٤

(٦) صدر السالف : ص ١١٨ وقد ردد رأيي شعرا في يونيت وجوه ص ١٢ من ٢٢

(٧) ابن عربي : الفتوحات ص ٣٣٩ - ٧

بأن الأولياء لا ينزل عليهم ملك ، ويرجعون بأن الملك الذي ينزل عليهم هو ملك الإلهام ، وقد فصل ابن عربي عن ربه وعاب على الغزالي قوله : إن الملك ينزل على نبي ولا ينزل على ولي . ورد خطأ الغزالي في ذلك إلى عدم الذوق : وزعم بأن ملك الإلهام قد نزل عليه ، وإن لم يحمل أمراً ولا شهياً^(١) ، ويرد تلامذته رأيه^(٢) مع أن الغزالي فيما يوضح له لم ينكر الملك ، وإنما أنكر رؤية الولي له ، إذ قال : « فإن المعلم إنما يحصل في غوبنا بواسطة ثلاثك »^(٣) ، ويقرر في مكان آخر بأن الاتصال بالله إما أن يكون مباشرة أو بواسطة ملك^(٤) .

الولاية تسمى منه النبوة :

بل إن ابن عربي لم يكتف مع تلامذته بذلك ، بل ضمت آثارهم نصوصاً نبيية^(٥) يشار إلى الولاية على النبوة ..^(٦) فالنبوة تقوم في هذه الدنيا ، أما في الآخرة فإن التشريع يتفطع وتبطل أحكامه ، وهناك يظهر أن الولاية خير من النبوة .. ! وقد سمى الله نفسه ولياً ولم يسم نفسه نبياً ، والله عباد ليسوا بأندباء ، ولكن التبعية تعطونهم بمقامهم ، فهم بغير ألباع المشايخ في الدعاء لله ، فإذا حل يوم البعث لم يدركهم الفزع على أنفسهم أو أممهم ، كما هو الحال في أنبياء التشريع^(٧) ، وليس ينبغي أن يقال الولي له وراث ، لأنه لا يرث النبوة عن نبي ، ولكن الحق بأخذها

(١) تفسير السعدي : من ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ .

(٢) الغزالي : في معرفة الله : من ٧٤ - ٧٦ طبع القاهرة بمطبعة ١٣١٧ هـ .

(٣) عربي : لأحد : من ٩٦ .

(٤) الغزالي : في معرفة الله : من ٦٢ .

(٥) يعني أن بعض في هـ . صمد ، على أن في كتب ابن عربي والتعريف نصوصاً كثيرة

أخرى . بعض صراحة على أن الولاية في كل سورة أدلى من النبوة .

(٦) الغزالي : في معرفة الله : من ٨٠ . وابن عربي في جوابات من ١٦٥ .

أولاً ثم يرد ما جرى ، ليكون ذلك أنتم وأكن في حق الأولياء ، إذ يأخذون عليهم
عن الحى الذى لا يموت ، ولا يأخذونه ميت عن ميت^(١) .

إلى هذا ذهب المتطرفون من التصوف ، في بعض مناضات آثارهم من آراء ،
وإن كانوا - في خروج - يخشون لأهلهم بؤسفة ، ويرهبون مظنة التصريح بهذه
الآراء ، فيقررون في موضع آخرى ما ينقض دعواهم ، ويصرحون بأن الولاية بالغا
ما بلغت ، إنما تستمد من النبوة نورها ، ولا تلتحق نهايتها ببداية النبوة أبداً^(٢٦) .

هذه هي علاقة الولاية بالعبودية عند أهل التصوف ، ومنها نرى أنهم رغم تفاوتهم في تقدير الولاية ، فهم على اتفاق في ربطها بالعبودية ، وتقرير العلم الذي يحوي أهلها الهامم وكشفها ، دون نظر عقلي أو استدلال منطقي .

الكشف عن الحروف (٢)

الكشف اصطلاحاً : هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني القلبية والأفكار الحقيقية ، وهو صوري ومعنوي ، والأول يقع في عالم المثال من طريق الخواص الخمس ، عن طريق التشاهد أو اللمح كـ وقع الخيال - حين كان يسمع الوحي كلاماً أو كصياحة الجرس ، أو عن طريق الاستشفاف وهو التذلل بالنفحات الإلهية ، والتذلل لغوشت الزبوية ، أو عن طريق التدقيق ... وأما الكشف الصوري فقد يتعلق بالأفكار الدنيوية ، فيسمى رهبانية ، لاطلاع أهل على الحوادث الدنيوية بحسب

(۱) من ۶ ربیع الثانی ۱۳۴۶ هـ - ۱۳۴۷ هـ

— ١٥٠ —

(٦) $\frac{d}{dx} \left(x^2 + 1 \right)^{-\frac{1}{2}} = -\frac{1}{2} (x^2 + 1)^{-\frac{3}{2}} \cdot 2x = -\frac{x}{(x^2 + 1)^{\frac{3}{2}}}$

انصاف کے لیے ہمیں ایک نیا قانون بنانا ہوگا۔

وباضئهم ومجاهداتهم ، وهذا استدراج ومكر بالعبد ، وقد تقع هذه المكشفات مجردة من الاطلاع على المعاني الغيبية ، وإنما انكشف لمعنى التجرد من صوره الحقائق ، الحاصل من تجليات لاسم المسم والحقكيم ، فيم يظهر المعاني الغيبية والحقائق الغيبية ، وهو أيضا مراتب كالحس والنور القمسي ، وقد فصل ابن عربي في شرح هذا كله (١) .

وقد جرى الصوفية على القول بأنهم لم ينجحوا عن طريق الكشف ، في مقابل العلم الذي نجح ، عن طريق البحث والبرهان ، ويتبني الكشف عندهم « آماني » و « الذوق » و « الحس » و « الإلهام » وهي أقطاب شائعة في كتب الصوفية من الغزالي والسهروردي والشيرازي وغيرهم . وهم يزعمون أن النفس إذا انجذبت تجاف عن دار الغرور ، وأقبلت على السلوك إلى الله - كما يقول الغزالي ، وسنعود إلى الحديث عن هذا الخدب عند الكلام على منابع التفكير الإسلامي .

عوائق الكشف الصوفي :

وإذا كان الله تعالى يصطفى المرسلين والنبوة من شاء من عباده ، دون شرط أو استعداد ذاتي على نحو ما عرفنا من قبل ، فإن الثابت عند مفكرى الإسلام ، أن النفس بطبيعتها مهيأة لقبول الوحي والإلهام مما ، معدة لارتداد مجاهل الغيب المحجب ، متى تخلصت من - علائق البدن في بقعة أومنام ، لأن على القاب غشاوة من شهوات الجسم ومشاغلي الدنيا ، وإنما تنفتح عن عيون الأنبياء والأولياء المتأخرين ، بهذا تحصل المعلومات بالإلهام إلى بعض القلوب على سبيل المباشرة أو المكشفة ، وأقبح

(١) ابن عربي : تصور الحكم ص ٢٨ - ٣١ (شرح الشيرازي)

الرتب في ذلك وربة النبي الذي تنكشف له الحقائق دون تكلف أو اكتساب^(١) ، وما منعت أنوار المعلوم عن القلوب ، لأن الله ضئيل بها ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، ولكيها تحتجب تحت القلب وكدره ومشاغله الدنيوية ، والقلوب التي تحتل بغير الله ، لا تدخلها المعرفة بجلال الله ، لأن القلوب كالأواني إن امتلأت بالماء ، لم يدخلها الهواء^(٢) ، وليس هذا وحده الذي يمنع الكشف ، فإن القلب محل العلم ، وهو بالإضافة إلى الحقائق كإضافة إلى صور الأشياء ، فقد يمنع ظهور الصور فيها نقصان صورة الرآة أو صدورها وكدرها أو عدم مواجعة الصورة للرآة ، أو لوجود حجاب بينهما ، أو للجهل بجهة الصورة ، وكذلك الحال في القلب ، لأن الكشف فيه الحقائق نقصانه ككف الباطل ، أو ما يعلوم من شهوات تغطي بإشراقه ، أو انصرافه إلى غير الله ، أو قيام حجاب من اعتقادات تفيدية جمعت في النفس ، وصارت حجابا يمنع من كشف شيء ، بخلاف ما تقدم تفريده ، وقد حجب هذا أكثر المتكلمين والمتصوفين المذاهب ، وحل الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والأراضين ، وقد يمنع الكشف جهل بجهة التي يقع منها العتو على القلوب^(٣) .

طريقة الكشف عند الصوفية :

هذه هي عوائق الكشف الصوفي ، وبذا القيد شرها ، أمكن أن نوافع مرتبة العرفان التي يباغها الأولياء ، لأن الأصل في الوفي أنه الواصل إلى مرتبة العرفان ، عن الطريق الموصلة إلى سبيل تلك المرتبة في عرف الصوفية ، والواصل إليها تنكشف

(١) القراني : لأحياء ج ٣ ص ٧

(٢) الصمد : ص ٨

(٣) القراني : لأحياء ج ٣ ص ١١ و ١٢

له الحبيب ، ويشهد من عند الله لا يشهد سواه^(١) وهذا أمر مبسور ، لأن النفس البشرية بميليتها مهيأة لقبول الإلهام ، كما هي معدة لقبول الوحي ، وتكون أعظم استعدادا لذلك كلما كانت أعمق جوعا ، وذلك فيهما ، فبهذا تكون أخلاق المرء وسجاياه ، أدنى إلى أخلاق الكرم وأشبه ، ويكون مذهبه وعتقه أشد تحفة باعتماد الأبياء ومذهب الحكمة ، وتكون عمله وسيرته أشد شيئا بفعل الملائكة وسيرتها ، هذا بسبب فهم النفس نوحى لأبياء وولاهم دلائلها ، وإذا كان هذا كما ابتدأت قوة وضععا ، فقد تفاوتت النفوس بين الآبياء والعاصفين والمؤمنين والأبرار ، وهكذا تفاوتت النفوس في مراتب العمل ، وتبلى في الاستعداد لقبول الوحي والإلهام ، والاختلاف على هذه العيوب فوجب ، وطريق ذلك أن يصالح المرء ما فسد من أخلاقه في صباه ، وأن يترك السيئات العنيفة في نعمره ، ثم ينظر في العلوم الحسية حتى يحسنها ، ثم في الأمور العقلية حتى يتقنها ، ويستغنى في طرده الفاسد من آثره ، فيشارف في العلوم الدينية ، فيرتفع النفس عن الارتقاء إلى ملكوت السموات ، فلا يوازع الحسد وتعين النفس به ، واستعدادها لله^(٢) فإن المرء الذي يدين بعبادة الله عما وشهلا ، متى وصفت نفسه ، أتت من غير الخبثات ، وخرجت من علم الكون والفساد ، وارتفعت إلى علم الأفعال ، وتخلص ملكها من العمل ، والملائكة لا يسمون إلا على أسماء حسنة ، ولا يجوزون إلا من شاكهم ، وشأنهم في هذا شأن الإنسان الذي لا يتناول النجاسة مع حيوان أو جماد . وهذا لأن الله يذكر

(١) تنجى في رسالته وروايتي في كتابي في أصول الدين
مأخوذون عن قوله تعالى : وما كان الله ليبدل ما رزقني من شيء حتى أعيده^(١) والله أعلم
بما يكسر في قوله : *Carte de Vaux* في دائرة المعارف الإسلامية

(٢) الخوان ص ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢

سلام الثلاثة على أهل الجنة ، فإن ذلك على ما قيل التكريم لهم ، ونفوس المؤمنين
العارفين بالله الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة ونعيمها ، ليست إلا ملائكة بالقوة
إن فُرقت أجسادها كانت ، الثلاثة بالتأمل لا تمنع إلى شغلها من الأولاد وقراباتها
وتلاميذها ، وأهل دينها ومذهبها الصالحين منهم ، وبذلك يكون الاتصال بين
الملائكة وكرام النفوس ، وبهذا يكشف الغيب المحجوب^(١) .

ولكن لنذكر الآن الصوفية أنفسهم يتحدثون عنهم ، وهم وإن اختلفت وجهات
نظرهم في بعض المسائل ، متفقون في تصوير العسكرة ، وأهل أظهير مدارسهم في
هذا العدد ، مدرسة التصوف التي أسسها الفراهاني المتوفى سنة ١١١١ م ، ثم
المدرسة الإسماعيلية التي أسسها السهروردي المتوفى سنة ١١٩١ م ، فالعراق موقوف
المدرستين كما يتمثل في زعيم كل منهما .

الكشف عن أهل التصوف السني :

بدأ التصوف الإسلامي عملياً ، يتمثل في المكوف على العبادة والاعتصام إلى
الله والإعراض عن زخرف الدنيا ... إلى آخر ما يقوله ابن خلدون ، ثم أدركته
العناية بالأبحاث العقائدية ، وتسللت إليه الأنظار الفلسفية في المعرفة والوجود ، ولكن
أهل السنة قد تنكروا لهذا النوع من التصوف القاسي ، وأضافوا بالنظريات الفلسفية
الجائحة ، ونصدي الأشاعرة لإسكار هذا الجوع ، واشتغلوا بحللتهم « الفرائي » حجة
الإسلام ، وإن أبقى على التصوف الذي يسائر التعاليم الدينية ، ويشتمل مع روح
السنة ، وبهذا آثر العمل على النظر ، وغلب التعب على التأمل ، ورجع الاهتمام

(١) الإخوان الصفا ، ج ٢ ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ١٦٧

بالحرث وما يقتضيه من وجوه الطاعة وثيرة النفس والزهو والخرمان ونحوه^(١) ،
وجعل الأيمان - لا التمسك - طريقاً إلى الله ، ورأى أن القلب لا العقل هو المبرك
للحقيقة ، وعاجه عدم الكلام والفلسفة معه ، وإذا كان قد قرر قيام الخدس
والفوضى والإلحاح وأنه لا إدراك لعالم الحزن ، فقد صرح مراراً بأن هذا لا يحسن
بالتفاد أو جعل أو نحوه ، إذ أرى بين من لم يأت بعد به الفهم والحكمة ، بالتعلم
والاستدلال ، وبين العلم الذي يهجم على قلب النبي أو يولي دون انظار أو فهم ،
ورأى أن الطريقة التي تكشفت بها الحجب عن أعين القلوب ، لتجلى ما هو مـحـلـول
في النوح المغموط ، هي التعب والفتنة والذل ، ونقصي دراسة رتبة النبي الذي تكشفت
له كل الحقائق ، أو أكثرها من غير اكتشاف ، وتكشفت له في شرح وقته ،
وأن ميل أهل النصوص إلى العلوم الإلهامية دون الطبيعية ، ولهذا لم يحرصوا على
دراسة العلوم الطبيعية ، بل اعتبروا ما كان في أيديهم من العلوم الطبيعية
ومحو الصفات المسمومة وقطع العلاقات كلها ، والإقبال كله طرفة على الله ، وقد
استكشف الأمر لأشياء والأولياء ، وخلص نور على صدورهم ، لا بالتعميم والدراسة
وتأليف الكتب ، بل الزهد في الدنيا والتسبري من علاقاتها وتفرغ القلب من
شوائبها^(٢) ، فإن اكتشاف العلم الذي يكون بالارتفاع حجاب الخس المرسل بين
القلب والنوح ، فإذا كان القلب فارغ من علاقات الخواص طاع جواهر الملكوت^(٣) ،
والطاقة التي يعال منها البراء على علم الملكوت ، قد انفتح ، فإن النور في رؤيا صادقة ،

(١) انظر كتابها الشعرى - تمام النصوص في عصره - ص ٧ - ٨ و ١٠٧ - ١٠٨

(٢) مبدع أولي ٩٤٥

(٣) الشعرى ١ الإحياء ج ٣ ص ١٦

(٤) الشعرى ٢ كيمياء السعادة ص ١٥ و إحياء ج ٤ ص ٢٢٩

وقد تفتح أثناء اليقظة لمن أخضع الجهاد والريضة ، ونجرد من الشهوات وقبيح
الأخلاق ، واعتزل الناس وعطل طرق الخواص وفتح عين الباطن ومعه ، وجعل
القلب في مناسبة علم السكوت ، وقال عليه لا يسأله : الله الله موظياً على هذا ،
عندئذ تنمحي السكينة بحروفها ويبقى منها مجرداً في قلبه ، حاضراً فيه كأنه ملازم
له لا يفارقه ، وعندئذ يترقى المراتب رحمة الله ، فلا يبقى بعد هذا إلا الانتظار ،
بفتح الله من الرحمة بهذا الطريق ، كما فتحها على نبيه وآله ، وعندئذ يجمع لواع
الطق في قلبه ، وتفتح الطاقة ويصرف في اليقظة ما يصرف في النوم ، وينكشف له
ملكوت السموات والأرضين ، وتظهر هذه الآيات المرآية والأحداث النبوية ،
وهذا هو طريق الصوفية ، وهو درجة قد انحصرت من طريق النبوة ، وهي لا تفتح
بالعلم ، بل بدواف وجوه ... وهكذا ترجع الطريق إلى الظاهر بخص وانصافية وحلا .
ثم استمداد وانتظار^(١) .

والواصلون إلى صرابة العلم تنسق في عبي عن مشقة التحصيل وتعب التعليم ،
فيتم لهم قليلاً ويعلمون كثيراً ، ويتمون يسيراً ويستريحون طويلاً^(٢) .

وبهذا يكون الفرق بين علوم الأولياء والأبياء ، وعلوم العلماء والحكماء ، أن
الأولى نجية ، من داخل القلب ، من الباب الذي يفتح إلى علم السكوت ، أما علم
الحكماء فيجئ ، من أبواب الخواص المتوحدة إلى علم نيت ... وينتهي الغزالي في تأييد
هذا الاتحاد ، مدالاً على صحة رأيه بشواهد يستنبها من الشرع^(٣) .

(١) الغزالي في ص ١٦٧ و ١٧٨ والأحياء ج ٢ ص ١٦ و ١٧

(٢) الغزالي في الرسالة الخفية ص ٥

(٣) الأحياء ج ٢ ص ١٨ وما بعدها .

وترأى عنده أن التعلم غير ممكن لا بحاسة ، فإن جوهر الإنسان في أصل
الخطورة على سادج ، لا يخبر معه من عوالم الله ، ووسيلة إدراكها هي الخواص^(١) ،
والعلم اليتيم لا يدرئ هذه الأدوات ، ويستعرض الغزالي العلم اليقيني الذي ينبغي
طلبه ووسائل إدراكه ، ويهدي لأفئدة الناس إلى قدرة وسائل الإدراك على كشف
الحقائق ، حتى إذا انتهى إلى الشك في الخواص ثم في العقل ، فلإن من الممكن أن
تطراً عليك حالة تكون نسبها إلى عقلك ، كمسألة بطلانك إلى منامك ، وتكون
بطلانك يوماً بالإنسافة إلى ، فإذا وردت تحت الحاشي ، تبين أن جميع ما توهمت بعقلك
خيالات لا حاصل لها ، وأمل تحت الحالة هي ما يدعي الصوفية أنها حالتهم ، إذ يزعمون
أنهم يشاهدون في أحوالهم قاصصاً في أنفسهم ويخرجون عن حواسهم ، أحوالاً
لا توفى المقولات - وهكذا غمر الشك الغزالي حتى تخبر منه « لا ينظم دليل
وترتيب كلام ، بل بتورق فذنه الله تعالى في الصدر ، وذلك الدور هو مفتاح أكثر
العارف ، فمن أن الكشف موقوف على الأدلة المحيرة فقد ضيق رحمة الله
الواسعة » وهذا الدور يسجس من انوار الإنساني في بعض الأحيان ، ولهذا وجب
الترصد له والجد في طلبه ، فليس من الجدي أن نحاول إدراك الأوليات العقائدية
والبدعيات ، بنظم كلام وترتيب أدلة ، فهي حاضرة في الذهن والحاضر إذا طلب
فقد « وعلى هذا فإن إدراكها يكون بالحدس الباطني ، أو بتورق الذي يقذفه الله في
الصدر^(٢) .

وقد كان الغزالي بهذه الدعوة الجريئة ، أكبر من مهدوا الانجاء الذي عرف

(١) غزالي : المنقذ من الضلال من ١٣٦ - ١٣٧ (الطبعة الثانية لمكتب النشر العربي

بدمشق) حيث يستعرض خواص بحسب حشها في الطفل مجدداً وطبقة كل منها على حدة .

(٢) غزالي : المنقذ من الضلال من ٦٥ - ٧٥

بعده عند الصوفية في عبور الاضمحلال ، وهو الذي يظهر مخفيه بتأهفئة العلم ومقاومة النظر العقلي ، ويصرحون بأن الأمية تجعل صاحبه أكثر استعداداً لتلقي الإلهام ، وأن العلم المكتسب يعوق التهيؤ لاستقبال العلم الثاني .

بل إننا نرى عند بعض من أعقبوه من الصوفية المتألفين أسلوباً تشبه المنعوس التي أسلفناها عن القراني ، فإن عارف يصرح بأن ، علم الذي لا يحصل إلا عن عمل وتقوى وسائر ، هو المعرفة الحقيقية ، لأنه يكون عن كشف حقيقي لا تدخله الشبهة ، أما العلم الذي يحصل عن نظر فكري ، فهو لا يسلم من الشبهة (١) . بل لقد كان ابن عربي يأخذ على العلم ، في عصره ، أنه يضل عن الحقيقة ، يقول بذلك تقي الدين السبكي (٢) ، وما لبث أن عدهم أمة من أهل القراني واضحة مسافرة على هذا النحو .

ومن هنا نرى أن القراني قد قرر الإلهام وحده كدافع علمي ، ورفض أن يحل هذا عن عمل والتفكير ، أو بانسداد العقل استعداد العقل الفاعل كما ذهب الفلاسفة أو بانحدار السوء . لا حول - كما ذهب بعض الصوفية .

الكشف عن أقل الصوف الأشرافي :

يعبر السهروردي عن ما فهمه ويقول : إن النفوس الناطقة من جوهر السموات (أي عالم المجرىات والمعدلات والسموات) . وهو عالم الغيب أو العالم المعنوي أو السماوي (١) وأن ما يشهد به عن عالمنا ، هذه النفوس البشرية وما عداها ، هي أقوات النفس

(١) من شرح السهروردي - ص ٢٩٤

(٢) السبكي - ص ٢٥٩

بالفضائل الروحانية ، وضعف سلطان القوى البدنية بتغليب الطعام وتكثير السهر ،
تتخلص أحيانا إلى عالم القدس ، وتتصل بأبيه القدس ، وتتلقى منه المعارف ،
وتتصل بالنفوس الفلكية العالة بحركاتها ويلوازم حركاتها ، وتتلقى منهم الغيبات في
نومها ويقتطعها ، كمرآة تنعكس بتقابلة ذى نفس ... (١) وهكذا يتصل المرء بالنفوس
الفلكية ويدرك شتى المعلومات والمعارف في عالم الغيب ، وتلك هي غاية التصوف
التي يسعى إلى تحقيقها الإشرافيون ، وهي شبيهة بغاية الفيلسوف في السعادة التي
تتحقق عند أهل الفلسفة الإسلامية ، من الاتصال بالعقل الفعال كما أشرنا
من قبل .

موقف الفخرى، ضد الصوفية :

هذه النتيجة التي انتهى إليها الصوفية في تقرير الكشف عن عالم الغيب ،
لا يرفض التسليم بها حصومهم من الفقهاء ، ولقد صدق الأستاذ ماسينيون حين قال
إن أهل السنة لم يقولوا في نواحي جروق المعتدين من الصوفية ، فقد ذاب أهل السنة
على الاهتمام ، في معاملاتهم وعبادتهم برسائل معروفة لأهل التصوف ، وكان فقهاؤهم
الذين اشتدوا في الحظ من شأن الصوفية ، أمثال ابن الجوزي (١٢٠٠ - ١٢٧٤ م)
وابن تيمية (١٢٦٨ - ١٣٢٧ م) وابن القيم (١٢٦١ - ١٣٥٦ م) بقدرهم
الغزالي ويعتبرونه حجة في مسائل الأخلاق ، وقد صب الشاحرون من فقهاء أهل
السنة غضبهم على مریدی ابن العربی فحولهم بالوحدة (٢) ونفهم إلى موقف

(١) السهروردي ، هب كل نور من ١٣ و ١٤ :

(٢) ماسينيون : مادة تصوف في دائرة المعارف الإسلامية ، وإن كان ابن تيمية قد هاجم
الغزالي من جراء آرائه الفلسفية ، الشبه في ذلك ، و « الأحياء » الذي تضمن الكثير من
الأحدث النبوية التي لا يوافق فيها - وحمل عليه من جراء خلطه التصوف بالمتبعة - وظهر مادة
ابن تيمية في دائرة المعارف الإسلامية .

ابن تيمية بالذات . فهو حنبلي متطرف من أهل الظاهر . فلاحظ جولد تسيهر في كتابه عن عقيدة الإسلام وشريعته . وقد فقه الحديث حتى قيل إن الحديث الذي لا يسلم بحجته ابن تيمية لا يعتبر صحيحاً . وشتمت حملاته على المتطرفين من الصوفية . وأفتى بهرطقة الفاضل بخاربه لاتحاد ، وكان مصيره السجن ، وكانت آراؤه أساساً للوهابية والسنوسية بعد . وكان يعمل على ابن عربي ومن مثل مسلكه في فهم الولاية . وإشارتها على النبوة^(١) . وهو يشرح معنى الوحي في رسالة له ، ثم يعقب قائلا : والوحي بمعنى السلف للمؤمنين جميعاً ، ثم يستشهد بالآيات القرآنية على صحة ما يقول^(٢) . وليس في هذا توقف مشرط لهشة ، إذ كان ابن تيمية يرى أن صريح العقل لا يخاف صريح الذقل بحال . ووضع تأكيد هذا الرأي كتابه « موافقة صريح العقول لصحيح المتقولات »^(٣) . ويلوح لنا - مع هذا كله - أنه كان يسلم بالإلهام الصحيح عند بعض أهل الذوق والمكاشفة ، ويستشهد على صحة تسليمه ، بالوثوق به من الأحاديث النبوية ، حتى إذا فرغ من استشهاده عقب قائلا (والله صود أن هذا المجلس واقع)^(٤) ولكن معالي أستاذنا مصطفى باشا

(١) ابن تيمية : رسالة الفرق من ١٤٧ و ٢٠٠ و ٢١٠ وهو يقول في رسالته عن حقيقة مذهب الاتحاديين : إن معاني ابن عربي مع كونها كبراً ، فإن صاحبها أقرب أصحاب الاتحاد ونحوه إلى الإسلام ، لما يوجد في كلامها من كلام سيد كبراً . ولأنه لا يلتزم على الاتحاديين غيره ، بل هو كثير الاضطراب فيه . انظر من ١٢٢ من تفسيره في شرح .

(٢) ابن تيمية : رسالة تعودين ، من ١٩٢ وما بعدها .

(٣) معالي مصطفى باشا عبد الرزاق : « تفسيره في شرح » من ١٢٠ وهو يستند إلى استشهادهين راجعين ، أما كتابه المذكور في صلب كلامه فمطروح على هامش نهج السنة النبوية (مطبعة بولاق ١٣٢١ هـ)

(٤) رسالة الفرق من ٥١ - ٥٢

عبد الرزاق ، يقول في بحثه الثاني عن ابن تيمية : « وليس يرى للمعرفة طريقاً غير الوحي والعقل ، أما الكشف الصوفي فهو يذكره ويرده بالتدليل العقلي والدلائل السمعية معاً » (١) .

وهكذا يسمي أحد خصوم الصوفية من أهل السنة الخنابلة - فيما يلوح - بإمكان الكشف الصوفي الذي يأسر لأهله معرفة الغيب المحجب .

أشباه الصوفية من مدركي الغيب

إذا كان الاطلاع على عالم الغيب ، يقع بعد انصراف المزاج عن موارد الحس ، وتجرد النفس من علاقات الدنيا ، والانشغال عن التفكير العقلي ، فقد يتوافر هذا دون سلوك هذه الطريق الوعرة ، التي يسيرها أهل التصوف للوصول إلى هذه الغاية ، ومن أجل هذا كان لا بد لهم - شيئاً مع سطوتهم - من التسليم باطلاع كل من يتوافر له هذه الصفات على عالم الغيب ، فقالوا - أو قل بعضهم - بقدرة صنف من المجانين والمشوهين من مرتضى الصوفية والمزغى والعقلي على الكشف الغيبي ، وقد فرد هذا رجل من أنصار مفكرى الإسلام عقلاً وعمقياً تفكيراً - هو ابن خلدون - وسبقه إلى بعض ما قل رجل عرف بالاطلاع الواسع والتفكير الغالب ، هو الغزالي الذي ينقل هذا الرأي عن الفلاسفة .

إدراك الغيب عند المجانين والمضروبين :

تكون نفوس المجانين ضعيفة التعقل بليلد الفساد أمرجهم في أعالي الأحوال ،

(١) كتاب رعاية النفس ص ١٦٦ طعة النجدة مكتبة ١٩٥٥

والضعف الروح الحيواني فيها ، وبذلك تكون غير مستغرقة في الخواص ولا منحرفة إلى التفكير في الغيب^(١) ، أو يطلب على مزاج هؤلاء النجابين ومن يشبههم من انصروعين ، اليأس والحرارة حتى يحرقه بطلبة السواد عن موارد الخواص ، فيكون صاحبه مع فتح العينين كالجهوت الغائب الغافل عما يرى ويسمع ، وذلك لضعف خروج الروح إلى العاقل ، ومثل هذا قد ينكشف له من الجواهر الروحانية شيء من الغيب ، فيجرب على إسمائه وهو غير يشبه المذموم^(٢) ، ولكن رتبة راحم النفس على السائق بالهدى الروحانية أخرى نقشبته ، وتضعف هذه عن ما تعينها فينشأ عن هذا ما نراه من الخطأ ، ويحفظ الحق بالباطل ، لأن اتصالهم بمراتبهم لا يتم ، وإن فقدوا الحس بغير الاستمالة بالتصورات الأخنسية التي يحيط الحيل حيوطها^(٣) .

إبراهيم الغيب عن المشوطين منه سر جري الصوفية :

وأولئك أشبه بالنجابين منهم بالمعقلاء ، ومع ذلك صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين ، وقد شهد بهذا من فهم عليهم من أهل النوف ، ولا تكليف عليهم فلبسوا مقبدين بشيء ، ومن أجل هذا أكره بعض الفقهاء أنهم على شيء من المقامات ، لأن الولاية في عرفهم لا تحيى بغير عبادة ، ولكن فضل الله بؤتيه من يشاء بغير عبادة أو نحوها ، ومن أجل هذا وقعت لهم المجاز في بحث الإخبار عن الغيب . . .

(١) ابن خلدون : مقدمة من ٤٣ .

(٢) الغزالي : مدارج السالكين من ٣١٥ و ٣١٦ .

(٣) ابن خلدون : مقدمة من ٩٥ .

والفرق بين هؤلاء البهائيين المعتوهين وبين المجانين حقا ، أنهم لم يفقدوا غيوسهم
الناطقة ، وسكنهم فقدوا العقل الذي يندب بالتكليف ، ويعرف المرء به وجوه معاشه
واستقامة منزله ، ومن فقد هذا فيس يفقد نفسه ، ولا ذهل عن حقيقته ، وأظلم
ما يميزهم من المجانين أنهم لا يكفون عن التذكر والعبادة ، وإن وقع منهم هذا على غير
وجهه الشرعي لسقوط التكليف عنهم ، وتغلبوا عن الله منذ نشأتهم ، ولا يعرض
لهم الجفون في مراحل العمر لموارض مدنية طبية ، وهم يكثر من التصرف في
الناس بالخبر والشر ، لأنهم لا يقفون على إذن لسقوط التكليف عنهم ، وليس
المجانين على شيء من هذا كله — فيما يرى ابن خلدون^(١) .

ومن أجل هذا يقول « لين » Lane في معرض حديثه عن المصريين ، إن
المعتوه idiot أو الأبله fuel يعتبر في عرف العامة كأننا عقله في السوء ، وجزؤه الكفيف
— جسمه — يمش بين عامة الناس ، ومن ثم يعتبر حبيب الله — أي وليا^(٢) .

أوراك الغيب عند المرضى والمشرقيين على الموت :

يرى فريق من أهل البحث ، أن بعض معتولات النصابين بأمراض خاصة ،
تتمثل في خيالهم ، وتصل إلى درجة المحسوس ، فيصدق المريض في قوله أنه يرى
أو يسمع بل يتجالد ويصارع ، ولا شيء من ذلك في مجال الحس^(٣) ، ويلاحظ ابن سينا
في إشارات أن بعض المرورين والمريض ، يرى صوراً لا تتصل بإحساساتهم الخارجية

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٩٦ و ٩٧ .

(2) E. w. Lane, Modern Egyptians p. 234.

(٣) محمد عبد الله : رسالة توحيد ص ٩١٢ فلا يفقد ما يعرف في علم غيب بالأوهام

في كثير ولا قليل ، ورد هذا إلى الخيلة باعتبارها مصدر الصور الباطنة^(١) . وثبت
فيما يقولون بشجارب الساديين من الأطباء ، أن بعض هؤلاء المرضى يخبر بالغيبيات
وبالأمور قبل وقوعها فيصدق ، والحوادث في هذا العدد تشير العجب^(٢) .

فأما القتلى فإنهم حين انفارقتهم رؤوسهم وأبدانهم ، يتقون أنباء تتصل بهم
الغيب ، ويقال إن بعض الجوارزة الظامة ، قد قتلوا بعض الساجين ليعرفوا من كلامهم
إبان قتلهم ، عواقب أمورهم في أنفسهم ، وثبتهم هؤلاء بما يشير الدهشة ، وقيل إن
الآدمي إذا أدم في دن محلول بدهن السمسم أربعين يوماً ، يغدق بالثمن والجوز حتى
يذهب لحمه ولا يبقى إلا عروقه رأسه ، وخرج من ذلك الدهن وحف عليه الهواء ،
فإنه يجيب عن كل ما يسأل عنه من عواقب الأمور خاصة وعممة ، ورغم أن هذا من
أفعال من كبار السحرة ، إلا أنه كذب لما عن عجائب العلم الإسلامي ، ومن ذلك
ما نراه عند من يتحدرون من جدهم أن يموتوا موتاً صاعداً ، فيموتون على قتل جميع
القوى البدنية ثم تنمو آثارها التي تولدت بها النفس ، ثم تغذيها بترداد قوة ، ويقع
هذا بجمع الفكر وكثرة الخلق ، والتعريف على سبيل اليقين أن الموت متى نزل
بالإنسان ، ذهب الحس ونزل حيدره ، وانضمت النفس على ذاتها وعالمها ، فهم لهذا
يتحاولون أن يحصلوا على هذا ولاكتساب ، يقع قبل الموت ما يقع بعده ، وبذلك
تطالع النفس على عالم الغيب^(٣) وليس عجيب أن يؤدي الموت إلى كشف الغيب ، فإن
من يموت ، يتحول من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت ، فلا يرى

(١) من سبب في شرحه ، وفيه كلام عن أرسطو - أنظر مقدمة تايه والخمين من
الكتاب الأول في علم الغيب نؤمنه شيعيون -

(٢) قرن رشيد رضا في هامش له على رسالة التوحيد ص ١١٣

(٣) ان خدمون في المقدمة ص ٩٥

بمعينه الظاهرة ، بل يرى بالعين التي حُفَّت في كل قلب ، وليس يمنع إيمانها ، لا غشاة الشهوات^(١٩) ، وبين القلب والنور لمحتوم الذي نقش فيه كل ما قضى الله إلى يوم القيامة . يقوم حجاب قد يكشف في الدم والبقعة ، ولكنه لن يرفع هذا الحجاب ، إنما يكون بالوت^(٢٠) . فقلب ينسج ثوب منسجه ، لم يبق ثمة خوال ولا حواس ، برصيص إمبروش ولا حيال . تمتدح النافذة التي إيلى منها المرء على عالم الملائكة^(٢١) .

منابع الكشف المحوري في التراث القديم^(٤٥) :

المختلف الذين تناولوا أروع التصوف الإسلامي - واستشرافين وشرافيين - في
في المباحث التي صدر عنها ، وخاصة في الحديث عن ما يقع إلى صدور عنها التصوف
في مرحلة من مراحل التاريخ ، هي التي كانت في يد المؤلف القليل .

يذكر في هذا الكتاب ما يتعلق بعلوم الدين والعلوم الشرعية
أولها أنه كان طريقا من طرق الفقه وهو الذي كان يسمى بالمشرك
والزهد في الدنيا ، وأما ما يتعلق بعلوم الدين ، وكان يقابل علم
الفقه الذي يتناول مواهب المذاهب والعلوم ، وبعد ذلك ما يتعلق في هذا الفصل ،
ولما نشأ البحث في العقائد وتضمن ما يتعلق في طريق النظر أو النفوس المقدسة ،
وتوجهت منه إلى التماس معرفة غيبيات المذاهب ، فمدح الكمال الديني

$$V_0 = \frac{1}{\sqrt{\pi}} \int_{-\infty}^{\infty} V(x) e^{-ix} dx \quad (1)$$

12. 12. 1950. 143

[illegible]

(۵) اصغر بن زید، مسکون شہرہ بعض حدیث و حدیث سے شریفی سے جامع و فی
کتابہ میں و احمد بن حنبلہ فی کتابہ میں و احمد بن حنبلہ فی کتابہ

هو الخماس الإيمان والمعرفة من طريق التصفية والكشفية ، وأصبح التصوف عبادة
عن بيان هذه الطريقة وسهولتها ، وأصبح بذلك طريقة معرفة يقبل طريق أبواب
الغنى من المتكلمين ، واعتبر عن الكشفية ، وهو نور يقهر في الخلق عند تطهيره
وتذكيته من صفاته المذمومة ، وتكشف بذلك النور أمور كثيرة ، ثم شاعت بعد
ذلك أدبيل الفلاسفة والمتكلمين في الصانع ومصدر الوجودات عنه ونحو ذلك
(فتكلم الصوفية في هذا كما هي من مذهبهم الذي لا يعتمد على نظر ولا نص ولا معرفة
إلا من ذوق ما ذاقوا ، وهم يزعمون ما تكلموا به حق اليقين الذي لا يقبل شكاً ولا
الحق بطلاناً ، ولا يدركه إلا من ألم رتبة العرفان) ، ويقول معالي الباشا إنه لا يشكر
أن التصوف في هذا الدور لم يحل من آثار بعض ما وصل إلى المسلمين من معارف
الأمم القديمة ، ولكنه مع ذلك لا يزال أحد الصبغة الإسلامية الغالبة في هذا العلم
الوليد ، ولا يسلم برأى حواله أسير في ضرورة تقدير النصيب الهندي الذي ساهم في
تكوين هذه الطريقة الدنيوية المتولدة من الأفلاطونية الجديدة (١) .

وهذا رأي سليم فيما ينوح ، أما التأثيرات القديمة القريبة التي بشر بها معالي
الباشا فربما كانت - فيما يرى - الأفلاطونية الجديدة والغنوصية والروافية والفيثاغورية
ونحوها ، وقد يستلزم الحديث عن هذا كما : الإشارة إلى آثار اليونان والرومان
قدماء الشرفيين في هذا الصدد ، بل ينبغي أن تبدأ ببيان موقف الدين الإسلامي ،
وإن التصوف إذا لم يتصل بالعناصر الدخيلة ، وبقي في نطاق الزهد الإسلامي ، أكان
باعتبار أن يتطور ويتحول . وإن كان تطوره سيكون على غير الوجه الذي نراه
الآن بعد اتصاله بالعناصر الدخيلة فيما يقول نيكسون (٢) .

(١) معالي الأستاذ مصطفى باش عبد رزاق في تعقيب على مادة تصوف بالنسخة العربية
سيرة المعارف الإسلامية .

(2) Nickolson : Mystics of Islam p. 20 and A. Litt. Hist of the
Arabs p. 392.

موقف الدين الإسلامي من هذه الآراء

ذهب الصوفية واتباعهم إلى أن هذه الأفكار قد وردت تصرّحاً أو تلميحاً في آيات قرآنية أو أحديث نبوية ، ومن أجل هذا - وبما لم يرد - فإن ابن خلدون ، إن متأخري الصوفية الذين تكلموا في الكشف وما وراء الحس ، ودفع الكثير منهم إلى الخلق والوحدة ، يتجهون إلى الإسلام ويستقون منه مبادئهم . وقد خالفوا الإسماعيلية المتأخرين من الزائدة الذين يدينون بالخلق ونشأه الأئمة ، ونظم في كلام الصوفية القليل وممنه رأس "العرفين" ، وزعموا أن الله سبحانه وتعالى في المعرفة حتى يقبضه الله ويورث مقبضه الآخر من أهل العرفان^(١) ، ويقول العرفاني إن الله يقول وعلمناه من السماء ، مع أن الله مصدر كل علم ، فلا أن بعض العلوم يحى ، أو اكتساب بالعلم ، ويست هذه علوم مادية ، لأن العلم القلبي هو الذي يتمتع في سر القلب من غير صوت ، مأثور من الخارج ، بل يحى ، بالتقوى والعمل الصالح . قال تعالى : أيتها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم مردداً - قيل يورثكم به - إلى الحق والباطل ويخرج من الشبهات ، ولهذا كان الرسول بكثير في دعائه من سؤال النور ، فيقول اللهم أعطني نوراً وزدني نوراً واجعل في قلبي نوراً ... وصرح القرآن بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف ، وذلك علم من غير تعلم ، وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » من الإشكالات والشبه ، « ويرزقه من حيث لا يحتسب » أي يعلمه علماً من غير تعلم ويفضله من غير تجربة ، وقال الرسول من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم ، ووقفه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ، ومن لم يعمل بما يعلم

(١) ابن خلدون ، المقدمة ص ٣٩٥

آناء فيما يعلم ولم يوفق فيها بعمل حتى يستوجب النار ، وهكذا يروى أهل الباطن^(١) الكثير من الآيات والأحداث التي يثبتون بها أن الله مصدر وحى الأولياء وأهل الكشف ، وأن العمل الصالح والتقوى الله ، هي التي تهبط النفس الإنسانية إلى نور والإلهام ، وأن مصادر هذا كله موجودة في القرآن والحديث ، وإذا جاز أن يقال إن الغزالي ليس محدثا ولا يحسن رواية الحديث ، جاز أن يقال إن الخطابة من أهل الظاهر يسلمون بالكشف الصحيح ، ويؤمنونه بآيات الله وأحداث رسوله ، وقد عرفنا هذا من بعض ما أسماه ، ومن ذلك أيضا ما يرويه ابن تيمية عن صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي أنه قال : « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » فهذا أحبه كفت منه الذي يسمع به ويعمر الذي يبصر به ويده التي تعمل بها ، الخ ويروى عن الغزالي أن النبي قال : « تقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر نور الله » ويورد من آيات القرآن ما يشهد بصحة هذا الرأي^(٢) ، وهذا أصبح للإسلام عند الصوفية وأهل السنة مع ، مصدر الذي استقى منه التصوف القول بالكشف المؤمن للغيب ، عن إلهام إلهي لا دخل فيه لعمه أو تجربة ، وقد اعتمد أهل التصوف على هذا ، وابتغوا في تصور التقوى والعمل الصالح حتى أتوا الدنيا وأبقوا على الحياة الآخرة وحدها ، ولهذا ما يبرره في الإسلام نفسه ، فالحق وإن كان قد جمع بين الدنيا والآخرة ، إلا أنه أثر الآخرة في الكثير من آياته .

الكشف الصوفي في تراث اليونانية والرومانية : موقف الرواقية :

يعبر « كونتوم » الرواقي عن الآراء السائدة فيقول : « إن في النفس الإنسانية

(١) عزى - في الحديث ج ٣ ص ٢٠ و ٢٢ وقد سبعا هذه الأحاديث مؤرخين لا مؤيدين .

(٢) ابن تيمية : رسالة التوحيديين ص ١٩٩

مالكة ملازمة لها ، تتكلم من الفجس أو سبق النظر باستقبال ، وقد بطن كذا النفس بهذه المالكه ، وحسن بركاته جزء ، مكرها لها ، فقامت هذه المالكه على غير قياس ، سميت راحة أو راحة ^(١) ، ويكرر هذه المعنى قائلا ، إن الطبيعة البشرية تبين عن مفسرتهم على النبوة بالغيب ، عند ما تتخلص من علائق الجسد ، وهذا ما يقع في الرؤيا ، أو في الأوقات التي يعزى فيها النفس جوارب أو الجسم لها ، وليس في ذلك من بدع ، فإن نفوس الأهل به في بعض بعضا ويدرك كل منها ما يفكر فيه غيره ، دون الاستمالة بخير من من بين أو أذن أو لسان أو نحوه ، والناس لا يدورهم الشك في أن الآخرة على علم بكل تصرفاتهم ، ولو كانت في خفاء ، فكذلك الحال في نفوس البشر ، عند ما تمر بك بغيرها ، علم الغيب حين تنجرد من علائق الجسد وتتخلص من مشهوراته ، دون أن تستعين بالنظر أو السمع أو نحوه من أدوات المعرفة الحسية ^(٢) .

وهذا بقرر الرواية ما يقرله إخوان النصف وغيرهم من مفكرى الإسلام الذين قالوا بوجود قوة تكمن في باطن النفس البشرية ، تمكنها من كشف الغيب عند ما تنجرد النفس من علائق الجسم وشبهواته ، وهذا نفسه ما يؤكده « كوثوس » حينما يقول إن التمكن الطبيعي يعزى إلى الطبيعة الإلهية ، وأن النفس أثناء اليقظة تستبد بها مطالب الحياة اليومية ، فيمنعها هذا من الاتصال بالنفوس الإلهية ، وأن من المحقق أن النفس لا تستطيع هذا النوع من التمكن ، إلا إذا كانت من الحرية بحيث لا تتصل بالجسم بإفلا ، كما يقع في حالات الخشب أو الرؤيا العارضة ، ولا غرابة في هذا ما دنا سلم بوجود الآلهة وهيمنتهم على الكون ، بما لهم من سبق النظر بالمستقبل ، وتديرهم لشئون الناس جماعات وأفراد ^(٣) .

(١) شيسرون : الغيب في غمرة الخدعة وثلاثين من كذب الأول .

(٢) المصدر السابق : في غمرة لذة وأخمين من الكائنات لأول .

(٣) المصدر نفسه في الفقرات من ٢٩ - ٤٦ .

الفنوصية والأفلاطونية الجديدة وأثرها في الكشف العرفي :

وقد امتزجت الرواقية والفيثاغورية والأفلاطونية بعناصر فارسية وسريانية ونحويها ، ونال من هذا كله مزاج تشيع بروح صوفية تجت أول الأمر في مذهب الفنوصية الذي عاش في القرون الأربعة السابقة لميلاد ، وقصد أصحابه إلى إدراك كنه الأسرار الربانية عن طريق الكشف العرفي . لا يأنه رهاق والاستدلال العقلي ، ثم شاعت هذه المعتقدات في التصوف الإسلامي الذي حاربته أهل السنة أول الأمر ، ثم سلخوا به وأقبلوا عليه بعد أن روج له الغزالي ، وتأثر التصوف الإسلامي الرسول بالروح الفنوصية ، ولو حفظ أن الأرواح القدسية التي كانت في الهيكلية ، قد ظهر ما يقربها في الإسلام بوجود الأولياء إلى حد أن أصبح محمد ، وهو نموذجهم الأعلى ، هو العقل الوجود منذ الأول والرحيم الخالق القدير ، وهكذا تأثر التصوف وفرفته في هذه المعتقدات طيبيية إلى جانب تأثره بالأفلاطونية الجديدة والفيثاغورية الجديدة فيما يقول الأستاذ بيكر في محاضراته عن تراث الأوائل في الشرق والغرب ، وكما يظهر من مقال « جولداسبير » عن العناصر الأفلاطونية الحديثة والفنوصية في الحديث النبوي^(١) .

أما فكرة الخلق التي شاعت في كتب التصوف الإسلامي ، فقد كانت معروفة في الأفلاطونية الجديدة ، وقد فطن « سانت هيلير » إلى ردها إلى أرسطو ، لا إلى الأفلاطونية - إذ قرر بأن السعادة تكون في شغل العقل (التأمل) ومشاهدة الذكاء ، وذلك أن أرسطو يقول إن الغرض الأخير للحياة ، هو فاعلية النفس بالخاصة تفضيلة ، وهي فضيلة تفكير ، وقد ساءت هيلير إن الاسكندر بين قد ذهبوا

(١) قرن هذا في ترجمة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بسوي في « تراث اليونان » .

في هذا المذهب الأرستاطاليسى إلى نهايته ، فأداهم هذا إلى القول بادعاء الولاية
ومضالات الغيبوبة^(١) .

وفي الحق لقد شاع عند الرومان التغيُّر بالغيب أثناء الجذب ، وكانت له آلهة
تتولاها ، وكان موضع ثقة عند الناس ، وأشهر هذه الآلهة « بيلونا » Bellone التي
أشار إلى بعض نبوءاتها المؤرخون من أمثال تيولوس Tibullus وجوفنال Juvenal
ولوكان Lucan ، وكذلك يقال في الآلهة « ما » Ma والآلهة سيبييل Cybele
ولكن المؤرخين قد أشاروا إلى أن اليونان قد استعاروا عن الشرق القديم الكثير
من هذه المعتقدات .

في التراث الشرقي القديم :

يقال إن الآلهة « ما » قد نشأت عند الرومان من آسيا الصغرى ، حين كانوا
يمتثلون في أرضها تحت إمرة « سار » ويشهد بهذا الجوتارك في (حياة سار) وقد
كانت آسيا الصغرى في أواخر عهد الجمهورية مهداً للحروب ، ويقول الجوتارك إن
« سار » كان قد رأى هذه الآلهة في حلم وقع له . أما الآلهة « سيبييل » أم الآلهة ،
فهي أسيوية نمت بقرار من مجلس الأعوان أثناء حروب هانيبال وقد قرر
المجلس نقلها بعد الاطلاع على ما ورد في هذه الكتب بشأنها .

ويضاف إلى هذا أن كهنة هؤلاء الآلهة كانوا يسمون Fanatici أي المجانين
أو المجاذيب ، وكانوا يقطعون أنفسهم حتى يسيل الدم من أبدانهم ، ويذبحون أنفسهم
لا يشعرون ولا يدرون ما يفعلون .

(١) سانت هيبير في مبحثه ترجمة لأخلاق لأرسطو ترجمة الأستاذ لطفى السيد ناشد .

أهل الكشف من المجانين والمرضى ومن الهرم :

أشرنا إلى موقف بعض مفكرى الإسلام من هؤلاء في قدرتهم على كشف الغيب ، ولم نعتد في القرآن والحديث على ما يؤيد وجهات نظرهم ، ولكن لهذا الموقف شعبها في التراث القديم :

فلرواقية يسلطون بقدره النفس على التنبؤ بين النوم - لأهل تكون حية وقوية ، ودولاً إنها تكون أوفر حياة وأعظم قوة عند ما يدركها الموت ، إذ تتجرد من علائق البدن في هذه الحالة كل التجرد ، وبهذا أعظم قدرتها على التنبؤ بدورها من الموت ، والذين يعتبرهم مريض شديد مهلك ، يرون الموت وهو يوشك أن ينقض عليهم فيها بقول كونتوس^(١) ، وقد ذهب أرسطو من قبل إلى القول بأن انصايين بالسوداء ، تقوم في باطن نفوسهم قوة تحكهم من التشكين^(٢) وقد دال « يوسيدويوس » لرواقى على قدرة الشرفيين على موت على التنبؤ ، مستشجداً بقصة رجل من أهل رودس ، ذكر وهو على فراش الموت أسماء ستة رجل من عمر واحد ، متنبئاً بموت كل منهم على الترتيب^(٣) وأيد « كونتوس » هذا الرأي بقصة رجل تنبأ وهو على كومة الخشب التى سيحرق عليها جثته بتصرع الإسكندر الما جلى ، وتحققت نواته بعد أيام قلائل^(٤) ، وفي الحق إن المفكرة أعرق في القدم من الرواقية ، فإن

(١) شيسرون ، في تحفة ثنائين من كذب أدون .

(٢) أرسطو ProbXXX ص ٤٧١ : ولخص أن كونتوس - ينظر برأيه ، ورد هذا إلى نفس سيرة لأجسار من - فارق لفرة ٣٨ من كذب الأول في شيسرون ، وهذا يختلف رأيه في لفرة ثنائين - ساقطة تذكر -

(٣) شيسرون في لفرة ٣٩ من كذب أدون . وفارق لفرة ثمانية وخمسين في الكشاف

لهم .

(٤) مصدر اسمه في لفرة ثمانية وخمسين .

« ديودورس » العقلي يقول إن فيثاغورس وغيره من قدماء الطبيعيين ، قالوا - اعتقاداً منهم بخلود النفس - إن النفس تدرك المستقبل في اللحظة التي تنفصل فيها عن الجسد ، ويكرر (سكتوس إمريكوس) نصاً لأرسطو مقررّاً أنه يُميد ما يرويه هومير في الإلياذة في هذا الصدد ، وقد روى « هومير » أن « هكتور » كان يقتل « باتروكلوس » فتنبأ الأخير قبل أن تفارق روحه جسده ، بأن قتل هكتور سيقتله « آشيل »^(١) ، وما تحقق هذا ، تنبأ هكتور قبل أن يلفظ نفسه ، بأن آشيل سيقتل على يد باريس بمغومة أبولو^(٢) ، وقد أهد القول بتنبؤ الشرفيين على الموت ، بعض المتأخرين من الأطباء ، فإن « أريستو » Aristeo - على سبيل المثال - يقول في أسباب الأمراض الحادة وأعراضها ، إن السمكات العقبية تختطف نشاطها أثناء الإصابة بالحمى الحادة ، بل إن المرضى يتنبأون خلالها بموت أنفسهم ، ويعانون المستقبل القريب لمن يجعلون به^(٣) .

حسبنا هذا عن تنبؤ المرضى والشرفيين على الموت ، أما المجانين والعشويون والعتوهون من مريدي الصوفية ، فقد ذكرنا عن حالات الجنون والنس في المذهب الإسكندري وعند الرواقية ما يكفي في هذا الصدد ، وحسبنا أن تشير إلى أن الرواقية مثلاً ، قد آمنوا بأن العتوهين من أمثال « كساندرا » يكشفون الغيب الذي لا يقوى على كشفه الحكماء من أمثال « بوليم » ولا يرون غمضة في جهل المرء في هذا ، قائمين بما يرون وما تشهد به تجاربهم^(٤) ، وإن كان أئمة الأكاديمية الجديدة من

(١) هومير : الإلياذة في المخطوط - من عشر سطور ٨٥٣ و ٨٥٤ .

(٢) انظر - مثلاً في المخطوط الثاني والآخرين من ٣١٠ من طبعة Flammarion .

(٣) شارل أبول في حياته عن شرفيين (صفة سارية الخراب) .

(٤) شندرون في فترة خمسة والسبعين من المخطوط الأول .

أمثال شيشرون ، لا يسلطون بهذا الرأي الذي يخضع على من فقد العقل البشرى عقلا إلهيا ، ويحاولون أن يثبتوا بأن سبيل ه كانت تتنازع بالعقل المركز ، لا الخ المتنازع ولا الذهن الخيول^(١) ، وحسبنا أن تشير إلى أن رأي الرواقية السالف ، هو الذي تردد صداه عند ابن خلدون وغيره من مفكرى الإسلام - فيما يلوح - وأن هذا الرأي نفسه ، هو الذى عرفه مؤلفو المسيحية في نظريتهم التى قرروا فيها سمو الجاهل صاحب القلب الديسب الصافي على العالم العاقل ، وعلموا الطفل على الرجل الناضج ، ونفوق ففدى الوعى على من يمتد أنه أوفى الحكمة^(٢) ، وأليس هذا نفسه هو الرأي الذى ذهب إليه بعض صوفية الإسلام ، حين قالوا بأن التعلم والتجربة ونحوهما ، يعوق الكشف الصوفى ويمنع العلم الملقى - على نحو ما آتينا من قبل .. ؟

إن عدوى الثقافات وتزاوج الآراء لا سبيل إلى إنكاره . ولكن التشابه فى الأفكار بين الشعوب ، قد يكون مرده إلى صدور هذه الأفكار جميعها عن مصدر آخر يسبقها ، وكثيرا ما يكون مرجعه إلى طبيعة العقل البشرى ، الذى يستجيب للؤثرات المتشابهة بأفكار واحدة ...

(١) انظر السلفى مقدمة من الكتب التى .

(٢) شارل أبون فى مقدمة نشر الجيا - ق .

الرؤيا الصادقة^(١)

اتفق جمهور مفكرى الإسلام ، على القول بانك الله بطام على غيبه من شاء من عباده ، فى بقطة أو مندم أو قبهما مما ، فإن وقع هذا إبان البقطة كان مظهماً للنبوة أو الولاية أو نحوها مما عرضنا لبيان من قبل ، وإن وقع أثناء النوم كان رؤيا صادقة ، فإن لم تكن يوحى من الله لكشف غيب كانت أضغاث أحلام ، أدت إليها وسوسة نفس أو غلبة مزاج أو وحى شيطان ، أو نحو هذا مما اعتبروه أضغاثاً لا تقبل تأويل ولا تستحق اهتمام . ! وسنهمل أمر هذه الأضغاث لأنها لا تدخل فى نطاق هذا الكتاب ، وإن كان مفكرى الإسلام قد أجادوا فى تصويرها وتعليلها مما .

عمدة الرؤيا بالنبوة والولاية :

وقد ذهبوا إلى أن الرؤيا تتبع من نفس العين الذى تستقى منه النبوة والولاية ،

(١) الجزء الأول فى هذا الفصل مفقود عن نسخة دار المعارف المذكورة . بترية شريف المتأخرة ، وكان دراسة مفصلة فى موضوع الأحلام . وقد سطرنا سبق هذه آراء إلى الاكتشاف ، باقتباس فقرات مقتضية موجزة تظهر إلى بعض المذهب الإسلامية فى هذا الصدد ، وإجمال منابع هذه المذاهب أو ما يغايرها فى التراث يودى وشرقى كشمس ، كما صغرنا منهم بخطا إلى أن نقلنا هنا ذكر مذهب الجدين من علماء النفس ، وهذا كجه بعض فى خطأ لا بدى عن الأحلام ، وقد ظهر هذا التفسير (سبتمبر ١٩٤٥)

وإن كان حظها منه أقل كماً وكيفاً ، فلنعرض رأي ابن خلدون كنموذج لهذا الاتجاه :

يرى ابن خلدون أن للعقل نقطة يحسن التفكير في مجاله ، فهو يدرك العلم الذي يستند إلى المشاهدة ويعتمد على التفكير النظري . وهذه هي مدارك العلماء ، فإن تجاوز العقل هذا النطاق إلى ما وراءه ضل سبيلاً ، ووراء العقل نطاق يرتاد المرء مجاهله بنوع من الإدراك يقوم فوق مدارك البشر ، وهو يتوافر في الأنبياء وبشيء الأولياء ، ومع الناس نموذج منه ، يتبدى فيهم بفتح لهم من صادق الأحلام وهم نيام ، واهتداء النفوس إلى هذا العالم العلوي غير عسير ، لأن في النفس البشرية استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الملكية . تتصير ملكاً بالعقل في نحة من الممحات ، وعندئذ توجه إلى الملأ الأعلى وتتصل به طارئة لا كتاباً ، وبهذا تتجاوز مثل هذه النفوس صرامة العلماء الذين يعجزون بطيهم عن بنوع الإدراك الروحاني ، لانصالحهم بالمدارك الحسية الحياتية التي تؤدي إلى اكتساب العلوم التصورية والتصدقية ، مما ينتهي بالأوليات ولا يتجاوز نطاقها ، فإذا ترقى النفس تجاوزت هذا المجال ، واتجهت بالحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والإدراك الذي لا يقتصر إلى الحس ، فيتسع نطاق إدراكها بالقطرة حتى تتجاوز الأوليات التي يقف عندها الإدراك البشري الأول ، إلى فضاء المشاهدات الباطنية ، وتنتهي مدارك الأولياء ، أصحاب العلوم الدنية والمعارف الربانية ، ويظن بها أهل السعادة في المرح بعد مماتهم .

وقد ترقى النفس المتطورة على الانسلاخ من البشرية جسمانياتها وروحانياتها إلى اللاتسكة من الأفق الأعلى ، تتصير في نحة من الممحات ملكاً بالعقل ، فتشهد أهل الملأ الأعلى في أفقهم ، وتستمع إلى الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك الممحة ،

وتلك هي نفوس الأنبياء في حال الوحي التي فطروا عليها ، ولم يظفروا بها صناعة ولا اكتساباً^(١) .

فالنفس ذات روحانية مدركة من غير آلات بدنية وأدوات حسية ، وهي أقل في الدرجة من نفوس الملائكة أهل الأفق العالي الذين لم يستكملوا ذواتهم بشيء من مدارك البدن أو غيره ، وهذا الاستعداد السالف يقوم في النفس ما دامت في البدن ، وهو على صنفين : صنف خاص بنبي الأوتياء ، وآخر عام في البشر جميعاً وهو الرؤيا العارضة ، أما الاستعداد الذي يتهيأ للأنبياء ، فإنه يكون بانسلاخ النفس من البشرية إلى الملكية المحضة ، وهي أعلى الروحانيات^(٢) .

ومثل هذا وراء عند غير ابن خلدون ، فتفترق بصرح بأن الرؤيا طور ضعيف من أمطار النبوة^(٣) وبنيهما وبين النبوة صفة واضحة المعالم ، يقوم فيها إلهام الأوتياء ، الذي يعتبر ضعيفاً بالإضافة إلى الوحي المبين . فويقال بقياس إلى وحي الرؤيا^(٤) .

مذاهب المفكرين في تصور الرؤيا وتلقيها :

نتأخذ من وجهات النظر الإسلامية في هذا الصدد في اتجاهين ، أحدهما شرعي صوفي ، والثانيهما فلسفي ميتافيزيقي ، فنعرض الاتجاهين في إيجاز :

(١) ابن خلدون : مقدمة ص ٨٣ - ٨٤

(٢) المصدر نفسه ص ٨٩

(٣) المعنى : الأعداد من ١ إلى ٢٢٨

(٤) غزالي : الرسالة الخفية ص ٣

الإنجاء الصوفي :

يرى الإنسان فيكون من الصوفية أن النفس من عالم الجبروت والمقولات ، فهي تستطيع أن تدرك المدركات الجبروتية التي تكون من جنسها . إذا لم يشغلها شاغل من علائق البدن ، فإذا قويت النفس الروحية ، وصفت سلطان القوى البدنية ، تتقابل الطعام ونمكثير السهر . تتخلص أحياناً إلى عالم القدس وتتعلق بأرباب القدس وبأنفوس الغائكية وتتلقى عنها القيمات في نورها . كما يقع لها هذا في بقلتها ، كرامة تتلقى بمقابلة ذي نقش^(١) ، وهكذا يظهر من شواغل البدن ، ونشأنا كبرياء الحق والنور القاطن من نفسه ، وجدنا في أنفسنا بروا ذات برقى ، وشهوة ذات تشريق ، وشاهدنا نوراً ، وقصيداً أوطراً^(٢) . وهذا يتعكف الإنسان من الاتحاد بروح القدس النسخي عند الحكمة بالعقل القملى ، وهو أيقنا ورب طمهم نوعنا ، ومفيض نفوسنا ومكناها بالسكالات المربية^(٣) .

وذهب القائلون بوحدة الوجود من الصوفية إلى أن وصول المبدأ إلى خلقه غير ميسور مع وجود الاثنية . فلا بد من إفتائها أولاً ، عندئذ لا يهبط الوحي من كائن أعلى مستقل عن الإنسان ، وإنما ينبع من نفسه ، فالوجود حقيقة واحدة ، وما نراه من تعدد وكثرة ، مرجعه إلى آثار الخواص والعقل القملى يعجز عن إدراك الوحدة الذاتية للأشياء ، وقد ظهر الوجود الحق في صورة السكبش في مقام إبراهيم الخليل ، كما ظهر في صورة إسحاق ، لا وما ناب إلا عن نفسه ، وما فدى منها إلا

(١) السهروردي : هياكل نور من ٤٢ - ٤٤

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢

(٣) المصدر نفسه ص ٢٨

بنفسه الظاهرة في الصورة الكبشية » وعلى هذا فوحى الرؤيا لا يهبط من خارج ، وإنما يصدر بهذا المعنى ، من باطن النفس ^(١) .

ويرى الصوفية إجمالا أن اليقظة التي تتوافر لك بالحس هي النوم ، وأن الحلم الذي يتبين لنا بالفعل هو اليقظة لا محالة ، ولغاية الحس عنا غمما الأمر على خلاف وجهه الصحيح ، فإن غايته العقل على الحس ، ظهر وجه الحق في ذلك ^(٢) ، فإن المرء إذا ارتقى في حال المعرفة ، أدرك أنه دائم في حال اليقظة المعبودة ، وأن الأمر الذي هو فيه ، إنما هو رؤيا إيحاء وكشف ، وقد ذكر أموراً وافقة في ظاهر الحس وذن : فاعتبروا ، وقد إن في ذلك لعمرة - أي جوزوا أو اعتبروا بما ظهر لكم من ذلك ، إلى علم ما يبطن فيه ، وفي الحديث النبوي : الناس نيام ، وإذا ماتوا انهبوا ، ولكن لا يشعرون ، وهذا شاهد على أن يقظة الوجود يوم ^(٣) . ولكن الناس يحسبون وهم أن المعرفة تقع بأن اليقظة ، مع أن المرء لا يعرف حالها شيئا من عالم الغيب ، وما يصره بين النوم واليقظة أولى بالمعرفة ، مما يدرك عن طريق الخواس ^(٤) . والم لوح المخطوط مرآة نقشت عليها المقادير بغير حروف ، ولو ظهرت تجاهها مرآة أخرى ، لانكشفت فيها صور الأولى ، إلا إذا قام بينهما حجاب ، وبست المرآة الثانية إلا القلب ، والحجاب هو الشهوات والخواس ، ويتمجلي هذا في اليقظة ، أما النوم ففيه يرتفع الحجاب ويذول ، وبذلك تظهر في مرآة القلب صور اللوح المخطوط ،

(١) ابن عربي : تصوف الحكمي ص ١٤٦ - ١٣٧ وكتب مذكور غيبى عنه وتعبه على مقال ابن عربي في نسخة عربية في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) أبو حيان التوحيدى : المقدمات ص ١٧٩ - ١٨٠

(٣) ابن عربي : الفتوح ج ٢ ص ٤٩٩ والتهانوى في كشف : لمصطلحات ج ١

ص ٤٥٩

(٤) الغزالي : كيمياء السعادة ص ١٤

وتكشف للنفس آفاق العالم المجهول^(١) ، فإذا سلطنا بأن النفس تكون عند النوم في أعظم حالاتها ، زال العجب من وقوع العلم بالغيب بإثباته ، ولكن الرؤيا لا تقع لكي تأثم ، ولا تنجي في كل يوم ، إنما تعرض للمؤمنين عن ضربين الملائكة ، فأما المؤمنون فإن نفوسهم قد صفت وتحررت من صفات الأفكار الفاسدة ، وصدق الرؤيا يكون بمقدار ما يكون هذا الصفاء^(٢) ، وهو لا يتحقق إلا بتجرد النفس من شهوات الجسم ، التي تسكون على عين القلب غشاوة تمنعها من الإبصار ، وهذه الغشاوة مقشعة عن عيون الأنبياء ، ولكن الجلاء البصري الذي نهبأ لهم ، لا مطامع فيه لإسنان ، والمبشر نوع من الشاهدة الضميمة بثوابه أثناء النوم ، لأن النوم يمنع الخواص عن العمل^(٣) ، ومضى تجردت النفس عن المواد الجسمية والدارك البدنية ، فصحت روحانية ، وارتفع حجاب الحس ، ويقع هذا عند سبب النوم أحيانا ، فتقبس بها علم ما تشوف إليه من الأمور المستقبلية ، ونعود بها إلى مداركها^(٤) ، وإذا كان الموت أخا النوم ، زال العجب من انكشف الحجاب بإثباته ، ذلك أن الموت يحول صاحبه من عالم الملك والشهادة ، إلى عالم الغيب والملكوت ، وبهذا يرى بالعين التي خالقها الله في كل قلب ، ولا يموهها عن النظر إلا غشاء الشهوات^(٥) ، ومن أجل هذا حاول بعض الناس أن يموتوا موتا صناعيا ، بقتل جميع القوى البدنية ، وتغلبها بالذكر والجوع ونحوه^(٦) ، وفي النوم يذهب الحس ويؤول حجابيه ، على نحو

(١) الغزالي : الأحياء : ج ٥ ص ٢٩٠ وكبير : مقدمة ص ١٥

(٢) ابن خزم : ج ٥ ص ١٩

(٣) الغزالي : الأحياء : ج ٥ ص ٢٩٠ وج ٣ ص ١٦ وكبير : مقدمة ص ١٥ وما بعدها

(٤) ابن خلدون : المقدمة ص ٨٩ - ٩٠

(٥) الغزالي : الأحياء : ج ٥ ص ٢٣٨

(٦) ابن خلدون في مقدمته ص ٩٥

أضغف مما يكون في الموت ، ولهذا تقع الرؤيا الم دقيقة بانه ، ويكون الكشف فيها أقل في العادة منه عند الموت . وهكذا تتمكن النفس من الاتصال بأجواهر الروحانية الشريفة في حال الموت ، الذي تنصرف فيه النفس عن شغل الحواس ^(١) .

وأما الملائكة التي تتلقى عن نفوس المؤمنين هذا العلم أثناء النوم ، فهي نفوس الموتى من أهل التقوى ، فإن هؤلاء ، إذ التزموا الخلق القويم ، وانفقوا في الدين حتى يخرجوا من مراتب الجهالة ، والتزموا أكرم الأخلاق منذ صباهم ، وذكروا في الدنيا وأحوالها ، حتى انهم يراون يوم القيمة والجهالة ، كانت نفوسهم ملائكة بالقوة ، متى فرغتهم أصبحت ملائكة بالفعل . واستغنت بذاتها ، واستغنت عن التعاق بالأجسام ، ونجت من بحر الهوى . وخرجت من عالم الكون والفساد ، وارتقت إلى عالم الأملات ، وعندئذ تأتي الاتصال بغير سات جنسها من نفوس المؤمنين — الملائكة بالقوة — وربما تزلت الملائكة إلى نفوس المؤمنين في مقامها ، ووعظها ، وذكرها بالمعاد ، أو وصفت لها ما صارت إليه . وبشرتها فاستبشرت ^(٢) . وليس من الممكن أن تكون النفوس ملائكة بالقوة ، مهيأة لقبول الوحي والإلهام ، مستعدة للارتفاع إلى رتبة الملائكة والتخاضع من عالم الكون والفساد ، والاتصال بعالم البقاء والدوام ، إلا بصفاة الخوهر وحيد الأخلاق ونحو ذلك ^(٣) وهكذا يكون مرد العلم في الرؤيا إلى الملائكة التي تعد به نفوس المؤمنين أثناء النوم ، وهذا التعامل يسائر اعتبارها جزءاً من النبوة ، بنبياً لأهل الإيمان وصانوة المؤمنين .

(١) الغزالي : مقاصد الفلاسفة ص ٣٠٨ — ٣٠٩

(٢) إخوان الصفا ج ٤ ص ١٦٤ — ١٦٥ وقد ذكروا من آيات القرآن ما يؤيد ما يقولون .

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٧١ و ١٧٢ وغيرها

الانحياز الفلسفي في تصوراتها وتجلياتها:

ذهب فلاسفة الإسلام إلى أن الحواس الظاهرة خمس ، والباطنة خمس ، ورفض أهل الكلام التسليم بها واعتبروها من مخترعات الفلاسفة ، حينئذ منها الحس المشترك ، وهو القوة التي ترأس فيها صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الظاهرة^(١) ، ويرى الفلاسفة أن هذا الحس المشترك قد يأخذ المدرك في النوم من صور في العقل الفعال ، وقد يأخذ صوراً تحتاج إلى التمييز أو يبدئه سافراً فيقع كما طهر^(٢) ، بل إن الحس المشترك لا يتفاه في عرفهم عن العقل الفعال رأساً ، بل يأخذ عن النفس الناطقة - العقل المتعاضد - التي تأخذ بدورها عن العقل الفعال ، آخر المقول المفارقة ، وفيه ترأس صور الكائنات جميعها^(٣) ، فهو في هذا يشبه الجواهر الروحانية الشريفة عند الفرائي - والنوح المحفوظ عند أهل الشرع ، والروح المقدسة عند السهروردي ، أما طريق الاتصال بالعقل الفعال ، فيكون بالتأمل العقلي أو بالخيالة القوية .

ولذا الآن بصدد الأسباب في بيان آراء الفلاسفة ، وصيق النجاشي يعبر هذا الانحياز ، فحينئذ أن تشير إلى الكندي - أول فيلسوف إسلامي - وهو يرجع الرؤيا إلى النفس ، ويردها إلى القوة الخفية ، ويردها إليها الأود التي تحمّل صور الرئيات من

(١) التلويح : كشف لأصناف ١ من ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ من مكوي في غوز لانسر
من ٩٧ وما بعدها وفرد أن حدود من ٢٠١ و ٢٠٢ من ٧٨ من حس و تحسوس و لغز في
في مقاصد الفلاسفة من ٣١٣ - ٣١٤

(٢) التلويح : جواهر ككاه من ١١٣

(٣) التلويح : في الكشف في ١ من ٣٠٦

غير مادة - أي مع غيبة موضوعاتها عن حواسنا - والرؤيا تقع للمرء متى أغفلت استعمال الحواس ، ومتى كانت النفس نقية متجردة عما يفسد قواها ، استطاعت أن تبين عن الأشياء قبل وقوعها^(١) . ولكن الكندي لم ينشئ مدرسة تروج بمسده لتعاليمه .

وإذا جاز أن يقال إن الكندي أول من وضع الأسس في تمثيل الأحلام الباطلة في فلسفة الإسلام ، كان من الحق أن يقال إن الفارابي - أكبر فلاسفة الإسلام بعد ابن سينا - هو أول من وضع نظرية الأحلام الفلسفية في الإسلام ، فقد عرض لتعامل الرؤيا الصادقة ؛ تبين النبوة عن طريقها ، وينتهي إلى أن النبي والحكيم صالحان أرباسة المدينة الفاضلة ...

وتعامل الفارابي للرؤيا - أسلم إليه نظريته في الاتصال بالعقل الفعال^(٢) ، وحينئذ أن أعرف من هذه النظرية أن في كل شيء من سموات السماء العلوى عقلا مفارقة ، يشرف على نظامها ويدير حركتها ، وهذه العقول المفارقة تترب في تدرج حتى تنتهي بالعقل العاشر أو العقل الفعال^(٣) ، وهو الذي يشرف على الإنسانية ، ويكون صلة بين العالم العلوى والعالم السفلى ، وفصلا روحيا بين العالم الإلهي والإنساني ، وهو مصدر الشرائع ومبهم للإلهامات الإلهية ، وإن كان مرد الإلهام إلى الله ، ولكن العقل العاشر واسطة بين الله والإنسان ، فهو يشبه الملك الوكيل أنه رجال الدين ، ومن الممكن للإنسان أن يعمل بهذا العقل ، ويأخذ عنه عالم ما لم يعلم بالتأمل العقلي

(١) رسالة الكندي في قلب امرئيه خفت - فيما تم ، وتحفظ نسخة المخطوطة بنسخة منها ، وقد نقلها الأستاذ محمد موني بالاستعانة بالشيخ يوسف كرم وقد نشر الرسالة بعد (٢) قرآن في هذا بحث فيما تذكره إبراهيم مسكور في مجلة الرسالة بعدد ١٥٧ و ١٧٧ (٣) قرآن الفارابي في مقالته في معنى العقل (نشر الأب بوش) .

الذي يرق بعقله إلى درجة العقل المستند . وقد يظفر بهذا صاحب الخفية القوية^(١) ،
ومثل هذا الاتصال يقع في النوم ، فيكون رؤيا صادقة ، أو في اليقظة فيكون نبوة ،
وإن كان الأنبياء أقوى مخبة من النيام ، ومن أجل هذا استطاعوا الاتصال بالعقل
الفعال أثناء اليقظة^(٢) .

وقد ترددت آراء الفارابي عند غيره من فلاسفة الإسلام ، وأخصهم ابن سينا
أشهرهم جميعا ، إذ اتخذ الأحلام أداة لإثبات النبوة ، وذهب إلى القول بأن الأحداث
منقوشة في لوح محفوظ في العالم المعنوي ، وفي وسع بعض الناس الاتصال به ، عن
طريق مخيلتهم القوية ، فيقع لهم هذا أثناء نومهم ، فإن أفرطت مخيلتهم في القوة
تعمروا بالاتصال أيقاظا وأوئنت هم الأنبياء^(٣) ، وذلك لأن الخيلة مصدر الصور
الباطنية ، ولكن شوائل حسية أو باطنية تصرفها عن أداء وظيفتها^(٤) وهذه تقل
عند النوم ، وتنقطع في حال النبوة ، وهكذا سار ابن سينا في نفس الأنبياء الذي رسمه
أستاذنا من قبل .

أما ابن رشد فإنه يقرر أن الرؤيا لا تعرض بقوة الحس أو الخلق في النفس ،
ولكنها ترجع إلى الخيلة - كالأحلام الباطنة أحيانا - وهي تتصل بالعقل الفعال
البري ، ولا يرد كشفها الغيب محجب إلى مقدمات أو فكر أو روية ، وإلا كان
شأنه شأن المعرفة التصديقية التي تحصل لنا عن مقدمات ، والذي يعطى المعرفة

(١) الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٧ - ٥٢ .

(٣) ابن سينا : إثبات نبوت (رسالة - رسالة في رسالة الحكمة وهي ص ٨٢ .

والإشارات ص ٢٠٩ - ٢١٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢١٢ - ٢١٤ .

القيدية في الرؤيا هو نفس العقل الذي يعطى المبادئ السككية في الأمور النظرية ، وإن كانت هذه تعطى المبادئ السككية الداعلة لمعرفة المجهولة ، أما في حالة النوم فتعطى المعرفة المجهولة بلا وساطة ، وماهية النبوة داخلة في هذا النوع من الإعطاء ، ومن أجل هذا نسب هذا إلى إله ، هو عقل يرى عن المادة ، والمعروف في العلوم الإلهية أن هذه العقول المفارقة إنما تعطى شبيه ما في جوهرها (١) .

وعلة اختصاص النوم بهذا الإدراك الشريف ، أن النفس واحدة بالوضوح كثيرة بالقوى ، ولهذا فإنها حين تستعمل بعض قواها الباطنة ، يضاف بعضها الآخر . وفعل القوة الخيالية في حال النوم يكون أكمل لا محالة ، إذ تستعمل أثناء النوم الحواس الظاهرة وآلاتها ، وتقبل النفس بذلك نحو الحس الباطن (٢) .

حسبنا هذا في الإجابة عن موقف الفلاسفة والصوفية ورجال الشرع من تفسير الرؤيا الصادقة وتمايلها ، ولما حاول أن تبين مدى الصواب في اعتبارها وحيا إلهيا ، يكشف غيبا محجبا :

منافسة الادعاء بأنها وحى الرب :

لكن تنافس وجهات النظر الإسلامية - شرعية وصوفية وفلسفية - في اعتبار الرؤيا وحيا لمكشف غيب محجب ، ينبغي أن أعرض لوقف القرآن الكريم منها : قال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بأذنه ما يشاء » وهذه الآية تجمع أصناف الوحي الثلاثة ، ويراد

(١) ابن رشد : مقدمة لآية من الحس والخبر من ٨٢ - ٨٤ .

(٢) المصدر نفسه من ٨٧ - ٨٨ .

بالوحي فيها إتمام المعنى في القلب ، وليس فيها ما يشير إلى أن هذا الالتقاء أو التفت في
الروح يقع في بقعة أو مقام ، ولكن بعضهم قد فسر الوحي بالرؤيا ، وشبهه بما وقع
لإبراهيم عليه السلام في ذبح ولده في المنام ، ولم يقصر وقوع هذا الوحي على الأنبياء
وخدمهم ، واستند في هذا إلى قوله تعالى : « ... الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ
الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ » إذ فسر الفخر الرازي البشري بأنها الرؤيا
الصالحة يراها المسلم أو ترى له ، وهذا الاتجاه في تفسير الآيتين ، قد سرى كالتبرق
بين المسلمين ، حتى استقر في أذهانهم أن القرآن يقرر بأن الرؤيا وحي عن الله ،
وأنه يقع للأنبياء ومن إنهم من صموة المؤمنين ، وقد تضمنت الأحاديث الكثير مما
يؤيد هذا الاتجاه ، فلم يكن مسلم بعد هذا أن يستخف بها ، ولكن اختلافا بالنبوة
قد حاثهم على سلب التشريع عنها ووضعها بعد الولاية .

وأهل صرد نزوح المسلمين إلى اعتبارها وحيًا إلهيًا ، إلى الطبيعة البشرية ، لأن
إضافة الصفة الإلهية للرؤيا يسار هذه الفطرة ، ولا يعوق التسليم بها إلا الخذل العقلي
الذي لا يتمشى في كثير من الحالات مع الطبيعة في كل أهوائها ، وقد عرفت هذه
الصفة شعوب لا تدرك بالإسلام ، ولا يفهم من الديانات النزلة ، بل اهدت إليها
قبل أن تعرف هذه الديانات ، حتى قرر المؤرخون بأن الكشف الإلهي في الأحلام
عقيدة كل شعب ، بل كل فرد في الماضي المحقق ، وأن من الميث أن تتساءل من
أين وصل الاعتقاد في الأحلام إلى اليونان مثلاً ، فلا حلام فديعة قدم العالم ، وليس
لها بداية يمكن للتاريخ أن يسجلها^(١) .

ويلوح لنا أن الذين فسروا الآية القرآنية الخاصة بالوحي ، قد حملوا لفظ الوحي

(١) Bouché - Leclercq. L'histoire de la Divination t. p. 277 - 8.

فوق ما يطيق من معنى ، وتعل هذا بطل فيمن فسروا البشرى بالرؤيا ، فعمموا بذلك وقوع الوحي لغير الأنبياء والرسل . ولا شبه أن هذا التفسير قد صادف هوى في نفوس المسلمين ، فوهموا فيه ، من لأحدث النبوة المنحوتة ملاً في تكون الرؤيا وتأيدها وحياً من الله .

وإذا كانت الرؤيا بدء الوحي في رسالة النبي كما ورد في حديث عائشة في باب « كيف كان بدء الوحي » في صحيح البخاري ، فإن ذلك لا يستلزم أن تكون رؤيا غير الرسول وحياً من الله ، فليس كل منادى له ، يجوز لغيره . ولا كان الناس كلهم رسلاً ... وإذا كان القرآن قد تضمن رؤى وقعت لبعض الأنبياء وحياً إلهياً ، فإن هذا لا يقتضي وقوع مثله لغير الأنبياء ، فن الجائر أن يخصهم الله بغير ما يخص به سائر الناس .

والجمال بقتدينا الإيجاز في هذا العدد ، ولكن ينبغي أن نشير إلى أننا لا ننكر إمكان تحقق بعض الأحلام على سبيل المصادفة أو الاستجابة إلى إلهاء أو استهواء ذاتي أو نحو هذا مما انفصله الدراسات الميكولوجية الحديثة ، وقد كان من الحق مع هذا كله - أن نقول - إن نزوع المفكرين إلى ربط الرؤيا بالدين شيء طبيعي وقع لغير المسلمين من شعوب ، حتى قبل نزول الأديان المقدسة ، وأى شيء في تاريخ الدنيا اتصل بالمجهول ولم يرتبط في أذهان الناس بالمعتقدات الدينية .. ؟

ولعل رأينا هذا يقويه عندنا ما لاحظناه في موقف جمهور المتكلمين من الرؤيا المصادفة ، فهم أصحاب نزعة عقلية معجزة ، وقد أبوا في الدفاع عن الإسلام بلاء حسناً ، ولكنهم يعتبرون الرؤيا خيلاً بطلاً ، وعمل بعض « المعزلة » هذا الرأي بفقد شرط الإدراك ، وقيل لأن عادة الله تعالى لم تجر بخلاف الإدراك في النائم^(١) ،

(١) الأبي في جوهر كلامه (شرح كور عيني) .

إذ النوم ضد الإدراك ، والضدان لا يجتمعان ، وإن كان هذا التعليل لا ينفي قيام الوحي فيما يبدو لنا ، من الناحية الشكلية المنطقية المخفضة .

تأويل الرؤيا :

ذهب مفكرو الإسلام إلى أن أضغاث الأحلام لا تقبل تأويلاً ، ولكنهم أجمعوا على تفسير الرؤيا الصادقة . بل جعلوا تعبیرها عاملاً له قوانينه الشكلية^(١) ، وأصوله العامة التي لا يستقيم التأويل بدونها^(٢) . ويراد بعام التعبير معرفة الأمور الغيبية عن طريق التخيلات النفسانية التي تقع أثناء النوم^(٣) . وهو يستلزم تفكير المرء في الصور التي وعياها حواسه ، رآه في رؤياه . ثم محاولة إرجعها إلى من يشبهها من مدركات الحس التي وعها من قبل ، ثم استخدام الخيال والذاكرة في الانتقال من شيء إلى شيء ، موحداً له إلى آخر مؤد إليه ، وهكذا حتى ينتهي آخر الأمر إلى أول شيء ، كان السبب في تخيل هذه الصورة الأخيرة التي وقعت في الرؤيا^(٤) ، ويتجريد مدركات النوم عن الصور التي كانت فيها الخيال عن هذا النحو ، يصل المميز إلى حقيقة هذه المدركات^(٥) والتعبير لا يتطلب معرفة المنااسبات التي بين الصور ومآنها لحسب ؛ بل يقتضي معرفة مراتب النفوس التي تظهر الصورة في حضرة خيالهم ،

(١) ابن خلدون : مقدمة ص ٤١٧ ، وغيره في الجذر مود ص ٣٥٥ - ٤٠٠ يردد ما يقول ابن خلدون من غير إشارة إليه .

(٢) ابن سيرين : مراتب الكلام ص ١٦ - ١٣ وابن عديم في الإشارات ص ٢٦٢ والسالك في الإشارة في علم حكمة ص ٣٠ +

(٣) حاشي حبيبة : كشف القشون ص ١ من ٩١ ، شاذكيري زاده في مفتاح السعادة ص ١ من ٢٧٤ والتهانوي في مقدمة الكشف ص ٢٤ وقرن ابن عربي : تصوف حكيم ص ١٤١

(٤) القرطبي : مذهب الفلاسفة ص ٢١٠

(٥) التهانوي : كشف اصطلاحات النحوي ص ١ من ٦٠١

ومن أجل هذا اختلفت الصورة الواحدة باختلاف مراتب الأشخاص^(١) ، والمطلع على كتب التعبير يلاحظ أنها تحوى « جداول » أو قوائم بأسماء الأشياء التى يحتمل أن تظهر فى الأحلام . والمعنى الذى يحملها كل منها ، ويلاحظ أن الرمز الواحد يحمل معانى كثيرة تختلف باختلاف الأمم وأهل والأفراد ، بل قد تختلف عند الفرد الواحد باختلاف ظروفه وأحواله ، وإن كان فى الرموز عنصر مشترك بين الشعوب على اختلاف أجناسها وتباين أدبائها ، مما يرجع إلى وحدة الطبيعة البشرية فى كل زمان ومكان . وهذا الاختلاف استوحى نوامر صفات كثيرة فى التعبير لا يقوى على تأويل الرؤيا بدونها ، ويظهر أن المستشرق مرجليوث Margoliouth قد فقه هذه الملاحظة حتى صرح فى معرض حديثه عن كتاب الفاريسى فى تفسير الأحلام أنه يثير الحيرة ويدعو إلى الاستغراب ، كثرة ما يورده من معانى الرمز الواحد^(٢) مع أن أكثر المهبرين - ومنهم الفاريسى - لا يذكر المعانى التى تحملها رموز الأحلام ، إلا بعد مقدمة يعرضون فيها لأصول التعبير وقوانينه العامة .

على أن أهل التعبير لا يفتخرون بالصفات التى أوجبوا توافرها فى التعبير ، والقوانين التى الرموه بانتمائها ، ويقفون إلى التعبير وإن كان خيراً من الخدس والمطلة^(٣) يعتمد على الاطلاع والتذكاؤ والخلق ، إلا أن أهله لو اعتمدوا على كتب التعبير وحدها ، عجزوا عن تفسير الكثير من الرموز ، لأن التعبير يتوقف - إلى جانب خلق التعبير - على « الفتح عليه بهذا العلم ، والله يهتدى من يشاء إلى صراط مستقيم »^(٤) ، وذهب

(١) ابن عربى : تفسير الحكيم ص ١٥٩

(2) Margoliouth, art. Muslim Divination (Encyclopedia of Religion and Ethics).

(٣) عزائى : مقاصد غافقة ص ٣٩٠

(٤) ابنى : تفسير الآراء ج ١ ص ٨ وإن شئت فى الإرشادات فى علم العبارات

ابن خلدون إلى أن القرائن التي تعين التعبير عن تغيير الرقبة ، منها ما يتقدح في نفسه بالخاصية التي خفقت فيه ، وكل مفسر لما حلق به ^(١) . وصرح ابن عربي بأن العلم بالتعبير المستكشف لا يحصل إلا بالتفصيل الإلهي من حضرة الأنسجام الجامع بين الظاهر والباطن ^(٢) . وأبد هذا الاتجاه كبار التعبير ^(٣) .

نماذج من الرؤيا المصادقة وتجلياتها :

١ - قيل إن أم الإمام الشافعي ، رأت في منامها بعد أن حلت به ، أن « الشترى » خرج من فرجها ، وألقى بغيره ، ثم تعرق في كل بلد فطامة .. ! فقال المبرون إن أهلها سيكون علماً فذا في عصر ، ينشر علمه في أكثر البلاد طولا وعرضا - فكان الأمر كما قلنا ^(٤) .

٢ - قيل إن رجلاً رأى نفسه يختم على أنواء الرجال والنساء وفروج هؤلاء ، فقال ابن سيرين في تعبيرها : إنه مؤذن ، أدن في رمضان قبل مطلع النجر . فكان الأمر كما قلنا ^(٥) .

٣ - قيل إن السيدة عائشة رأت سقوط ثلاثة أقمار في حيرتها ، فمير أبوها رؤياها ، بعونه وموت الرسول والفاروق ، ودفنهم في حيرتها جميعاً . وصح بعد ما قلنا ^(٦) .

(١) ابن خلدون في المقدمة ص ٤١٧ (٢) ابن عربي : تصوف حكيم ص ١٤١

(٣) فارت التعبير الزاوي : مناقب الحب ص ٥٠ ص ١٣٠ وريحته في الكشف ج ١ ص ٦٦١

(٤) الأبيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ج ٢ ص ١٠٨

(٥) مناقب زاده : مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٧٤

(٦) الأبيهي ج ٢ ص ١٠٨

٤ — حين كان معالي أستاذنا معطى باشا عبد الرزاق ، مكرماً زياراً لعمامه الدينية ، كان الشيخ سليم البشرى شيخاً للجامع الأزهر ، ومرض معاليه ، فزاره الشيخ في منامه ، وفي الصباح ذيله المرفى . . . فمتر هذه رؤيا أحد الذين سمعوا روايتها في هذه الجلسة ، بأن اسم الشيخ الأكبر دنا على مضمون الرؤيا ، سليم تعب عن السلامة - العافية - والبشرى ترمز إلى البشرى - بالشفاء .

٥ — فآخر الشمراني يوقع كثير من الرؤى له ، يوحى بها الله تعالى أن يحتاط للأمور المقبلة ، إن كانت الخطة ممكنة ، فمن ذلك أنه كان وصياً على أبناء أخيه ، فحرم عليهم مفادرة حجرتهم ، فرأى في تلك الليلة الشيخ أمين الدين يفتح لهم باباً في خلونه ليخرجوا منه ، فذكر أنه أخطأ في أمره السابق ، وعدل عنه . . . وإذا اغتاب أحد شخصاً يحضره . وصانورته الشكوك فيما سمع ، رأى في ليله من الغيب ، بسس البيضاء ، فيذكر كذب الغائب . . . الخ (١)

٦ — وروى الرحلة « بين » Elane أن لإمام الشيخ الهدي ، قد فقس عليه قصة خلاصتها أن أحد الأولياء عند العامة - هو الشيخ أحمد الهبي - كان يحضر دروس الشيخ الأمير الكبير ، سمعه يورخ حياة الحسين ، ويعقب قائلا إن رأسه غير موجود بالشهد الحسيني المعروف في القاهرة ، وكان « الهبي » يعتقد غير ذلك ، فأله ما سمع ، ولكنه لم يعترض على الشيخ احتراماً لشهرته ، وتقديراً لفراسة مادته . وعند انتهاء الدرس ، انطلق إلى بيته ، وأقام الصلاة ودعا ربه . وهو جاث على ركبتيه - أن يريه رسول الله في رؤيا صادقة ، يعرف منها حقيقة هذه المسألة ؛ فلما استسلم للنوم رأى أنه في الطريق إلى زيارة المشهد الحسيني ، فلما دنا من قبته ، رأى النور يشع منها

فدخل الزار ، فرأى شريفاً طيباً إليه - بعد تبادل التحية - أن يقرى رسول الله السلام ، فنظر إلى القبلة فرأى الرسول عليه الصلاة والسلام جالساً على عرشه ، وقد وقف رجل عن يمينه ، وآخر عن يساره ، فخير بقوله : السلام عليك يا رسول الله ، وكردها ثلاث مرات والدمع يجري على خديه ، وسمع الرسول يقول له : أدن مني يا بني فقاده الشريف وأجسه في حضرة ، فخير الشيخ ورد الرسول تحيته ، وقال عوضك الله خيراً عن زيارتك يا بني . فقال له : يا رسول الله ، هل رأس الحسين موجود هنا ؟ فأجاب الرسول بالاجاب . فمات الرجل غبطة وطمانينة ، واستأذن الرسول في أن يقص عليه ما قرأه شيخه الأمير في درسه ، فلما سمع الرسول قصته ، طأناً إلى الأرض رأسه ، ثم دفعه وقال إن الدفن مغفور له . فحس الشيخ وكأن كيانه يهتز من فرط الرضا والغبطة ، فاستيقظ من نومه ، وانطلق مسرعاً إلى دار شيخه (الأمير) فلما سمع الباب دقة بعثت نفوس سكان البيت ، ولما دخل الفناء أخذ ينادي شيخه بأعلى صوته : يا هذا علي الشيخ بمصاحب الصوت ، أذهنته بحبته في هذا الوقت المبكر ، وظنن سوءاً...! وأخذ البهي - من فرط التأثر - يتحدث شيخه دون أن يفكره السلام ، أو يقبل يده كما جرت عادته معه . وقص رؤياه منبثاً شيخه بأن الشريف الذي كان بالباب هو الإمام علي . والواقف عن يمين الرسول هو أبو بكر ، والواقف عن يساره عمر ، وأنهم كانوا في زيارة الحسين...! فقبض الشيخ الأمير نحوه ، وقال هيا بنا لزيارة الحسين...! ولما دخل القبلة قل : السلام عليك يا ابن بنت رسول الله ، في أومن بأن رأسك الكريم مدفون هنا ، ورؤيا البهي شاهدة على ذلك ، لأن رؤيا الرسول حق... الخ^(١).

(1) E. W. Lane, The Manners and Customs of Modern Egyptians
p. 219 - 221.

حسناً من تموضع الرؤيا ، وأسست ، وقيل تخليها ، هذه القراءات إلى أن تأويل الأحلام وتحويلها ، لا يكفي فيه أن تعرف أحداث الحلم ومتغيره ، وإنما يتطلب التأويل معرفة الكثير عن حياة الحلم ، ولا سيما تجربته في يومه السابق ، وقد أقروا في حديثنا عن التعبير إلى بعض مستقراته وأكثرها مسمى به في الدراسات السيكولوجية الحديثة ، ولكن الكثير مما نلزم معرفته ، غير متوافر ، يصدر هذا الأمثلة ، ومع هذا فنحاول تأويلها في ضوء معلوماتها ، موجرين على قدر الاستطاعة :

١ - أما الرؤيا التي رويناها عن أم الشامي ، فلرأى فيها مختلفاً ، إذ يكاد يكون من القاطن به ، أنها لا تعرف « الشامي » الذي ورد اسمه في القصة ، وقد نرى في ذكر هذا المثال في صدر الحديث ، يقول إن الكثير من الأمثلة التي وردت في المصادر الإسلامية تخلف أو مبالغ فيها ، رغبة في تأكيد القول بأن الرؤيا قد تكون وحياً إلهياً ، فإذا قيل إن كلمة « الشامي » هي اختلافة ، وأما القصة فصحيحة ، قلنا إن هذا محتمل ، وعندنا يكون تأويل الرؤيا ، على الوجه الآتي :

كل أم تعلق على ولدها المنتظر آملاً كثيراً ، ولا غرابة في أن يتمثل هذه التطلعات في الحلم نوراً يضيء ، ويتوارى في البلاد طويلاً وعرضاً ، ومثل هذا الحلم يقع للأمهات كثيراً ، وإن اختلفت صورة ومدة ، والآن التي تشكر وقوع مثله لها ، فمطينا الدليل على أنها تنتمي أحلامها أو مضيقها ، وقد حرمت المصادر الإسلامية على رواية الحلم السالف ، لأن الشافعي إمام فقه في ترويض الأحلام ، ولو وقع عن غيره ، وذكرته صاحبه بعد يقظتها ، لأعقل التاريخ أمره .! ويقولون مثل هذا الحلم ، بأن صاحبه تمنى أن يكون طفلاً في مقبل أيامه عذراً ممتازاً ، لأن النور كثيراً ما يرمز إلى هدى العالم والدين ونحوه ، أما تحقيقه فأكبر الظن أنه لا يكون إلا على سبيل المصادفات .

٢ - والتمثال الثاني يرينا أن الرقبة - عند ابن سيرين - لا تدل على المستقبل دوامه ، وقد أشار إلى هذا التابسي ، ونص على أنها تكشف الغيب في الماضي والحاضر كذلك^(١) ، ونؤيد هذا التمثال معقول ، والحلم فيه تردد خواطر جرت في الذهن أثناء اليقظة .

٣ - أما حلم السيدة عائشة ، فترد - فيما يلوح - إلى إيجازها هؤلاء الثلاثة ، وانظرون أن الوسوس كانت تساورها - في اليوم السابق لوفوع الحلم - بسدوموتهم المنتظر ، وتجربة اليوم السابق ، وهي توقع نزول ثبوت هؤلاء الأعزاء ، كغيلة بأن تنشيء مثل هذا الحلم ، وقد تمثلا في ثمار ، رمزاً لنور الهداية النبوية التي كانوا يقومون بها يومذاك ، وليس غريباً أن ثبوت هؤلاء الثلاثة بعد ذلك ، قلوبت هو المسير المحتوم لكل إنسان . نرى تحقق دقيقه في حجرتها ، وتفسير هذا - فيما يبدو لي - أنه كان استجابة من الفاتنين بأمر الدفن ، لما علموا أنه رؤيا صادقة ، فالورخون يقولون إن المسلمين قد اختلفوا - بعد وفاة الرسول - في مكان دفنه ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، وكاد الرأي يستقر على دفنه في المسجد ، حيث كان يخطب ويمظ ويصلي بالناس ، والسكن السيدة عائشة نفسها هي التي حلت دون ذلك . إذ قالت إن النبي كان عليه رداء أسود حين استند به وجهه ، فكان يضمه مرة على وجهه ، ويكشف مرة عنه ، وهو يقول : قال الله يوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد...! فعدلوا عن دفنه في المسجد . وعندئذ قضى أبو بكر - وهو لدى عمر رؤيا عائشة - بين الناس إذ قال : إني سمعت رسول الله يقول «مقبض نبي لا دفن حيث يقبض»

(١) تابسي : نظير الآية ج ١ ص ٤٤

فتقرر - عندئذ - أن يحفر له مكان القبر الذي قبض فوقه...^(١) أما دفن أبي بكر مع الرسول ، فرجعه إلى أنه هو الذي أوصى بذلك...^(٢) وأما دفن عمر معهم ، فرده إلى أنه هو الذي استأذن السيدة عائشة في ذلك قبيل وفاته...^(٣)

٤ - أما حلم معالي الباشا ، فإن طريقة تأويله كانت شائعة عند المسلمين الأول ولكن التشابه بين معنى الأسماء التي يظهر أصحابها في الحلم ، والصحة والعافية للمريض ، لا يبرر جعل الأول علة للثاني ، وأما الأصح أن يقال إن معاليه كان في ليلة الحلم ، على وشك البرء من مرضه ، والمعروف عند المخدئين من علماء النفس - بل هذا رأي فطن إليه أرسطو قديماً - أن الإحساسات الباشوية تكبر في الأحلام ، أما في اليقظة فإن مشاغلنا اليومية تصرف انتباهنا عن هذه الإحساسات...^(٤) ، فاحساس معاليه الباطني بدنو البرء من المرض ، كان قبل الحلم ضيقاً غير مشهور به أثناء اليقظة وعند النوم قوى هذا الإحساس وأصبح مشهوراً به ، فكان بهذا مثيراً لحلم ، فعلى في طريقة رمزية كانت معروفة عند المسلمين كما يعرف معاليه . وليس في الحلم بعد هذا أية غرابة .

٥ - أما ما روينا عن الشمراني ، فرجعه - في بيده - إلى أنه حين أصدر أمره إلى أولاد أخيه بالإقامة حجراً بهم ، شمر - أثناء ذلك أو بعد ذلك بقليل - أنه يقسو على أبنائه ، وهذا الشمر ليس غريباً على رجف دين وقصوف ، وربما كان

(١) محمد حسين هيكل باشا ، حياة محمد ص ٩٣ - ٩٤ (مع ملاحظة أنه يشير إلى هذه نرفيا

(٢) محمد حسين هيكل باشا ، أبو بكر صديق ص ٣٥٤

(٣) ومعنى هذا أن أرسطو الذي أنكر رؤيا الحظوة ، قد سم بنبؤ حلم بيده الأمراض التي تكون في اليقظة غير مشهور بها . وسم المخدئون من علماء النفس بذلك . انظر في التفصيل هذا الرأي مكشفاً ، الملاحاة ص ٢٨ و ٩٤ (في بيان رؤيا أرسطو) . ص ٥٣ - ٥٤ و ٧٣ - ٧٤ (في بيان رؤيا المخدئين من علماء النفس) .

شعوره من الضعف بحيث لم يقو على حرفة عن مسلكه بزمه ، فبما استسلم للنوم ،
كبر عنده ما خطر له في يقظته ، وتشتت به الصورة التي رآها ، فعدل عن مسلكه .
أما حده الثاني فإنه يترق في رواية له ، بأنه إذا رتب في كلام الغتاب وهو يستمع
إليه ، رأى في منامه أن الذي كان موضع غيبة ربه الساحة .! فاشتد ذهمن في
اليقظة ، ولا غرابة في أن يبدو الثالث المتأني فيما يسمع ، يفت بكذبه إذا نام .! ومثل
هذا يقال في سائر ما يرويه مما يحسبه وحياً من الله .

٦ - بنى حم الأسد « ابن » E. W. Lane ، وبسطته سر طرقة ، فإنه حام
صرح سافر ، وليس مقنعاً في رموز تحتاج إلى تأويل ، وهو - فيما يرى بعض المحققين
من علماء النفس - تحقيق رغبة مضمومة Suppressed Wish - fulfilment^(١)
لم تسمع إلا أن اليقظة ، فتحفت في المنام ، هاته أن يكون رأس الحسين غير موجود
في مشهد ، فعلى وطلب إلى الله أن يكشف له عن الحقيقة ، والأصح أن نقول إنه
مطلب إلى الله أن يريه دليلاً على صحة اعتقاده ، في أن الرأس موجود في مشهد .!
فكان له ما أراد ، وأذن شيخه لهذه الرؤيا ، اعتقاداً منه بأن رؤيا الرسول
حق ... الخ

وينبغي أن نقول أخيراً ، إن تأويلنا لهذه الحاجج من الأحكام ، مجرد
ترجيحات لا تنفع من وجود احتمالات أخرى ، فليس يتطلب تأويل الحكم ، لاكتفاء
بمعرض أحداثه ومناظره ، ولا بد للمحلل من الالتفات بصاحب الحلم ، ومعرفة الكثير

(١) رغبة المضمومة Suppressed, fr. repressé . عند الإنسان إلى إقصاء وعدم
الظاهرة بها صانع وعيا ، ثم رغبة المكبوتة repressed, fr. refoulée . ربتها تكبت
على غير وعي وشعور من صاحبها .

عن حياته ، وكشف المجهول من باطن نفسه ، واستكشف الخواطر التي تشغل باله ، ولا سيما ما دار منها بخلفه في اليوم السابق حتى وقوع حلمه ، وغير هذا من مستلزمات فن التأويل والتحليل ، مما يموزنا بصدد الأمثلة التي عرضناها موجزين ، وكم من حلم استلزم تأويله جاسات طوالا عند الشغليين بتحليل الأحلام من علماء النفس ، حسبنا ما ذكرناه ، مجرد إشارات إلى بعض اتجاهات التحليل في الأحلام .

حسبنا هذا عن موقف مفكرى الإسلام من الرؤيا الصادقة ، فقد كانت الأحلام - في شئى صورها - موضع بحث مفصل تناولنا فيه ما قبل بصورها قديما وحديثا ، فليرجع إليه من شاء^(١) .

(١) الأحلام - (دراسة مدونة) ظهر في سبتمبر ١٩٥٥

الباب الثالث

فنون التحكيم الصناعي

عند مفكرى الإسلام



فنون التكهن الصناعي

عرضنا في الباب السابق مذاهب مفكرى الإسلام ، في فنون التنبؤ الطبيعي الذى يصدر عن وحى أو إلهام إلهى ، أو يكون مدى فطرة لا أثر فيها لصناعة واكتساب ، وسنشرع الآن في عرض أساليب التكهن الصناعي ، الذى يستند إلى مدنى العقل ومهارة الصنعة وسعة الخبرة ، واستغلال الملاحظة واستخدام الأدوات الحسية ، وغير هذا مما يجبىء ، واكتسابها ، فقد لا يمنع من توفر طبيعة شهيء أصحابها لذلك ، وقد استثمروا فيها النقص عمدوا إلى تكملتها بأساليب يتحرونها عما دق ، وقد أتى بهرة مفكرى الإسلام التسميم بهذه الأساليب ، ورفضوا أن يأخذوا بمزاويلها ونسكهم كانت مبرومة فاشية حتى قبل تولد الإسلام ، ومن هذا وجب التحدث عنها :

- ١ -

علم الكهانة^(١)

آفاق الكهانة :

انطلق الكهانة على كثير من ضروب التنبؤ بالغيب ، لأنها تشمل النافذين في الأجسام الشفافة من الرأى وعلماس أتياء وقلوب الحيوان وأكيادها وعظامها ،

(١) يراد بالعلم هنا مجرد معرفة بشرية في ميدان ما ، وليس يتعمد بخلق المنطق على =

وأهل الطرق بالخصى والحبوب من الحنطة والنوى ، وأهل الزجر والقال ، والمذبحين
عن الغيب باستنباط الطيور والسباع ، وأهل الرياضة السحرية وأصحاب الفراسة ونحوهم^(١)
ولكن جمهرة مؤرخيها يحدونها بأنهم اتفق لأرواح البشرية مع الأرواح النجسة من
جن وشياطين ، واتخذهم أداة لمعرفة ما يتصل بالمستقبل من الأحوال الجزئية الحادثة
في عالم الكون والفساد ، وهي تسبغ في العرب منها في غيرهم من شعوب الأرض ،
والشهر من بينهم شق وسطيح^(٢) ومرجع المشرقة بين العرب وندرتها عند غيرهم
أنها تقول « على صفاء الخلق الطبيعي ، وقوة مادة نور النفس » وتتصل « بهمة النفس
وقمع شرها بكثرة الوحدة وإدخال المفرد وحدة واحدة من الناس وفئة الأنس بهم »
وذلك أن المرءة تدفع النفس إلى التفكير ، فيؤدي بها هذا إلى الكشف عن الغيب
بالمعين النورية ، ومعنى قويت النفس في الإنسان ، تعرفت على دراية القابليات قبل
ورودها ، وقد كان كبار مفكرى اليونان ، يعتقدون عبثاً الطائفة بالروحانية^(٣) ،
ولكن بعض مؤرخيها لا يفهمها ، على معرفة المستقبل وحده ، ويرى أنها اكتشف
عن مجاهل « غيب » ما اتصل منه بالماضي والحاضر والمستقبل^(٤) ، ولكن الشك

المعرفة بغيره كما ذهب المتكلمون (ص ٧ ح ١ من نسخة مرم) تدوحي ولا أن تطلع هذه
المعرفة في صورة فوعد وفوحي كما يسمونه من بعض ما يعرف من مرم ، ليس علوماً
مستقلة ، لكنها أرواح مرم تدوحي (في آخر مرم مرم) ،
(١) ابن خلدون : مقدمة ص ٩٢ ومقدمة ص ٩٣ .

(٢) حاشية كبرى رده في مدح سعد ص ٣٠٩ و ٣٠٢ وحاشية حاشية في كتابه لنور
ج ٢ ص ١٩٥ حاشية در الطائفة النورية وتدوحي في نسخة مرم ص ٦٠٠ وأبل أن كتابه
ليس والزجر إلى أسد وغياة إلى شيخ السمودي ج ٢ ص ٨٠ .

(٣) السمودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥ .

(٤) حاشية كبرى رده في مدح سعد ص ٣٠٩ وكذا تحت حاشية ابن يسوع في اتفاق في
هذا السند ، فكذلك حاشية في حاشية مرم (ص ١٧٢ ص ٢٤٣) أن كتابه من

الكهانة على ما سلف من فرووب التمسك به وترد الذين يأتونها تتضمن الكشف عن
الماضي والحاضر والمستقبل ، وإن العراقة نفسها تعتبر - عند بعض المؤرخين - من
فروع الكهانة^(١) .

وقيل إن الكاهن لا يستعين في ما عنه بآلة ولا يظهر حساب ولا ينظر في
كتاب ، بل بوجوده الحفظ وتذكاه النفس وصحة العقل وحسن التعبير وحفظة الخاطر ، مع
مساعدة ما تلقى له في مواعيد التي أوجب له ذلك^(٢) . وهي قوة بالهبة تتوافر في الناس
بمقام متفاوت وأسباب متنوعة وأقسام عديدة ، يربطها بعض الناس ورداً عن فرد^(٣) ،
ولكن بعض المؤرخين قد شطروها شارين : حصن أحدث بالتوارث وجعل الكهانة
فيه من نواحي بعض النعوس ، فلا تسمى كهنس^(٤) . ويعرهم هذا النوع من
الكهنة بأن له تابعاً من الجن ورائياً بي ، وبه الأخير ، أما الصنف الثاني من الكهانة
فهو ما كان بالعرزائم ودعوة سواك ولا يختلف بينهما^(٥) . وفي المصدر العربية
الكثير من أخبار الكهنة^(٦) .

١- على حد من كتاب في... (ج ١ ص ٩٤) (٣٠٩) سكين أي نصي
ذهب - وقد بعدت عنه... - ولكنه يعود في معرفة كهانة من معرفة بيوت (ج ٦
ص ١٩٣) أن مريد من غير الأنواع... والكاهن من غير الأعمال...
(١) ابن خلدون في المقدمة ص ٩٢ وعبرج سعودي (ج ٢ ص ٨٤) أن العرب دون
الكاهن .

(٢) إخوان الصفا ج ٢ ص ٣٨٢ .

(٣) أبو حنن النوحيد في مديبات ص ٣٢٦ - طبعة الأولى ١٣٥٧ هـ .

(٤) ، (٥) حاجي خليفة في كشف مغيب ج ٢ ص ١٩٥ وتنتجى في أئيد علوم

ص ٦٠٠

(٦) سعودي : مروج الذهب ج ٢ ص ٨٩ وما بعدها .

أصل الكهانة :

إذا كانت الكهانة قد فشت عند العرب ، فقد عرفت عند غيرهم ، وقد ردها بعض اليونان والرومان إلى صفاء النفوس ، على اعتبار أن صور الأشياء عندهم قائمة في النفس السكينة ، وقد ذهب بعضهم إلى أن الأرواح المنفردة - وهي الجن - تخبرهم بالأشياء قبل كونها . وأن أرواحهم قد صفت حتى اتفقت مع أرواح الجن ، وحرد الكهانة إلى ثلاثة مصادر :

أولها : استراق السمع - ويكون هذا طريق شيطان يسترق السمع ويبقى بالأخبار إلى الكهان ، قال تعالى « وإذا كنت النائم ، فوجدتها منك حرساً شديداً وشهماً » وقال كدات « وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ... » الآية . والمعروف أن الشياطين والجن لا تعلم الغيب ، ولكها تسترق السمع مما يسمع من الملائكة ، قال تعالى « وما خزننا من الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المبين » .

وثانيها : الوحي الفسكي - ذلك أن تكواكث أثر على مولد الناس - ومنعود إلى بيان هذا في فصل التنجيم .

وثالثها : العمل النفسية - فالنفس : « لها قوى ، قهرت الطبيعة وآيات للإنسان كل سر لطيف » .

وقد رد أصحاب هذا الرأي العلم بالنفس ، لا للجسم الذي اعتبروه مواتاً لا تعتربه حركة ولا يشاء حس إلا بالنفس^(١) . ويوضح بعض هذا عند ما تعرض للعلاقة بين الكهانة والنبوة .

(١) المصدر السابق ص ٨٢ - ٨٤ وفهرت « مرجعيات » في مادة Divination (Muslim) في دائرة معارف لندن والأخلاق .

هذه الكهانة بالنسبة :

أشرنا إلى أن بعض المفكرين يرى أن في النفس البشرية استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الروحانية التي فوقها ، وأن هذا يتحقق الأنبياء فطرة لا اكتساباً ، ولا يحتاجون فيه إلى الاستعانة بشيء من مدارك أو التصورات أو الأفعال البدنية كاللما أو حركة أو نحو ذلك ، وإذا سلمنا بهذا الاستعداد الفطري في الطبيعة البشرية ، أوجب العقل أن نسلّم بوجود صف من البشر أدنى من الأنبياء رتبة ، لأن هذا الانسلاخ لا يتبعها تغير الاستعانة بما أسلفنا الإشارة إليه من مدارك وأدوات^(١) ، فإن هذه القوى الإلهية — الكهانة — إذا أحس بها من نفسه تحرك بالإرادة ليكمل نفسها فبرزها في أمور حسية^(٢) جزئية محسوسة أو منخيلة من أجسام شفافة وعظام حيوانات ، وما صنع من منبر أو حيوان ، فيستند بهم إحساسه بذلك ليستعين به على الانسلاخ السالف الذكر ، ولما كانت هذه النفوس مظلورة على النفس والقصور عن بلوغ الكمال ، كان إدراكها للجزئيات أكمال من إدراكها للمكائيات ، وأدائهم في ذلك مخيلة بالغة القوة ، وليس بقوى الكهنة على إدراك العقول إدراكاً كاملاً ، لأن وحيه من وحي الشيطان^(٣) ، هذا كان الكهنة لا يشوب فيه شيء من الحس ، وباقى نبوته على صفائها ونقاها ، كانت كهنته أقوى وأكمل ، لأن قوتها تنسكب عندئذ من المحل الأعلى . ولما كان نفوس الكهانة على نقص وقصور — كما أسلفنا — ولهذا اعترى الخطأ نبوتهم ، لأن قوتهم لا تبلغ الغاية في الخلاص أبداً^(٤) ، ومن

(١) ابن خلدون في مقدمته ص ٨٧

(٢) ابن مسكويه في مفرد الأسماء ص ١١٣

(٣) ابن خلدون ص ٨٧ (٤) أبو حنيفة شوحيدي في مقابله ص ٢٢٧

أجل هذا قيل إن الكهنة تكونون عن مغيب والنذور عن معين ، والعيان معلوم ،
والغائب موهوم^(١) ، ولهذا من صاحب النبوة لا يخفى ، وهذا هو الذي يتراءى عن
الكاهن ، والكاهن إذا اتفق له أن يكون صادقاً لا يتجاوز عما يدعيه رابته ومقامه ،
فإنه إذا لاج له أمر الذي عرف فضله و - ربح إلى أصديقه ، وكان أول مؤمن به ومتبع
لأوامره ، كما روى عن سوادين قرب ومليحة وغيرهم^(٢) ، وإن كان النبي عرضة
للسوء كما في حديث ذي الردين^(٣) ، وهذا يسمي الكاهن بالكلام السجوع الموزون ،
يشتغل به عن الخواص ويقوى بعض الشيء على الاتصال بالنفس ، فيه حس هجاء
وبما صدق ووافق الحق ، ويرى كذب ذاته بضم نفسه بأمر خارج عن ذاته المدركة
مبادئها غير ملائم ، فيعرض له الصدق والكذب جميعاً ، ويرى الخلق في القانون
ويؤذي بالخبيريات ، حرصاً على الظاهر بالأدلة بزمه ، وتوحيها على السامعين ؛
وأنحاز هذا الجمع هم مخصوصون باسم الكهان لأنهم أرفع من أصدافهم ، وقد
ول الرسول هذا من سجع الكهان ، نفس السجع بهم ، وهل لأن صياد حين
سأله كاشراً عن حاله بالاختيار : كيف تأتاك هذا الأمر ؟ قال يأتي صدق وكاذب
فقال خلطت عليك الأمر ، أي أن النبوة حسنة إلا أنه بحيث لا يفرقها الكاذب
أبداً ، لأنها النسل من ذات النبي بل لا تأتي دون شعنة بأجنبي -- كما هو الحال
في الكهانة^(٤) ، وربما يتجربى الكاهن الكذب عمداً بحجة أن يورسوقه وتكسده
بطاعته ، فيخبر بما لا أثر له في نفسه ، وما لا يجد له حركة ، وذلك لتقوية أمره ،

(١) التوردي : علامة النبوة ص ١٠٣

(٢) ابن مكيه في تكملة الأسفار ص ١١٤ وابن خلدون ص ٨٨ - ٨٩

(٣) أبو حيان التوحيد ص ٢٢٧ وقد ورد الحديث متصلاً في الخامس

(٤) ابن خلدون ص ٨٧ - ٨٨

فيضطر بذلك إلى الفلتون والتخمينات^(١) وربما عمد إلى الكذب طمعاً في النبوة ،
ويعلمهم هذا على عدم التسليم بنبوة من يماصهم من الأنبياء ، كما وقع لأمية بن العلت
وإبن صباد ومسيلمة وغيرهم ، فإن غلب الإيمان وانقطعت أمانيهم في النبوة آمنوا
أصدق إيمان — كما أشرنا من قبل^(٢) .

وقد ذهب بعض المتكبرين إلى أن الكهانة قد انقطعت عجيء رسول^(٣) ، وأن
الكهان قد حرموا بعد بعثة النبي من كشف الغيب ، حتى ورد في بعض الروايات
أن لا كهانة بعد النبوة ، ولهذا فليس يجوز تصديق الكهنة والإصغاء إليهم لأن
هذا من دلائل الكفر ، فقد دل النبي : من أتى كهناً فصدقه بما يقول ، فقد كفر ،
أنزل على محمد — كما يروى في الصحيحين^(٤) — وقيل إن النبي حين بعث وحرس السماء
بالشهب ، ومنعت الحق والشافعين من استراق السمع وإيقاظه إلى الكهنة ، بطل علم
الكهانة ، وأذهب الله الباطل الكهان بالقرآن الذي فرق الله بين الحق والباطل ،
وأطاع بيده بالوحى على ما شاء من علم الغيوب التي عجزت الكهنة عن الإحاطة بها .
ولكن بعض المتكبرين لا يعلم بهذا الرأي . ويرى أن عموم الكهان قد تكون
مستمدة من الشياطين ، وقد تكون من بعض نفوسهم ، ولآية القرآنية التي تراءت
في هذا الصدد ، إنساناً على منع الشياطين من معرفة نوع واحد من أخبار السماء ،
وهو ما اتصل بأخبار البعثة . أما ما سوى ذلك فإنه مباح لهم ، ثم إن هذا الانقطاع
قد اقتصر على زمن النبوة ، ولم يتجاوز إلى غيره من الأزمان ، فعمل الشياطين أن
تكون قد عادت بعد ذلك إلى ما كانت عليه قبل عهد النبوة ، فإن هذه الدارك تعود

(١) ابن مكويه ص ١١٣ (٢) ابن حبان ص ٨٩

(٣) ابن خزيمة ص ١٧

(٤) صحيح بخيرته كشف غيبه ص ٢ من ١٢٤ وخروجي من ٦٠٠

ومنها كما تخمد الكواكب والبرج عند ظهور الشمس ، وقد زعم الحكماء أن
 الكهانة توجد بين يدي النبوة ثم تنقطع ، وهكذا مع كل نبوة وقعت ، لأن وجود
 النبوة يشطاب وضما فكيف يقتضيه ، ويشتمل تمام النبوة طردبا مع تمام ذلك الوضع ،
 فكيف مع نقصه ، ونقصه يقتضي وجود طليمة تشبهه في النقص ، وهي طليمة
 الكاهن ، وعلى هذا فإن الوضع الذي يقتضي قيام الكهانة مشتملة في فرد أو
 أفراد ، يبقى الوضع الكامل الذي يستلزم وجود النبوة ، وقد انقضت الأوضاع التي
 تدل على مثل تلك الطليمة ، فليس يوجد منها شيء ، وقد قرر الحكماء هذا
 استنادا إلى أن بعض الوضع الذي يقتضي بعض أفراد ، وهذا غير مسلم به ، فإن
 الوضع قد يقتضي ذلك الأمر ناقضا بهيئته الخاصة ، ولو نقص بعض أجزائها ما انقضى
 نقصها شيئا ، وقد رأينا أن الكهنة بعض الوجودات من أمر النبوة ، كما أن في كل
 إنسان بعض الوجودات منها فإن نومه ، ونسبها في الكهنة أعظم منها في الزمان ،
 وقد عرفنا موقف الكهنة من النبي إلى عصره (١) . وإذا كانت الكهانة نموذجيا من
 النبوة أوضح من نموذج الرؤيا الصادقة ، فإن بعض الكهنة قد طلع في النبوة كما
 عرفنا من قبل . وليس من المستبعد أن يعرف نبا الكاهن الذي يدعى النبوة زورا ،
 فإن معجزة النبي فعل خارق للمادة بالتجدي يؤيد النبوة عن الله ، أما الكهانة فإنها
 كانت تجري على لسان الكاهن ، فتراجع بين الصدق والكذب ، والنبي لا يكون
 إلا كامل الخلق والخلق ممنا ، أما الكاهن فإنه يكون مختل العقل ناقص الخلق
 مزورا ، فإن ادعى النبوة بكماله فقد اكشف أمره إذ قد يتعدي له كاهن آخر
 ويتحداه بكهنته ، فتتمتع الفروق بينهما ، وذلك ما لا يقع في حال النبوة أبدا (٢) .

(١) بن خلدون ص ٨٨ - ٨٩

(٢) شعراوى : نبوت وحوارج ص ١ من ١٥٥ وما نص أن سائر المفكرين يملكون
 منه بأوصاف الكاهن على النحو الذي أسف ، وأما خالف بعض العلماء على الكهنة ولا يرونه ١٠٠

مراتب السكها :

نؤمننا فيما أسلفنا إلى الشاع من مصنف السكها . وهم يتفاوتون في مراتب السكها ، والسكها الأصل لا يخرج في رفع حجاب الحس إلى عنه كبير ، أما هؤلاء فيهم يهتمون الشفت في حجب جميع مداركهم الحسية في نوع واحد منها ، وأشرفها البصر ، فيمكن السكها على المرئي حتى يتراءى له المذرك الذي ينبغي عنه ، والسكها لا يشاهد هذا المذرك في سطح الرآة ، بل إنه يديم النظر في سطحها ، وإبطال أمره حتى يغيب عن البصر ، ويبعد بينه وبين سطح الرآة حجاب ، كأنه غمام تمثل فيه صور قدير على السكها بالتأنيب سبب أو يندك ، وهو لا يدرك من أمر الرآة وصورها شيئاً ، وإنما يكون إدراكهم نفسياً لا يتصل بالبصر ، ومن ذلك ما يمرض الساطرين في قلوب الحيوانات وأكبرها ، تلك ظفرين في الماء والكأس ونحوها ، ومن هؤلاء السكها من يكتفى بأن يشغل الحس بالمتخود ثم يريته بالعزائم ، ويخبر بعد هذا بما يدرك ، ويؤمن بعض هؤلاء أنه يرى في الهواء صوراً بحسبة تحكي له بالمثل والإشارة ما يكتفى إدراكه ، وغيبة هؤلاء عن الحس أخف من غيبة من أسلفنا ذكرهم (١) .

نموذج من السكها :

نهضت دولة سيد بالين ، وكانت هذه على كثرة وديانها واتساع أرضها ، فعوزها الأنهار ونهدها سيول الأمطار ، فأقام أهلها مئات السدود ، اتقاء لخطر السيول ،

(١) السكها من ٣٣ و٣٤ و٣٥ مرجعوت . Margolionth ذلك بك يعرف

حديث — Crystal-gazers (الطريقه في دالة معروف السكها ولا خلاف)

ورغبة في الانتفاع بالياء المحجوزة في رى الأرض ، وكان سد مأرب أعظمها جميعاً ،
 حول جذب الأرض خصوبة ، وعمقها إنتاجاً ، ولكنه تهدم ومصرعان ما أغرق
 الزرع وأحال الأرض بقلعا ، فنشئت أهلها ، ومضت غسان إلى الشام والأزد إلى
 عمان ... الخ وقد ورد ذكر هذا السيل في سورة صبا من القرآن الكريم .

ويقول مؤرخو الكهانة إن الكهان قد عرفوا نبأ السيل قبل وقوعه ، ونصحوا
 أولى الأمر في البلاد بالعمل على انقاذ شره ، وكان هذا في عهد عمرو بن عامر الذي
 تولى رئاسة ولد قحطان ، إذ كان أخوه « عمران » كهنا عقياً ، وزوجته « ظريفة »
 الخير « كاهنة من حبر » ، فرأى عمران أن قومه سوف يعزفون كل حمزق ، فأبنا أخاه
 بما رأى في كهنته ، وكان هذا أول نبأ عرف عن سيل العرم . وبينما كانت ظريفة
 الخير نائمة ذات يوم ، إذ رأت سحابة غشيت أرضهم ، فأرعدت وأبرقت ، ثم هوت
 إلى الأرض فلم تصب شيئاً إلا أحرقته ، ففرغت ظريفة لذلك وأدركها رعب شديد ،
 وأتت زوجها الملك وهي تقول إن ما رأيته قد أذهب عنها النوم ، إذ رأت غيا أبرق
 وأرعد طويلاً ، ثم أسمعق فما وقع على شيء إلا احترق ، فما بعد هذا إلا الفرق .

فلما رأوا ما داخلها من الروح ، سكنوا من جاشها ، حتى ثابت إلى نفسها ، ثم
 دخل زوجها إحدى حدائقه ومعه جاريتان ، فبينما ذلك ، فأمرت وصيفاً لها أن
 يقيمها ، وانطلقت إلى زوجها حيث كان ، وعرضتها ثلاث متاجذ (دواب باليمن)
 منتصبات على أرجلهن ، واضعأت أيديهن على أعينهن ، فأخفت ظريفة عينها
 وجلست ، وطلبت إلى وصيفها أن يبلغها متى انصرفت هذه المتاجذ ، فلما أبانها ذلك ،
 انطلقت مسرعة إلى زوجها ، فعرضتها خليج الحديقة ، ووثبت منه ساجدة وانقلبت
 على ظهرها ، وحاولت أن تعتدل على غير جدوى ، فاستعانت بذنبا وحشت التراب على
 بطنها وجنبها وقذفت يولاً ، فهوت الكهنة إلى الأرض حتى إذا عادت الساجدة إلى

الماء ، انطلقت ظريفة إلى زوجها في الحديقة ، وكان الشهاب قد انتصف واشتد حرقه ،
 فإذا الشجر يتكفأ من غير رنج ، فلما أقبلت على زوجها ، ألقت الجاربتين على الفراش ،
 فاستحيا زوجها حين رآها ، وأمر الجاربتين بمناجاة الفراش لتأخذ زوجها مكانهما ،
 فكتمت هذه وفات - في صبح السكان المعروف - : « والنور والظلماء ،
 والأرض والسماء ، إن الشجر يتكفأ ، ولعمودك الماء كما كان في النهر السالف » .
 فسألها عن أنبأها بذلك ، فقالت : « أخبرتني الناجف ، بسنين شتاند ، يقطع فيها
 الولد والوالد » . فلما تقوئين ؟ قالت : « أقول قول النسمان لها ، قد رأيت
 سلحفا ، تحرف التراب جرفاً ، وتنفذ بالبول فذفا ، فدخلت الحديقة ، فإذا
 الشجر يتكفأ » . قال عمرو وما ترى ذلك ؟ قالت : « هي داهية ركيمة ، ومصيبة
 عظيمة ، بأمور جسيمة » . فلما هي ويحك .. ؟ قالت : « أجل إن لي فيها الويل ،
 وما لك فيها من بيل ، فلي ولك الويل ، مما ينحى به السيل » . فأنقذ نفسه عن الفراش
 وقال لها : ما هذا يا ظريفة .. ؟ قالت : « هو حطب جليل ، وحزن طويل ، وخلف
 قليل .. » . قال عمرو وما علاقة ما تذكرين .. ؟ قالت : « اذهب إلى السد ، فإذا
 رأيت جرداً (قاراً) بكثر يديه في السد اخفر ، ويقلب برجليه من الجبل الصخر ،
 فاعلم أن الحفر خفر ، وأن قد وقع بنا الأمر » . قال وما هذا الأمر الذي يقع .. ؟ قالت :
 « وعد من الله نزل ، وباطل بطل ، ونكل بنا نكل ، فبغيرك يا عمرو فليكن
 الشكل » . فانتطلق عمرو إلى السد يحرسه ، فإذا بفأر يقف برجليه صخرة لا يقوى
 على قلبها خمسون رجلاً .. ! ففكر إلى زوجته ، وأنبأها بالخبر وهو يقول :

أبصرت أمراً عاذني منه ألم	وهاب لي من هوله يرح السقم
من جرد كفضل خنزير الأجم	أو تيس جرهم من أقارب النعم
يسحب صخرأ من جلاميد العرم	له مخالب وأنياب قضم
ما فاته سحبا من الصخر قضم	كأنما يرعى خضيرا من سلم

فكانت خربة إن من شواهد ما أنبأك به ، أن تأخذ مجلسك بين الجنتين ، ثم تأمر الزجاجة توضع بين يديك ، فإن أوشع نثرها من تراب البطحاء ، مع أن الجنان مظلمة ، لا تدخلها شمس ولا ربح ..! فما فعل ، أمثلأت الزجاجة بعد قليل من تراب البطحاء ، فلعنني أبيا وأبناؤها بما جرى ، وسأله : متى ترين هاتك السد .. لاقت في سبع سنين . فل في أيها يكون ..! فأت لا يعلم هذا غير الله ، ولو أوتي أحد علم ذلك لكانت .. ولا تأتي عليك ليلة طوال السنين السبع . لا ظننت أن السد يبيد في غدا أو في ألفها . ورأى عمرو في منامه سبل العرب ، وقيل له إن آية ذلك ، أن ترى الحصباء قد ظهرت في سف الفحل ، ولما استيقظ تحقق من صدق ما رأى ، فأدرك أن البلاء واقع ، والخراب قول ، فكم الأمر واعتزم الشخص من ممتلكاته ، واتوى لهجرة مع ولده من أرض سبأ ، ولكنه خشي أن يفتضح أمره ، فيستنكر الناس تصرفه ، فحدث الأمر حتى أهانه ابنه وضربه على مرائي من ضيوف له ، تنفيذاً لاتفاق عقد بينهما ..! فصاح : واذا ..! وأقسم ألا يقيم بهذا البلد ، وباع كل ما يملك ، ثم استقى أخاه الكاهن في البلد لدى رجل إليه ، فقال الكاهن : « من كان منكم ذا هم بعيد ، وحمل شديد ومزاد جديد ، فليأحق بقصر عمان المشيد ، « فكان الذين بزواه أزد عمان ، فقال : « ومن كان منكم ذا حاجة ووطر ، وسياسة ونظير ، وصبر على أزمات الدهر ، فليأحق ببعل مر « فكان الذين سكنوه خزاة ! فن : « ومن كان منكم يريد .. إلى آخر ما يحكيه رواية القصة (١) .

ولما على هذه القصة أعقوب نحاول فيه أن نكشفها في ضوء المنطق ، فرجئه إلى

« موقفنا من التكهن العنفي » .

(١) انظر السعدي ج ١ : ص ٣٧٨ - ٣٩١ في طبعة الأثرية . وثمة أمثلة أخرى كثيرة رواها المؤرخون ، من أهمها تكهن « سطحي » النبي : رسول الله (انظر الإشبيلي ج ٢ ص ٩٩ - ١٠٠)

علم العرافة^(١)

عرفها وتميزها عن "الكهانة":

أشرنا إلى أن مفكرى الإسلام يسرنا على أنه في إصدار التفرقة بين الكهانة والعرافة ، وهما إليهم رغم هذا الخلاف في شأن النصوص الكهانة يؤثر من الذى يكشف اعتمادها أحداثه ، يرون أن العرافة تكشف عن أحداث المستقبل وحده ، وقد عرفنا ذلك عند أهل الحق كذلك ، ومن المفكرين من خصص العرافة بالمعرفة التى تقوم على أسباب سابقة تعلمهم ، وحل الأصح أن نخص العرافة بما كان عن كسب وخبرة واستدلال وحديث ، فإن ذلك أدعى إلى الاتفاق مع حدها الذى نراه عند مؤرخيها ، من أنها معرفة الاستدلال ببعض الحوادث الخفية على الحوادث لآنية ، بالتناسبة أو التشابه الخفية التى تكون بينهما أو الاختلاف أو الارتباط ، على أن يكونا معلولين لأمر واحد ، أو يكون ما فى الحول علته لما فى المستقبل ، وخفاء الارتباط يشير إلى أن الإطلاع عليه ليس ممكناً للناس كافة ، والذين يهتمون إليه ، يعتمدون على

(١) يشير سانشرف بيس S. Pines في كتابه عن مذهب خيهر الفرد عند المسلمين إلى أن الملاحظ كتاب يسمى باب العرافة ودرج ودراسة على مذهب الفرس ، نشره وترجمه K. Inostranzev. ويقول إن هذا الكتاب بحث في دراسة معرفة مفكرى الإسلام بمذاهب الخنود في العرافة والفرقة . وقد نقل كتب Pines إلى العربية مسبقاً الأستاذ محمد عبد الهادي أبو رينه (والترجمة تطبع بعد) .

ما نهبها لهم من تجربة ، أو من فطرة أو دعيا لها في نفوسهم ، عبر النبي عن أمثالها بالمحدثين أي المتعديين في القان والمراعاة ، وكما في الكتب التي أوتيت هذا من أحداث وقصص تثبت صحة ما يدعيه أصحاب المرافقة^(١) . ولاحظ من هذا الحد أمرين :

أولهما :

أن المروعة لا تقوم على طبيعة النفس دواما ، فربما استغنت إلى ما نهبها للمرافقة من تجربة ومهارة وذكاء — فإن صح هذا — ولم يكن مؤرخوها أو ناشره كتب تاريخها قد أخذوا حين ذاك في تحديد طرائقها الزم بخوارب أو بالحالة المودعة في أنفسهم عند الفطرة « . إن صح هذا كانت المروعة في بعض حالاتها نجي ، اكتسابا ولا تعتمد على طبيعة في نفوس أهلها .

وثاني الأمرين :

أن المرافقة — وبما يرى من حدها — لا تشمل الكشف عن الغيب متى اتصل بالماضي أو الحاضر ، وإنما تقتصر على ما ارتبط بالمتقبل وحده ، وأهل المفكرين على اتفاق بمسند الأمر الأخير (لاقتصار على كشف المستقبل) ، أما الأول فقد اختلفوا في أمره ، حتى بدا هذا الخلاف عند المفكر الواحد . فمن ذلك أن ابن خلدون — وهو صاحب الفكر الناضج — يقيم المرافقة على الفكر والحدس ، فيقول ما نصه « وأما المرافقون فهم المعتقدون بهذا الإدراك وليس لهم ذلك الاتصال — بالملا الأدلي — فيسلطون الفكر على الأمر الذي يتوجهون إليه ، وبما خلدون فيه بالخلق والمخمين

(١) طشكبرى زبد من مطبع — دمشق ١٩٢٣ ، وحاجي حيفه ج ٢ ص ٢١ ،

والفتوحى من أحمد ، وهـ ج ٢ ص ١١٥ وما بعدها .

بناءً على ما يتوهمونه من مبدئي ذلك الاتصال والإدراك^(١) . وقبل ذلك بمسححين
الذين يقرر عكس ذلك تماماً أي أن المعرفة تعتمد على الفطرة ولا تستند إلى الصناعة
إذ يقول ما نصه :

« ثم إننا نجد في النوع الإنساني أشخاصاً يخبرون بالكلمات قبل وفوقها بطبيعة
فهم . يتميز بها منفسهم عن سائر الناس . ولا يرجعون في ذلك إلى صناعة ولا
يستدلون عليه بأثر من التجويز ولا غيرها . إنما نجد مداركهم في ذلك تقتضي
فطرتهم التي فطرها عليها . وذلك مثل العرائس والبهائم ... الخ^(٢) وقد أدام هذا
التناقض بطبيعة الحال إلى أن انتهى بالمعرفة إلى نتيجة من نتائجها ، فيتم ملاحظ
أنه في النص الأخير يعترف بأن المعرفة من إدراك الغيب . توجد بمقتضى النص
الأول والثاني « وبدعون بذلك معرفة الغيب ، وليس منه على حقيقة ... » وقبل هذا
التهافت صفحة واحدة أشار إلى أنه مقبل على الحديث عن أصناف الإدراك الغيبي
بعد أن أبان عن استمداد النفس المشربة له ... !

ولكن لا ينبغي أن نغفلنا هذا من تقرير الرشي المراجع . وهو أن المعرفة تقوم
على استمداد في بعض النفوس ، وتستند إلى صناعة تساعد هذا الاستمداد ، ولهذا
اعتبرت إدراك الغيب ، وإن صادقت من رحل الدين صادقة الكهانة من وجوه
الإنكار ، والاستناد فيه إلى الأحاديث النبوية . ومن عرف هذا في موافق الدين من
هذه الفنون .

آفاقها :

تضمنت الكهانة الكثير من أصناف مدركي الغيب التي نحو ما عرفنا من قبل ،

(١) ابن خلدون ص ٩٤ (٢) نفس ص ٩٢

وكذلك الحال في العرافة ، وكل من كان العرب يسمون كل من يتعاطى غذا دقيقا
كاهنا ، فكذلك أطلقوا على الطبيب والكاهن والنجيم والحاوي القدي يدعى علم
الغيب عرافا ، ورغم سمة معناه على هذا النحو ، ثبت بعض مؤرخينا قد اعتبرها من
فروع الفراسة ، وأهل في بعض ما أسفناه من شرح معانيها ما يبرر إدخالها في هذا
المعلم ، وفي الحديث النبوي السات ما قد يؤيد ذلك ، وتفسيرها عند بعض مؤرخينا
إلى ما يجمع . اكتسابا وما يكون قطرة وطبيعة قد يفوت من هذا الاتجاه ، ولستنا
آثونا أن نقردها بالكلام لما بينهما من خلاف في النوع ، أخذه أن الفراسة
وإن كانت تكشف عن مجهول منفية عنه . فهي لا تكشف مستقبلا ولا ماضيا ،
ولمناهي استدلال بالحق الظاهر على الخلق الباطن كما سنعرف بعد .

منازع من المرافقة :

جربى المرافون على الاستدلال على الغيب عليهم ، بكامة تسمع عقب السؤال
أو منظر يرى ، أو مكان في الجسد يصع السائل منه عليه عند توجيه سؤاله ، إلى
آخر هذه العلامات التي منشاؤها بالتعليق عند ما تعرض للإساءة رأينا في أساليب
التكهن الصنعى .

ومن أمثلة العرافة أن كان في زمن هرون الرشيد عرف أعمى ، يستدل عن
المسئول عنه بكلام يصدر عن أحد الحاضرين عقب السؤال ، فدرقت من خزانة
الخليفة أشياء ، فاستدناه هذا وأمر الحاضرين بأن ياتروا الصمت عقب السؤال ،
فأمر العراف يده على البساط فوجد نوى تمر ، فقال إن المسئول عنه در وياقوت
وزمرد في سق . فسأل الرشيد عن مكانه ، فقال العراف إنه في بشر ، فوجدوه
كذلك . !! وسئل العراف في ذلك ، فقال وجدت نوى تمر ، وطلع النخلة أبيض

وهو كالدر ، ثم يكون بمرآ وهو أخضر ، وهو لون الرمرد ، ثم يكون دحلياً وهو
أحمر ، وهو لون الياقوت !! فلما سألتم عن مكان التسروق ، سمعت صوت دلو ،
فعرفت أنه في إثر .. : فاستحسن الرشيد فراسته ، وأعطاه مالا جزيلاً .. !

وكان أبو معشر ومناحب له مدرّبين في خلاص مسجون ، فسألا عرافاً ، فقال
أنهما في طلب خلاص مسجون ، فدنا أبو معشر : وهل يتخلص ؟ قال نعم بذهبان
فوجدانه خلص ، فوجد الأمر كما قال .. : فلما استفسر أبو معشر عن ذلك ، قال له
العراف نحن قوم « نخذ العنق باليمين والنظر ، فينظر واحدنا إلى الأرض ، ثم يرفع
رأسه ، فنقول نبي ، يقع نظره عليه ، يكون الحكم به . فعند أول سؤال وجهته إلى ،
رأيت ماء في قرية فقلت هذا محبوس ، وعند السؤال الثاني نظرت فإذا هو قد أفرغ
من القرية ، فقلت بخلص .. !!

وقد يستدل العراف «الساكن الذي يضع السائل يده عليه في جسمه عند
السؤال ، فالرأس يرمز إلى الرأس أو الكبير ، والأنف بناء مرتفع أو إلى أو
مأشبه ، والفم بئر عذبة ... الخ^(١)

حسبنا هذا ، وترجى رأينا في هذه النماذج ، إلى « موقوفنا من النكهن
الصنعي » .

(١) منشكيري زاده : مفتاح سعادة ج ١ ص ٢٩٤ - ٩ وفتوح في إيجاد العلوم
ص ٥٤٤ - ٥ وقد ذكر لابن بطي (ج ٢ ص ١٠٤) عدة خلاف لسجون من غير إشارة
إلى أبي معشر

علم الفأل والطيرة والعيافة

يراد بعلم الفأل عند مكري الإسلام ، الكشف عن الحوادث المقبلة اعتماداً على كلام يسمع من الغار القوي ، أو سناداً إلى مصحف يمنع فيكش عن معنى عفواه ، وقد جرى عسلاً في غير المصاحف من كتب الشيوخ كـ «بوان» لحفظ والتمني ونحوهم^(١) . أما الطيرة فالتدبير الذي يلقى على عاكس ما يظن فيه الفأل ، حيث الطوبى في الفأل ما لا يقدم ، وفي الطيرة ما لا يجزم ، وأصل الطيرة أن يمشاء المرء من شيء يفتقر النفس من وروحه على الاستماع أو لأبصار تأثير الطبع ، فإن الذرة الطبيعية من الصوت الذي يحد منه صرير الزجاج أو هبتي الطير أو نحوه ، ليست من هذا القبيل^(٢) .

وقد جوز البعض لاعتق الفأل في الخير والشر معاً ، وأبو الحسن وفيه يعود ، ووردت الطيرة حذراً والفأل قوة^(٣) ، وفي لغة صيرير هذا لا معنى^(٤) .

-
- (١) حاشي حيد ج ٢ ص ٦١ ، مشكوكي ر ٢٠٠ ج ١ ص ٢٩٨ و مروجي ص ٥٥٤
 (٢) مشكوكي ٢٩٩ و حاشي حيد ج ٢ ص ٦١ ، و مروجي ٢٣٦ وفي شينرون
 Cicero الذي ذكرهم من قبل أمثلة كثيرة عند رومن الذين هم على معرفة الشبهون .
 (٣) شعر التهانوي في علم هذه القوي ، علم شمس ج ١ ص ٩٠٧
 (٤) مشكوكي ر ٢٠٠ ص ٢٩٩ و حاشي ج ٢ ص ٦١ و مروجي ٥٥٦ وعند الرومان
 ما يشبه ذلك ، فإن شينرون في لفظة لأربعين من كسب كافي ، رداً على مناه ، في
 الفقرة ٢٦ من الكسب كافي .

وقد شاعت الطيرة عند الكثيرين من العرب حتى تكثر بذلك عيشهم وفسد
ديهم ، وفتحت عليهم أبواب الوسوسة لاهتمامهم بالناسات البعيدة من حيث اللفظ
والمعنى ، كالسفر والجللاء من لفظ السفر جل إذا سمع أو اعتدى إليه ، وإذا رأى
الواحد من قبل بأس ومين ... واستخرج من الموسوعة سود سنة ... وإن بارح داره
فاستقبل صاحب آفة تطير بيومه وتشتد وهل جراً ...^(١) ومن المعاني التي تحمها
الطيرة والفقائل : فن العيافة عند العرب :

فن العيافة :

أطلق البعض العيافة على أحد قسمي القيافة ، ومعنى به قيافة الأثر - لا البشر -
وستحدث عنها بعد ، ولكن الذي جرى لغة وإصطلاحاً فن العيافة زجر الطيور^(٢) ،
وقد قلنا القياضي : إن العيافة هي زجر ، وهو الغش ، شتم الطيور وصوتها وألوانها ،
كما يتفأل المرء بالمغاب على العفوية ، والغراب على الغربة ، ولهدد على الهدى ، وقيل
إنها تفترق عن الطيرة في أنها تجمع بين التشؤم والتسمد^(٣) . ولكنا عرفنا أن أهل
اللغة قد يوردون الطيرة حمداً والفقائل نوعاً ، وعلى هذا فيس من فرق بينهما إلا في
أن العيافة قد حصت بالطيور ، فإن الأصل في هذا أن العرب كانوا يزجرون الطير

(١) فزون ، ج : مروس - ٨ من ٥٤

(٢) يوحى في أشعر مروس ٥٤٩ وقد أشار إلى أن هذا هو معنى قوله فزون
والصباح . وورد في العفة أيضاً كبير من غراب في ورد في كتب غيريون بنين الأكر .
الغابة بين ملين ونفسه ، وقد فرق بين حريق عند رومن وقد لأخرى وغيره ،
في الفترة السبعة والثلاثين من الكتاب الثاني . ونعني : مكوتر ، غلب .

(٣) كشف اصطلاحات الفحول ، ص ١٠٦ من ١٠٧

والحقيق بذلك غيره من ظباء ونحوها - أو يماقونه - أي يصيحون به أو يرمونه بحجر - فإن ولاءهم في طيره ميامنة سموه ساشا وتفاؤوا به ، وإن ولاءهم ميامرة سموه بارحا وتشاءموا منه ^(١) ، فالتأنيح مرجو عند العرب ، والبارح هو الخوف ^(٢) ، وإن كان بعضهم يعتبر بالتأنيح ويتأمن بالبارح ، وعمل نجد بني تميمون بالتأنيح ، وأهل الهاشم بالنم من ذلك ^(٣) . وقد سمي الكاهن زاحرا لأنه إذا رأى ما يقوم القناؤم منه ، زجر بالنهي عن المعنى فيه ، ويكون الزجر القنويات والقنيل والسباح ^(٤) .

الفأل والطيرة بين التأخير والألفاظ :

اختص العرب في السحابة بالزجر ، وشرح الفأل بعد ذلك في الألفاظ ^(٥) . وقد عرفنا أن الطيرة قد عكرت على العرب صفوة عيشهم ، وقد أقبل الإسلام على النبي عن الطيرة فقال : « لا طيرة ولا هامة ولا سحر » ، وكان يحب الفأل ، قيل إنه حين هاجر إلى المدينة ودعا إليها سمع مذيذة بنى له مسجدا ، فقال لأصحابه سلمة ، وما دعاها سمع آخر يقول يا أبا نهم فقال غنمت . هذا ما رواه أهل السير ، ثم أعلم بسنده فيما يقول بعض مؤرخي الفأل والزجر ^(٦) .

(١) مشكوك في رده ج ١ ص ٢٠٩ ، وشرح ج ١ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) المصنف ، مروج الذهب ج ٣ ص ٨٠ .

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١٢ ، وفي هذا خلاف بين الأعرجي والزهري في تعليق شارح أبون علي لفترة سبعة من كتاب الأول في شهاب الرواد .

(٤) كان يوفيه بحدود حركة التأنيح والبارح ، من ملبور - إلى إردقة - أنظر لفترة

٥٧ من الكتاب الأول في شهاب الرواد ، وفي شارح أبون علي ذلك .

(٥) الخوارزمي ج ١ ص ٣٧٢ .

(٦) فتوح ج ١ ص ٥٥٥ ومشكوك في رده ج ١ ص ٢٩٨ وتأنيبي في السطر في كل =

وقد اشتهر عمر بن الخطاب باستكناه الألفاظ في معرض التفات أول الإنذار ،
 فمن ذلك أن رسولا من ميدان نهاوند ، أقبل عليه ذات يوم فسأله عن اسمه ، فقال
 قريب ، فسأله عن أبيه فقال : طاهر . فقال عمر منذ الألف طاهر قريب إلى شاء الله ،
 ولا قوة إلا بالله ^(١) .

وانصرف جعفر البرمكي إلى داره في وقت حلت فيه الطوفان من المازن ، فسمع
 منشدًا يقول :

بدرو بالنجوم وأنس بدري ويرت النجوم فعل ما يريد

فتعجب ودعا بالرجل وسأله عما يقصد ، فقال : إن البيت عرّس له وجري على لسانه
 على غير مقصد ، فأمروا به بدري ومضى لوحده وقد ذكره الخليل ، فلم يرض إلا قليل
 - فيما أقول الرواية - حتى وقع به الرشد ^(٢) ، ، ، ، وسعد بن مسعدة هذه الأمثلة ،
 وبيان اختلاف المسلمين في الأحكام .

وقد شهد الشرع بحجواز التفات في غير آية ، وبهدت التجربة - في بيان - صدق هذا
 التفات ، ونقل عن الصحابة والسلف العاجين . واشتهر الفيلسوف الذي يؤخذ منه المصنف ،
 وإن كان الأفضل الاعتبار بالعالي دون الألفاظ والخروف ^(٣) . ويسمى هذا بالاستبصار
 ويقولون " بين " إن من يزاولها يجد حلاوة الفاتحة وسورة الإخلاص ، والآية : وعنده
 مفاتيح الغيب لا يمنها إلا هو . . . ثلاث مرات . ثم يستقبط المصنف بحيث يفتح

من - - - - - من ١٠٣ وسأله عن ما يروى في كثرة طلبة
 والأثر من وسوسة الأرباب وغيرهم من كتب الأولين مشهور ، ومما يشتهرون هذا
 الاتقاد في كثرة الأرباب من كتب الثاني .

(١) عطفية عمر بن ٣٦ (٢) عطفية عمر بن ٣٦ (٣) عطفية عمر بن ٣٦
 (٤) المصدران المذكوران .

عرضاً ، أو يفتح عفواً ، ويستخلص الجواب من سابع سطر في الصفحة اليمنى ، فإن لم يسفر عن جواب واضح ، كانت دلالة الكلام على الخير نذيراً ، وعلى الشر بشيراً ، وربما استماض البعض عن ذلك ، بحصاء حرف الخاء (خير) والسين (شر) في الصفحة كلها ، ويستنبطون الطوب من زيادة أحدهما على الآخر . . . (١) وروى الماوردي في أدب الدنيا والدين ، أن نوايد بن عبد الملك ، قد استفتى المصنف يوماً ، فكان قوله « وخب كل جبار عنيد » ، فزق المصنف وأنت يقول :

نهدد كل جبار عنيد هذا أنا ذاك جبار عنيد

إذا ماجئت ربك يوم حشر فقل يا رب ما زلت الوعيد

ونقول الرواية إنه لم يلبث إلا أبداً بحجرة ، حتى قتل شر قتلة ، وصاب رأسه على قصره ، ثم على أعلى سور البلد . . . (٢)

ولكن البعض لم يسلم بجواز التأويل بالقرآن ، وصرح الإمام أبو بكر العربي في كتابه الأحكام في سورة المائدة بعدم جوازه ، ونقله القرافي عن الإمام العارطوشي ، وقال الميمري وافتى مذهبه كراهيته ، ولكن إباحه غير من عرفنا ابن بطّة الحملي (٣) وإذا كان فتح الغال من التعرّيل ممنوعاً فكيف بغيره من كتب الأنبياء والأولياء والمشايع (٤) . وإذا كان بعض المؤرخين يتردد في التسليم بالأحاديث النبوية التي تؤيد الغال بكلمة تسمع عفواً ، ويتردد في قبول سندها كما أشرنا من قبل ، فإن جمهرة المفكرين كانوا يترددون في قبوله ، يقول ابن قيم الجوزية في دار السمادة - ويردد صداه غير من المؤرخين - إن ضرورة انتطير وقائمه أن يخافه ويخشاه ويتغير منه ،

(١) E. W. Lane, p. 267 - S . ومرض استخارية نسخة . . .

(٢) طاشكبرى زاده ج ١ ص ٢٩٨ (٣) حاشي حصة ج ٢ ص ٩٦

(٤) تقويمي ص ٥٥

وأما من لم يبال به ، فإنه لا يتأثر منه أصلاً ، ولا - إذا قل عند الشاهدة أو السماع :
 اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك . اللهم لا يأتي بالحيوانات
 إلا أنت ، ولا يذهب بالنباتات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك^(١) - وفي الحق إن
 هذه ملاحظة قيمة علمية . يعرف قيمتها من كان له اتصال بالدراسات البيولوجية في
 هذا المجال .

صفة الزجر :

على أن الزجر لم يكن حينئذ الصورة التي أسلفناها ، فليس كل امرئ يصلح
 لأن يكون زاجراً ، لأن هناك صفات ضرورية لا تتوافر إلا في الذابطين ، وفي ذلك
 يقول ابن خلدون « وأما الزجر فهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغييب عند
 سنوح طائر أو حيوان ، والفكر فيه بعد مقببه ، وهي قوة في النفس تبعث على
 الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرفى أو مسوع ، ونكون قوته الخيلة قوية
 فيبعضها في البحث مستعينة بما رآه أو سمعه فيؤديه ذلك إلى إدراك ما ، كما تفعله القوة
 الخيلية في النوم وعند ركود الحواس ، تتوسط بين الحسوس المرفى في بفظته وتجمعه
 مع ما عطلته فيكون عنها الرؤيا^(٢) فحين هذا مما أسلفناه .. وأين هو على وجه التحقيق
 من القائل أو الزجر انتهى يكون صدق لكامة بسمها انراء عفوا وانقادا ...! إن قيمة
 المصنف السالف تتضح إذا نحن ذكرنا مذهباً للفعل والزجر على هذا النحو الساذج
 من عراقة القدم ، وسنعود إلى مناقشة هذا ونفييد الأمثلة الساتفة ، عند ما نعرض
 لبيان موقفنا من فنون التكهن العنصرى .

(١) حاجي خليفة ج ٢ ص ٦١ وحاشي رده ص ٣٠٠ وتقوى ص ٥٥٦

(٢) ابن خلدون في المقدمة ص ٩٣

علم أحكام النجوم

علم التنجيم :

اصطلاح المسمون - فبي يقول الأستاذ " ماريو " (C. A. Nallino) - على تسميته بعلم - أو صناعة - أحكام (أو فنون) النجوم ، ودلوا على (صناعة) الأحكام ، ومنذ القرن الثالث عشر ميلادي أصبح ، سمى البعض : علم النجامة " ولكن علم أو صناعة النجوم أو التنجيم ، يطلق على التنجيم أو علم الفلك أو على الملعين معاً ، ويقال المشتغل بصناعة النجوم : الأحكامي أو النجمي ، وإن كان الأخير يطلق على الفلكي كذلك ، والفرقة الحقيقية بينهما ، لم تحدث إلا في القرن الثاني ، وقد جرى أكثر الفلاسفة وأصحاب مدارس العلوم والكتب الجامعة ، على توحيد اسمها وأتباعه في تصنيف العلوم ، فاعتبروا التنجيم فرعاً من العلوم الطبيعية ، كالفلك والفراسة والكيمياء وفنون الأحياء ونحوه ، ولكن علماء الفلك والتنجيم وغيرهم من أمثال الفارابي وإخوان الصفا وابن خلدون ، قد جرى على توحيد اسمها واعتبروا التنجيم فرعاً من العلوم الرياضية^(١) والعالم القهيمبي والعالم الرياضي فدان من أقسام الفلسفة ، ومن هنا جاء إقبال المشتغلين بالفلسفة - من أمثال الكندي - على التنجيم ، بل لقد أقبل على مزاولته قسمة الدين الغرامون للدراسات الفلسفية^(٢) .

(١) انظر في مدخل : سحر ، بـ ثمة : عرف بالفلسفة - في صحيفات غربية - وظهر كتبه : عن ذلك ، تاريخه قبل حرب في مصر الوسطى من ١٨ - ١٩ بوجه خاص .

(٢) فرن مصطفى بن عبد البر في كتابه : تاريخ الفلسفة الإسلامية من ٨٠٠ و ٢٢٠

مبدأ هذا العلم :

يراد بعلم النجوم معرفة الاستدلال على حوادث الكون والفساد بالثبوتات
الفلكية - أي أوضاع الأفلاك والكواكب^(١) ، ويتشعب إلى ثلاث شعب : أولها
علم الهيئة الذي يرمى إلى معرفة تركيب الأفلاك وكيفية الكواكب وأقسام البروج
وأبعادها وعظمتها وحركاتها وما يتبعها من هذا الفن ، ويبحث ثانياً في معرفة حل
الريجات وعمل التقويم واستخراج التواريخ وما شاكل ذلك ، أما ثلثها فهو علم
أحكام النجوم ، وهو العلم الذي يرمى إلى معرفة كيفية الاستدلال بدوران الفلك
ومواقع البروج وحركات الكواكب على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر^(٢)
والقسم الأول نظري وعملي وإن كانت هو أحكام النجوم^(٣) ، ويقدر إخوان
الصفاء في الرسالة السادسة ، بأن النجوم ٥ معرفة كيفية الأفلاك والكواكب والبروج
وكيفية أبعادها ومقادير أجزائها ، وكيفية تركيبها ، وسرعة حركاتها ، وكيفية دورتها
ومناخية طبائرها ، وكيفية زلازلها على الكائنات قبل كونها^(٤) وهذا - فيه لاحظ
الأستاذ فليبيو من قبل - يتفق مع العرب السالف في هذا ، ويشمله على علم الهيئة
وأحكام النجوم معاً ، ولكنه يبين سببا يجرى مجرى القرائن وأكثر فلاسفة الإسلام

(١) طائفة برزق ج ١ ص ٢٧٦ و ج ٢ ص ٣٨١ و موسى ص ٦٧٢
و تهاوي ج ٢ ص ١٢٢٨ ، وفي نسخة كشاف ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦

(٢) إخوان الصفاء ص ٧٣ (في رسالة ثالثة وهي وثيقة عن علم نجوم)

(٣) تاليفه : علم الهيئة ، ترجمه عنه العرب في مصور و سنجي ص ٢٥ - ٢٦ وهو يشير
إلى أن الفريزي قد نقل هذا من حرف (في كتابه الجوهري و لا غير) ذكر الخط و كان ج ١
ص ٧ من طبعة مصر (من غير أن يشير إلى مصدره ،

(٤) إخوان الصفاء ج ١ ص ٢٠٣

من حيث إنهم لا يعتبرون أحكام النجوم من الأقسام الفرعية للحكمة الطبيعية ، كالطب والقراءة وتفسير الرؤيا وما أشبهه ، وعلى هذا يراد بأحكام النجوم البحث في دلالات الكواكب ... الخ . أى على ما يقع في مستقبل الأيام أو في حاضرها ، أو ما وقع في ماضيها ^(١) . وقد فرّع بعض المفكرين علم النجوم إلى أحكام النجوم - الذى أسلفناه لأن - وإلى علم النجوم التسميى البرهاني وعلم النجوم الطبيعى ، ويراد بالبرهاني معرفة أحكام الكواكب وتأثيرها في عالم الكون والفساد ، وأول ما اشتهر به في الإسلام محمد بن إبراهيم (الفزارى) وكان يخرى على مذهب العرب ، وأعقبه محمد بن إلهام البرمكى ، أما من حيث مسائل المعجم من الفرس واليونانيين وغيرهم فهم (بعقوب) بن طارقي وما شاء الله الهندي وغيره ^(٢) .

والذى يعنىها هو علم أحكام النجوم ، وهو لا يعتبر - وفقاً لهذه السانف - من أجزاء علم الهيئة ، كما يخرج من نطاقه علم الرمل والخمر لأنه لا يبحث عن أصول النجوم ^(٣) وقد فرق المؤرخون بين النجوم وأحكام النجوم فقالوا إن الأول يعرف

(١) الفزارى من إحصاء نجوم : من ٤٢ : (عشرة زعماء لم يكونوا علماء)

(٢) نفس المصدر - من ٤٣ : ٤٤

(٣) ابن سعد لا تسمى : من طبقات : من ٨٠ - ٨١

(٤) التياوى في من ٥٠ - ٥١ : ولكن بن حدود بعد الرمل من فروع علم النجوم وقد نقل عنه رأي التياوى في النجوم : من ٥٠ : ٥١ : وذهب إلى هذا الترجمة : ابن Lane وسدحرف رأيه بعد قليل .

بالحساب فهو من فروع العلم الرياضي . وإنما الثاني فيعرف بدلالة الطبيعة على الآثار
فهو من فروع العلم الطبيعي^(١) .

ويستخدم التنجيم بوجه خاص - في يشير « لين » في معرفة طوابع النوازل ،
وأيضاً أوقات الخط ونحو ذلك . وكثيراً ما يستخدم التنجيم بالبرج الذي يتأثر به
الإنسان ، وذلك بمعية حساب يقوم على القيم العددية لحروف اسم الفرد واسم أمه ،
وكثيراً ما يستعمل عند معرفة النوازل عند الزواج على زوج . وقد عرف « لين » أن
علم الرمل الذي يبدو في صورة خازنات ترمز عما هو في ورق الرمل ، ويرغم أهله
أنه يكشف عن الماضي والحاضر والمستقبل - يقوم في أصله على علم التنجيم^(٢) .

في تاريخ التنجيم ونظوره :

منازل التنجيم منذ الناحية المحرقة عند قدماء المصريين من آشوريين وكلدانيين
ومصريين ونحوهم . فمن كتبهم طبيعة بلادهم وحياتهم من ملاحظة النجوم ومراقبة
حركاتها^(٣) . وقد ذهب بعض المستشرقين إلى القول بأن آراء البابليين (التي كانت
مزاجاً من التفكير اليوناني والروح المشرقية في مجال التنجيم والرؤيا والسحر ونحوه ،
قد أصبحت عربية إسلامية في (يقول بكر ficht) ، وأنت غير هؤلاء ، يدون أن
الأفلاطونية الجديدة هي التي مكنت إسلام التنجيم عند بعض المسلمين من أمثال
إخوان الصفا ، إذ أن الفضاء عند أهلهم هو علم الله السابق على توجبه أحكام

(١) ما تشكبي ربيع ١ ص ٢٩٦

(٢) E. W. Lane في كتبه ص ٢٧١

(٣) خبزون في كتاب دئون في ترتيب الأولويات والأربعين .

النجوم^(١) وإن كان المشككون من معتزلة وأشاعرة على اتفاق في إنكار هذا العلم الذي يؤدي إلى إنكار أن الله هو العلة الوحيدة والباشرة لكل الأحداث^(٢).

وفي الحق إن مصادر التنجيم الإسلامي متباعدة كل التباعد ، وقد نقلها أهله على اليونان من أمثال بطليموس ونومر Tencer وأنيوخس ، وأخذوا عن مصادرهم الهلنية وهندية ، وضمعوا مصنفاتهم ما كان شائعا في أرض الجزيرة والشام ومصر ، ومن هنا كان الخلط في الطرائق عند أمثال أبي معشر .

ولكن الذين يتنازرون على من سبقهم — فيما يقول الأستاذ نقيبو — بأنهم باغواشوا بعيدا في الحسابات ، إلى جانب جهودهم في التوفيق بين مختلف الطرائق ، وقد عرضوا هذه الحسابات في رسائل مكينة إلى جانب مسائل أخرى في حساب المثالثات الكرمي^(٣) ووضع الحاسبون توصلا لهذه الغاية كثيرا من الجداول الرياضية المفصلة ، وهم يختلفون في هذه الناحية عن المنجمين اليونان والهنود الذين كانوا يقومون بحسابات مبتسرة ، وكانوا يتكبدون عن الاستبعاد في الرياضيات المقدمة^(٤) .

ومن رأى الأستاذ نقيبو — وهو حجة في هذا الصدد — أن العرب قد ظلموا على

(١) إخوان صفاح : ص ١٤٦ ، وبعوث في خدمة مريحيوت ص ٣٦٠

(٢) أبو حيان ليوحدي ، نفاة ص ١٢٥ وقد أوضح هذا بشيء من التفصيل جلد تسير Goldziher في مقالة عن موافق أهل مكة من علوم الأوائل (ترجمة زهدا الدكتور بدوي في كتابه ثلاث يوناني — كاتب مذكر) وفي تلك معومات قيمة عن التنجيم وموافق المسلمين منه وإشارات قيمة إلى مصادر عامة فيه .

(٣) نقيبو في مادة التنجيم بتصدر المذكور أعلاه ، ونظر في تنجيم عند الاشوريين — ومنهم السكندانيون — والنصرانيين ومن يليهم من القدماء ، الفقرة الأولى والثانية والأربعين من الكتاب الأول في العلم بالحسب (شبهرون) .

جهل بصناعة أحكام النجوم حتى كادت الدولة الأموية أن تقرض ، ويعصرح بأنه لا يكاد نجد من هذه الصناعة شيئا في أعمار الجاهلية وأخبارها ، على وفرة ما يروى من اشتغال العرب بالكيمياء والقيافة والزرع والطبيرة وما يشبه ذلك من أنواع التفاؤل ، وإن كان العرب الذين استفروا خارج جزيرتهم بعد أواسط القرن الأول ، قد قلّوا بتأثير السكواكب في السعد والنحس على الأخلاق ، ونقلوا هذا عن الأمم الأجنبية التي سكنت بلادهم ، أما حرفة النجوم وصناعة أحكام النجوم عند العرب في القرن الأول للهجرة ، فإنه لم يعثر على ذكرها إلا في حكيتين ينفي صحتهما ^(١) ، ومعرض لها عند حديثنا على النجوم في قصور الخلفاء .

وروى « نايينو » أن الأمير خالد بن يزيد - ٨٥ هـ (حفيد معاوية مؤسس الدولة الأموية) هو أول من ترجمت له كتب في الطب والنجوم والكيمياء ، وأن من المحتمل أن تكون كتب النجوم التي قيل إنها ترجمت له ، كتباً في أحكام النجوم لا في علم الهيئة ^(٢) .

ولا غرابة في إظهار العالم الإسلامي لأحكام النجوم على علم الهيئة ، لأن الناس من سابقهم وموالمون بكل ما يثير الغرابة ويكشف عن آفاق المستقبل المحجب ، ولعل أول كتاب ترجم من اليونانية إلى العربية ، هو « أحكام النجوم » المنسوب إلى هرمس ، والمثقفون أن ترجمته كانت قبل انقراض الدولة الأموية بسبع سنوات ، وعند ما انقرضت هذه الدولة (١٣٢ هـ ٧٥ م) واختلط العرب بالمائيلك والموالي - وأكثروا من الفرس - استيقظت نهضة كان من آثارها ، شغل الخلفاء بتلك الفنون ^(٣) - على ما سنعرف بعد قليل .

(١) نايينو : عن الفلك من ٣٢٤ وما بعدها

(٢) المصدر السابق من ١٣٧ (٣) المصدر السابق من ١٤٢ - ٣

وفي خلافة منصور ابن أبي يحيى الطبري ، كتاب الأربع مقالات - التي
ومعه بطليموس في مدعة الحكيم النجوم ، وأثر الفرس في السنين عند بدء أعمالهم
بهذه المدعة تأثيراً محفوظاً ، وكان يؤخذ والطريق من الفرس ، وشاعت
الاصطلاحات الفارسية في كتب ما شاء الله ^(١) .

وقد أبهر المسلمون في دراسة هذا العلم ، إقبالاً ملحوظاً في السنين الخمسة
والعشرة معاً ، وتقدم في كثير من كتب عنه ، وقد ذهب « بكار » Heker في مقاله
النائب إلى أن معسكرى صدر النهضة قد أخذوا عن العرب المنجم والعراة
الحبابية ، كما أنهم الكاب المعروف « ديرة الحكيم » ، ومن كان هؤلاء - فيما
يرى - أعلم من المسلمين بعد إلى يأسن الأشياء ورعية في اكتشاف الحقيقة .

طرق التجسس :

في وضع النجوم المسلم أن يأخذ ثلاث طرائق كبرى لا يتجاوزها :

١ - طريقة التنبؤ : ويراد بها التنبؤ على أسئلة انفصل بحياة الناس اليومية ،
من الأخبار ، أو معرفة سارة أو استعادة مفقود أو نحو ذلك ، وهذه الطريقة
أبسط الطرق وأشيعها .

٢ - طريقة الاختيارات : وهي الاختيار لأوقات التي تلائم القيام بعمل ما .

٣ - طريقة تحويل السنين : وتقوم على أن الصورة المصورة في ذهن المولد ،
تحدد طالع المولد بدقة ، وقد اتبعها بطليموس ، وقد فصل الأستاذ « نالينو » في
بيانها وبيان غيرها من طرق تنبؤ عند المسلمين ^(٢) .

(١) المصدر السابق ص ١٢٦ و ١٢٧

(٢) نالينو Nalino في معناه - ح ونظرة أرب مادة (Sun, moon) Stars في تدين
الإسلام في Ency. of Religion and Ethics

علم التنجيم بين النصارى وقصوره :

ولعل من الخير أن نبسط في تاريخنا لهذا العلم . دلة منكريه ورد مؤيديه عليها واحداً بعد واحد ، فإن ذلك أدى إلى تحديد مكان هذا العلم في رموس الفريقيين مما :

انعقد إجماع المتكلمين والفقيهاء والفلاسفة على إنكار التنجيم ، وشذ عن هؤلاء قلة من أمثال السكندی وإخوان الصفا وغير الذين لرازي^(١) . وقد اشتغل السكندی بالنجامة ، وحقق عليه أبو معشر شجرة - يوم يردى صاحب القريست - وعرض المسمودى في الجزء الأول لبيان آرائه في تأثير العالم للأشخاص العلوية ، وبهذا ربط الحوادث الأرضية بحركات النجوم^(٢) ففترض موقف منكريه ومؤيديه :

قال منكره : « أن ليس في معرفة الكائنات قبل كونها صلاح لإنسان من الناس » لأن في ذلك تنميصاً للعبس واستجلاباً لهم ، واستعماراً للخوف والحزن والصائب قبل حلولها^(٣) . ويوسط المتكلمون ما ينعيه المشتغلون بالنجوم من وراء الطاب والنحو والفقه والشعر والحساب والبلاغة والهندسة والطبقة ونحوها ، ثم يعقبون على هذا قائمين أن علم النجوم ليس كذلك ، فإن صاحبه وإن استقصى وبلغ الحد الأقصى ، في معرفة السكواكب وتحويل مسيرها ، وانحرافها ورجوعها و... حتى

(١) أصدرت - تحت الاسم السابق - فتاوى في القصر الذي .

(٢) مصطفى عبد الرزاق ، كتابه : « تاريخ العرب وعصرهم » من ٢٢ - ٢٣ .

(٣) قرن الحول : عفا ١٠٧ من ١٠٧ ، من ٣٢٣ (مكرراً : المصنف) ولزمن هذا

بالفترة المسماة من الكذب الذي (شيترون) يصبح شبهه من عبد الرزاق ونحوه شيترون الرومى .

إذا حكم أصاب ، فإنه لا يستطيع البتة قلب عين شيء ، ولا صرف أمر إلى أمر ولا نفي
حالة قد كتبت ، ولا دفع سعادة قد أنجت وظلت ، فلعلم الحاذق فيه المتناهي في حقائقه
منعطر إلى الاستسلام للقدر ، فيساوي بذلك مع أجهل الجهال - هذا على افتراض
الصدق فيما يزعمه أهل^(١) ، ولكن مؤيديه يردون قائلين إن الإنسان : « إذا علم
ما يكون من حادث في المستقبل أو كائن بعد ، أمكنه أن يدفع عن نفسه بعضها ،
لا شأن يمنع ويدفع كونها ، ولكن يتحرر منها أو يستمد لها كما يفعل سائر الناس
ويستعدون لدفع برد الشتاء بجمع الدار ، وطرد الصيف بأخذ الكفن ، وليس في الغلاء
بالاعتذار ، ونواضع الفتي بالخروج منها والتمد عنها ، وتوثق الأسفار عند التخوف وما
شاكل ذلك ، مع علمهم بأنهم لا يصيبهم منها إلا ما كتب الله لهم وعليهم » ذلك
بالإضافة إلى أن الناس متى علموا الحوادث قبل كونها ، أمكنهم أن يدموها قبل
زولها بالاداء والتضرع إلى الله ، والنفقة والإسبغ إليه بالوصوم والصلاء والقرآن ،
وسؤاله أن يصرف عنهم ما يخافون نزولها ، وبهذا تراث النبوات وسنت الشرائع^(٢).

ومن وجود الإسكار أن اليهودي وهو أحد الأئمة الشهابيين (١٦٦ هـ) نفي
المنجم اليهودي « مائشاه الله » وكان صاحب حفظ قوي في سهم الغيب والإخبار
بأمور الخلق ، فقال له : أنت تخاف رجل وأنت تخاف رب رجل ، وأنت ترجو
المشرك ، وأنت أرجو رب المشرك ، وأنت تقدر بالاستشارة وأنت تغدو بالاستشارة
فكم مبتدأ^(٣) ذلك أن المنجم إنسان « فليس الأصل زائد الفرع ، وزيدته لا ترفع

(١) نقالاب لأبي حنيفة تروى من ١٢٠ - ١٢٣ وقرن تحفة الكوفة في الكتاب
مائي اليهوديون تعرف وجهه بشبهه غيب .
(٢) بحوال صفحا ١ من ١٠٧ - ١٠٨ وقرن تحفة الكوفة من كتاب الثاني في
شيترون ، بين عما تراثي ومعب ترواية الشاه منحوط
(٣) نقالاب من ١٢٣

نقصانه ، لأن التقصير بالطبع والسكن بالعرض ، والنتيجة بممه يبارى الله وبشرعه
علمه وينشعب غيبه^(١) .

ولكن مؤيديه يقولون إن من نظر في هذا تعلم وفكر في سعة هذه الأفلاك
وسرعة دوراتها ، وعصم هذه الكواكب ومحيط حركتها ، وانقسام هذه البروج
وعريب أوصافها ، تسوقت نفسه إلى الصعود إلى تلك^(٢) والنظر إلى ما فيه ، وليس
هذا ممكن بهذا الحد القليل الكيف ، وكان النفس إذا درفت هذه الجنة وما فيها
شيء من سوء أفعالها أو مصدر آرائها ، استطاعت أن تصعد إلى لوح البصر إلى عالم
الأفلاك ، وبغير هذا شيء تحت مد القدر سائغة في فطر هذه الأجسام الساجدة
المتعددة تارة من الكون إلى الفساد ، وتارة من الفساد إلى الكون ، وفي أقوال
الأنبياء والحكماء ما يذهب ما يقول^(٣) . والنظر في هذا العلم يهين على الله إلى ما هو
أشرف وأجل ، فهو عليه السلام من يوم القعدة وبقية جهنة^(٤) .

وميل في مذهبهم إلى أحكامه وإن لم ينظر في أسرارها ، فإنهم لا تصح أسرارها ،
وليس هذا بالحقين اليسير^(٥) ، ومحمد ، وإطارها تنوقف على آثار الفناء ، وقد يقتضي

(١) انظر - ج ١ ص ١٣٣

(٢) أي في تلك الكواكب ، أي في وجود من تلك الكواكب ، وهو ما قال به من صفت
وقال به في قوله تعالى : "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا قبضاً معلوماً" ، أي في قوله
عالم الأركان أو مصدر الأركان من قوله : "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا قبضاً معلوماً"
مفعول من قوله : "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا قبضاً معلوماً" ، أي في قوله : "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا قبضاً معلوماً"
المراد به من قوله : "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا قبضاً معلوماً" ، أي في قوله : "وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا قبضاً معلوماً"
جمله - انظر - ج ١ ص ١٣٣ - ١٣٤

(٣) انظر - ج ١ ص ٩١ وما بعده

(٤) انظر - ج ١ ص ١٠٧ وكرر ما تقدم في باب سحر ج ١ ص ٢٢٣

(٥) انظر - ج ١ ص ١٢٥

شكى القس في زمانه ، ألا يصح من أحكام النجوم شيء ، وإن غلب أهلها على وقتها ، وبلغوا إلى أعماقهم (١) .

ولكن مؤيديه يقولون إن الصناعة لا تبطل ولا تكون أدلتها قنطرة ، لأن أهلها يتعرضون للأخطاء في استدلالهم ، فعند النجوم وأدلتهم صحيحة وحق ، وإن أخطأ أهلها في بعض استدلالهم أو أكثرها ، لأن الله هو الذي نصب الأشخاص الفلكية وأجراها بحاربه ، وقد جعله الله معجزة لإدريس النبي ، « وكذلك الطب وصناعته ، فإن دلالة صحيحة ، وقد يعيب الأطباء ويخطئون في فضاءهم ، باستدلالهم التي نصبوها في كثيرها ، فلا تبطل صناعة الطب من أجل ذلك ، والأدلة التي نصبها الباري سبحانه ونمالي هي اختلاف حركات النجوم وأصناف الدول وأقرب أحوال المربيع للمل ، وهكذا أيضا الفقهاء والحكام ، وأهل الفتوى في أحكام الدين من الحلال والحرام ، قد يسيئون أو يخطئون في فضاءهم واستدلالهم التي نصبها لهم الباري من آيات كتبه العزلة . . . فخطوهم وزللهم لا يبطل المسام والصناعة والأدلة المنسوبة ، ولكن التفسير والعجز موكولان بالإنسان لقصة عن التمام (٢) .

وإذا كانت الحالات قد اشتدت على هذا العلم فإن ذلك لا يثير الشك في أمره ، فإن العلماء لا يشكون في علم وأدب تعلموه ، يقول المنسكرون له والجاهل به ، وكذلك الخلق مع كل عاقل ، فإنه لا يترك عقيدته ومذهبه الذي نشأ عليه ، دون أن يتبين بطلانه وينكشف له عواره ، فإن دخول الشبهة على كل إنسان جائز ويمكن ،

(١) نصير الثالث من ١٣٥ - ١٣٦

(٢) بخون ص ٣٧ - ٣٨ ويزن غيرة أربعة عشر من الكتب الأولى في شيترون (الكتاب المعروف بين سدين ورومان) وقد أكد هذا المعنى في الفقرة الثانية والثلاثين والخامسة والآخرين من الكتب الأولى .

ردغم قيام الحق ووضوحه^(١) . وقد كانت أحكام النجوم من أميات الخراف بين الناس مذ كانوا ، والعامة في حكمها على ثلاثة أقويل : فمنهم من يرى معتقداً أن الأشخاص الفلسفية دلالة على السكائنات قبل كونها في هذه الأشخاص السلفية ، كما أن لها أفعالا وتأثيرات كذلك ، ومنهم من يسلم بدلائلها ولا يسلم بفعالها وتأثيرها ، ومنهم من ينفي التأثير والدلالة عليهما نفياً قطعياً ، ويقول إن حكمها حكم الحيوانات والأحجار المطروحة في البراري والقفار ، ولكن مؤيدي النجوم يقولون إن منكري دلائلها قد أسهبوا إلى هنا تركيبة النظار في علم الأحكام ، وغفلت عن تعلمه وإعراضهم عن البحث فيه ، وأما الذين أبدوا دلائلها فقد عرفوا هذا من طول التجارب وكثرة الاعتبار في مرور الأيام والشهور والأعوام الكثيرة ، أمة بعد أمة وقرناً بعد قرن . وأما مؤيدي دلائلها وأفعالها فقد اعتبروا النجوم ملائكة له وملوكاً لأفلاكه وسكاناً لسمواته ، وقد عرفوا ذلك بعد النظر في العلوم الرياضية ، وبحكماتها بعد تعلمها والتدرب عليها بطول الزمان من المدهور والآن ، ثم ارتقوا إلى معرفة العلوم الطبيعية ومنها إلى العلوم الإلهية : ثم إلى علوم النجوم ونحوه ، وانتهوا إلى تسمية المؤثرات بروحانيات الكواكب في السكائنات ، والذين ذكروا أن النجوم مع دلائلها أفعالا وتأثيرات في السكائنات التي تحت غدت القمر ، قد عرفوا ذلك بغير طريق أصحاب الأحكام ، وهو طريق الفلسفة الروحية والعلوم الفلسفية والتأييد الإلهي والعناية الربانية^(٢) وليس ذلك يلدغ فإن علم النجوم جزء من علم الفلاسفة^(٣) .

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٣٧

(٢) إحسان اصفا ج ١ ص ٩٨ - ٩٩ ج ٤ ص ٣٦ - ٣٧

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٨

وقد كان بطلميوس يرى أن التأثيرات النشطة من الأجرام العلوية ، تجعل طبيعة
« القابل » متغيرة لطبيعة « القابل » وهو « جسم » بهذا الرئي ، ثم ادعنا لرأي أهل
السنه ، فإننا على الحائز منطرون في التسليم بأن الأجرام العلوية لا تكون فاعلة
بالطبيعة في الحدث ، وإنما هي مجرد دلائل عليها يس ، لا ، وتعتبر النجوم مرهون
بطبيعة كل منها ، وبثبوتها ، وبسببها ، فليس لو بدلتها فغيرها من النجوم ، ولهذا
تخضع حوادث السماء ، كما يخضع الناس لمزاج من كثير جدا من التأثيرات العلوية
المتباينة المتغيرة ، فلو كانت الطبيعة في أقصى الحدود ، وليس عمل النجوم إلا فهم هذه
التأثيرات والجميع منها ^(١) ، ويقول الكندي إن الله قد صير بعض مخلوقاته عللا لبعضها
الآخر ، فاعلمة الفعل في معارفها آثار ما هي عليه ، وليس يؤثر يقوم الفعل في علمه
الذاتية ، والنفس علة الفكر لا معلولة له ، فليس يؤثر الفلك فيها أثرأ ، إلا أن من
مطابع النفس أن تتبع مزاج البدن ، إن شاء الله تعالى ^(٢) .

ولكن المتكبرين يردون على هذا ، فيقولون إن أفعال صناعة النجوم برعمون أنهم
يعرفون الكائنات في علم العناصر قبل كونها ، يعرفهم قوى الكواكب وتأثيرها
في الوندات العنصرية مفردة ومختلطة ، والقدمون منهم يزعمون أن معرفة قوى
الكواكب وتأثيراتها تكون بالتجربة ، وهذا أمر يقتصر لأعمار كائنها لو اجتمعت
عن تحصيله ، إذ التجربة إنما تحصل في أوقات متعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم
أو الظن ، وأدوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره إلى آحاد
وأحقاب متطاولة ، يقتصر عنها ما هو طويل من أعمار العلم ^(٣) .

(١) - يرى في منهج الكندي من بين .

(٢) - حزن مصطلح هذا عند بطلميوس في « فيلسوف » ص ٢٢ - ٣ .

(٣) - ابن حنون ص ١٢٨ - ١٢٩ ، فلوحي ص ٦٧٥ .

علم التنجيم بين الإلهام والتجربة والاستدلال :

وذهب بعض مؤيديه إلى أن معارف علم النجوم لا تنال بالعقل أبداً ، ومن بحث عنها علم بالضرورة أنها لا تدرك إلا بإلهام إلهي وتوفيق من جهة الله تعالى ، ولا سبيل إليها بالتجربة^(١) . بسبب السالف نفسه . ولكن مكبره يقولون إن الضعفاء من المشتغلين بصناعة النجوم يذهبون إلى القول بأن معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها تكون بالوحى ، وقد كفوفا مؤنة لإبطاله ، فإن من أوضح الأدلة على فساد أن تعلم أن الأبداء أبعد الناس عن الضائع . وأنهم لا يهتمرون بالتجربة عن الغيب إلا أن يكون وحياً من الله ، فكيف يدعون احتياطه بالمساعدة ويشبهون بذلك تلاميذهم من الخلق^(٢) .

فأما المتأخرون فيرون أن دلالة الكواكب على أحداث عام لا يمكن دلالة طبيعية ، من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات المعبودة . كما ذهب بطليموس ومن تبعه من المتأخرين ، فإن مثل النجوم والكواكب في المنعرجات مظهر ليس في ذلك كان إكثاره ، كعمل الشمس في تفاعل النصول وأمر جنه ونصيح لثمار والأرض والنحو ، وفعل القمر في الرطوبات والدم والنضاج لورد الثمينة ونحو ذلك ، وهو لا يهتمر بالتنجيم من القضاء الإلهي . ثم القدر . إنا هو من جهة الأسباب الطبيعية للخلق ، والقضاء الإلهي سابق على كل شيء ، ذلك ما يقوله بطليموس وأتباعه ، ولكن من الحق أن نقول إن القوى النجومية ليست هي الداعل بجمالها ، بل تشترك معها قوى

(١) القرطبي في كتابه من غلال من ١٣٨ - ١٣٩

(٢) ابن خلدون من ٢٧٩ : ونورجى ٢٧٢

أخرى قاعة في الجزء المادي ، كقوة لأب على التوليد ونحوها ، فإذا عرفنا القوى
النجومية عرفنا قاعلا واحدا من جهة أسباب وعلة الكائن ، ذلك بالإضافة إلى أن
العلم بهذه القوى النجومية يقترب به حدس وتخمين حتى يرجح الظن بوقوع الكائن ،
وليس الحدس من عقل الكائن ، وبغيره يصبح الصناعة متاراً لما شك ، وهذا كله على
افتراض أن العلم بالقوى النجومية سيفتح على مدد ، ولم تفتضه آفة ، والاستدلال
يؤدي بنا إلى القول بأن الفعل هو الله . ومنه حكم الشرع في إنكار المعجزة
بعد ، وبذلك نهدم أحكام المعجزة عقلا وشرعا . وما يقول ابن خلدون^(١) .

وإذا كان من الواضح أن أهل التنجيم يصلون إلى معلوماتهم بالاستدلال
والفطر والحدس والعلم بقوى المعجزة ونحوها ، كان من الطبيعي أن هذا لا يدخل في
مجال الإدراك القبي . الذي عرفنا أنه لا ينبغي . اكتب ما أمرا ، وقد بلغ من مدد
هذا الظن أن بعض مؤيدي التنجيم قد أفتوا صراحة بأن التنجيم لا يدعي إدراك^(٢)
الغيب .

وذلك بالإضافة إلى أن القاشين بدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك
وآثارها في العناصر ، وما يحصل من الأثر في بين طباعها . فتتأثر ويتأذى من ذلك
المزاج إلى الهواء ، مثل هؤلاء النجوميين يستندون إلى ظنون حدسية وتخمينات مبهمة
على التأثيرات النجومية . كما عرفنا الآن ، ويكونون في غير غيبة من الحس ، ومدارك
الغيب لا تكون بغير هذا أبدا^(٣) . والقول بأن العلم بأحكام المعجزة يحس ، عن
وحى وإلهام إلهي كما قل المتقدمون من أهل هذه الصناعة . قد وجد من ينكروه من
أمثال ابن خلدون على نحو ما نشرنا من قبل .

(١) التفسير لفسه من ٢٧٩ ، ٢٨٠ و خروجي من ٢٦٤ - ٢٧٥

(٢) إحياء علوم الدين ١ من ١٠٤ - ١٠٦ (٣) ابن خلدون من ٩٧

وليس ينبغي أن يتوهم أن هذه العادة من وجودها طبيعي لمبشر بمقتضى مداركهم وعقولهم ، فإن الأمر والخير طبيعتان فتنان ليس في الواسع أوعدهما من طوائف الناس ، ولكن هذا لا يمنع من أن لا يكتب له تطوير ودفع أسباب الضرر^(١) ، ولكن قيل إن أوجز عن النظر في هذا الأمر قد ورد لأصحاب النفوس الحبيشة والعقول النيرة ، التي لا يعجزون لأربابها أن يشفقوا رشح الحكمة أو يفتدوا إلى غراب الفلسفة ، ويأخذوا النظر إلى هذا الأمر والتأمل به قبل في حسنة ، وقد ورد من أجل المتأخرين في عقولهم ونفوسهم مما^(٢) ، حتى أنه إذا كان من الممكن - على حالي إجراء العادة - أن يكون بعض الحوادث سبباً بعميقها لأخر ، فليس ثمة دليل على كون الكون الكون نفسه ثابتاً لا يتغير ، لا حسناً ولا عقلاً ولا سمياً ولا شراً^(٣) .

وعلى الرغم من أن ثمة خصوم الناجيم ودماء الاستجدات ، يبدو أقوى من حجج أنصاره ومؤيديه ، فإنها لم تذهب متوزعة في قصور الحكماء والملاطيين وعند عامة الناس على السواء ، وقد ظل هذا الذود دماً حتى القرن الأخير ، حين أتى عليه قيام الحضارة الغربية عامة ومذهب كوبرنيكوس من ١٥٤٣ بوجه خاص ، ومن أجل هذا ظل دماً في البلاد التي لم تغرها الحضارة الغربية ، وإن استفاد خلالها الذي

(١) ابن سديد من ٢٨١ و مخرج من ٦٧٢

(٢) نقد لابن حبان مخرج من ١٢٨

(٣) حبان حيلة من ٢٨١ وقد نص فيه على رأي ، وردت لغوي من مدق ما يقوله في من ٦٧٢ ولما لاحظ أنه كثير من ثمة أيدهم من ولسكاره بما في مؤلف أنصاره من روافيه وخصومه من أن لا يكتب له الجبهة كما ظهر في كذب شيعيون بسميه الأول والثاني ،

كان له في العصور الوسطى ، ومن هنا نلاحظ أن قصة اثنين لا يزالون - فيما يذكر تالينيو - يزالون صناعة أحكام النجوم إلى يومنا الحاضر ^(١) .

وفي الآثار الإسلامية وفرة من الأدلة تشهد بمقال التنجيم إلى قصور الخلفاء ، وأثره الملحوظ في تدبير الشؤون العامة والخاصة ، سياسية أو اجتماعية أو غيرها :

التنجيم في قصور الخلفاء :

يقول ابن خلكان - في وفيات الأعيان - أن الخواجه بن يوسف حين حضرته الوفاة ، استدعى منجه وول له : هل نرى في عملك مسكا يموت ؟ قال المنجم نعم ، ولست هو ، لأن الذي يموت اسمه كاليب ، ول الخواجه إنه أنا والله ، لا بذلك سمعني أمي ، وكتب وسبته ^(٢) .

وقد كان جعفر المنصور - ثاني الخلفاء العباسيين - يدعى المنجمين من حضرته ، ويستشيرهم في أموره ، وكان يواظب على الفارسي ^(٣) بصاحب المنصور ، ولما ضعف عن خدمته طلب إليه هذا الحضار ولده ليأخذ مكانه ، فسار له ولده أباسهل - وروى المؤرخون - أنما ابن أبي أصيبعة وأبي الفرج والغفطي - أن المنصور لما حج حجته التي توفي فيها ، رافقه من المنجمين أبو مهمل ، بن ابن المنصور حين هم ببناء بغداد (١٤٥ هـ) وضع أساس المدينة في وقت اختاره توخت المنجم وما شاء الله بن سارية ، وأن الذين هندسوا المدينة كانوا في حصرة توخت وإبراهيم بن محمد الفزاري والطبري

(١) نهر في مادة تنجيم شارحها من قبل .

(٢) ولكن دينو برمن صرح بهذه قصة - كما أشرنا من قبل - لأنها لا ترد في كتب التاريخ القديمة ، ولأن تنجيم - يكن معروف عند المسلمين في هذا عهد (أنظر تالينيو علم تلك من ٣٣١)

(٣) يقول السعدي في مروج الذهب (ج ٨ من ٢٩١ ضمة أوربية) إنه كان بجوسيا وأسلم على يد المنصور .

من المنجمين^(١) ، وروى البيهقي أن ابتداء البناء كان في الخامس والعشرين من ربيع الثاني ١١٥٢ للهجرة ، وأن نويخت هو الذي تولى اختيار الوقت الثلاثم ، وأن هيئة الملك في ذلك الحين قد نفقت على مثل هذا الشكل .

وقد روى أبو ميسر المنجم ، عن ابن منصور وفاة من أقرانه في المنجم ، أن المؤمن قد طالب إليهم أن يأخذوا ما يدعو إلى إفساد ، ومعرفة مدى الصدق في دعواه ، فأحكموا نظامه وصوروه ، فوفقت الشمس والقمر في دقيقة واحدة في الطالع ، والطالع الحادي والعشرون في الساعة بنظر إليه ، إذا قال جدهم إن ما يدعيه صحيح . وقال ابن منصور : إن التصحيح الذي يطالبه لا يصح ، ولا تم له ولا يتقدم . لأن صحة الدعوى من شئ أو شيء شمس من أسديده ، إذا كانت الشمس غير منجوسة ، وهذا حال دعوى من شئ ، وشئ بنظر إليه نظر موافقه ، إلا أنه كاره ذلك البرج ، والبرج كاره له ، ولا تم التصحيح والتصديق ، والذي ذلوا من حجة ذهبية عطاردية ضرب من الخرافة والترويض والخداع ، فإني عابه المؤمن وأنشأهم بدعوى الوحد في النبوة ، وسأل به حتى كتب عن دعواه^(٢) .

على أن كتب التاريخ تشهد بأن الخلفاء وحكامهم كانوا على اتفاق بصدور الاعتقاد في صدق المنجمين ، وللمعروف يروى عند وصف وفاة ممكن بين عبد الملك ابن مروان ومصعب بن الزبير عام ٧٢ هـ ، أن الأول كان معه منجم مقدّم ، وقد أشار على عبد الملك ألا يتحرك به حين في ذلك اليوم ، فإنه سيحوس ، ويمكن حرقه بعد ثلاث ، فحسب نصرا ، فبعث محمد بن أخيه عبد الملك يقول : وأنا أعزم على نفسي

(١) البيهقي في سنن من ٢٣٨ طبعة بيروت - سنة ١٨٩٢ هـ

(٢) الخوارزمي في تاريخ من ٢٢٤ - ٢٢٥

لأقارب ولا أنصفت إلى زخريف مسجلك . ونحلات من الكذب ، فقتل عبد الثالث
للمناجم وابن حضره . ألا ترون ! ثم رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم إني
أصبح يدعو إلى أخيه وأصبحت يدعو لنفسى . « اللهم أفرج خيراً لأمة محمد »
واقْتُل محمد وأبلى وأكثه قتل^(١) . . .

وإذا كان مدينو بني النضير بهذه الفصاحة^(٢) . استناداً إلى رأيه السابق أنكره ،
فإن مجرد رواية السعدي لها . تجعل الدلالة على أن التشجير لم يكن موضع تسليم
وإذعان عند الجميع .

فروع النجوم :

حينما هذا مما قيل في علم أحكام النجوم . وقد فرعه بعض مؤرخيه إلى علم
الاختيارات ، والزمان والفرقة والمطيرة^(٣) . ولا يسلم بعضهم بهذا التفريع .
وسببه يعلم النجوم في زعمهم تعلمه ، بإدراك الغيب عند أهل الزمان الذي استقبله
لذلك قوم من الأمة ، وأقدمهم أبو موشى الحكيم وأمهوا تداوية ، ونسبوه إلى
النبوءات القديمة (دانيال أو إدريس) . ثم أهل حساب النجوم الذين زعموا أنهم
يعرفون عن طريقه الغائب والمغوب في الحروب ، ثم أصحاب الزايرجه . ولا سيما
تلك التي نسب إلى محمد السبئي . من أعلام متصوفة المغرب في أواخر المائة السادسة ،
ولا يتكورها بعض المفكرين . استناداً إلى ما فيها من انساب . هو السر في الحصول
على الجاهول من العلوم كما يحدث عند أهل الرابطة ، ولهذا نسبت إليهم . ولكن

(١) السعدي : مروج الذهب ج ٥ ص ٣٤٤ - طبعة تورية .

(٢) تدينو : عم لث من ٣٣١

(٣) ابن خلدون ص ٩٧ وقد فرعه : السوحي . بن علي ما تيسر .

الذين يقولون هذا يثبون اعتبارها — وغيرها مما سلب الآن — من أدوات الإدراك الغيبى ، لأن الغيب لا يدرك صناعة وبطاعة كما فت من قبل (١) .

وقد أورد « لين » Lane صورة زائدة يستخدمها المصريون عند التردد في الإقدام على عمل أو الإحجام عنه ، وتختص في مربع يرسم وينقسم إلى مائة خانة صغيرة ، يكتب في كل منها حرف من الحروف كيم ، انق ، وفيل الإقدام على استفتائها بقراء الإنسان الفاتحة ، ويعتق عليها بالآية التاسعة والخمسين من سورة الأنعام « وعنده مذبح الغيب لا يعلمها إلا هو ... » ثلاث مرات ، ثم يضع أصبعه عذراً على إحدى خانات جدول ، ويسجل حرف الذى يقع عليه أصبعه ، ثم يدون الحرف الخامس الذى يليه ، ويكرر تدوين كل خامس حرف بحسب ، بعد ذلك ، حتى يصل إلى الحرف الذى بدأ به ، ومن مجموع هذه الحروف — الحوامس — وهي عشرة ، بالتتابع عشرون ، يتألف الجواب وقد جرى « لين » هذه التجربة في جدول في كتابه ، واستخلص جواباً مفولاً ، والسكنى أجريت هذه التجربة بنفس الطريقة التى رسمها ، فكان مجموع الحروف الأربع « كيم انق » لا جدول معنى مفولاً ، إلا ويقول « لين » إن أحب الزيارات عند المصريين لكثرة تفقيد ، وأن عملياتها تعتمد على حساب أحكام النجوم (٢) .

أول من أخبر ألا يفرح من أحداث عن أساليب التنبؤ دون أن تعرض في شيء من الإيجاز موقف مفكرى الإسلام من معنى القراءة والسحر ، لأن كليهما قد تشعب عند بعض أهل ومؤرخيه حتى تنال التشكيك بغيب ، وقد عني المصريون بهذين العلمين تأييداً ورسكازاً ، ولهذا نرم الحديث عليهما معاً :

(١) من جدول من ٢٨١ و الموجب من ٦٧٧

(2) E. W. Lane, Modern Egyptians p. 266-7

علم الفراسة وأشباهها

اعتبر بعض المؤرخين^(١) المعرفة من فروع الفراسة ، ويؤكد بعتقد الرأي على أن المعرفة قد سخرت لمعرفة الغيب ، وإن رفض جمهور رجال الشرع ومن ذهب مذهبهم التسليم بصحتها ، واعتبر البعض الكهانة من فروع المعرفة ، كما استدلوا بالإشارة من قبل ، وإذا تحققت الامتيازات في التصديق والتفريق عند هؤلاء المتكبرين ، لاحتمالنا أن بعض كبار أهلها ومؤيديه يوسع في نطاقها حتى تشمل الشكوك بالغيب - كما نعرف الآن .

مآلها وأقسامها :

والأصل في الفراسة أنها العلم الذي يستبين بما ظاهر من أحوال الناس وهيتهم من ألوان وأشكال وأعضاء - على معرفة ما سفي من أخلاقهم وطباعهم ، أو هو في الجملة الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن^(٢) وبروز وجوده بقولهم إن المزاج إما أن يكون النفس أو آتة لها في أعمالها ، وعلى كلا التقديرين السالفين لا بد أن يكون الخلق - ما ظهر منه وما باطن - نابعاً للمزاج ، وإن صح هذا كان الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن ، جازياً مجزئ الاستدلال بمحصول أحد المتلازمين على

(١) المنجى ، أثناء اليوم ج ١ ص ٤٠

(٢) المشكوى رده ج ١ ص ٢٧٣ وخاتمة خيفة ج ٢ ص ٧٢ والمنجى ص ٥٥٦ -

محصول الآخر، ولا شك أنه نوع من الأقسام صحيح، وبإثباته الكتاب والمحنة والمقل جميعاً، حتى نذكر ما كان قبل العلم ومؤرخه^(١).

تفريع الخمرية :

ولكن بعض مؤرخيه قد شاركوه في طريق : فحدهم يحصل بالانجليزية التي كانت
على أن التاريخ ياتي عن الأخلاق المثلثة^(٢٢) ، وهو غير يقيني الأسلوب على المروج^(٢٣)
ونائبها الفرنسية الشرعية التي تحصل بنور اليقين بواسطة تركيبة النفس عن الأخلاق
الردية ، واسعية القلب عن الصدق بالجمعية ، حتى يظهر بنور الله فيكون لله امره
وسمه ، إن الله لا يخلق عليه شيء إلا في الأرض ولا في السماء^(٢٤) ، وفي هذا النوع
من القراءة يقع في القلب غمط محدود عن الآمال وصفته ، وكون الاستعانة بعلامه
حماية أو إشارة محسوسة ، والله فيه ما تمت من أن جواهر النفوس الناطقة
مختلفة بالصفات ، فمنها ما يقع في الأشراف والفجلى عن العلاقات الجسمانية ، ومنها
مما لا يكون كذلك ، وكل من النفس الخرى عن معرفة القيوب بأن النور ، فكذلك
النفس المشرقة الصادقة قد تستلجم معرفة القيم حال البقطة ، وتختلف مثل هذه
النفوس كما وكيف^(٢٥) ، وهكذا استت القراءة في مبدئ التمكن بالقيوب ، وأبدوها

[illegible]

(۲) طبعی رنگه ۱ ص ۹۱۳ (۳) طبعی ص ۱

٢٧٨ من ١٠٠٠ (١٠)

(۵) هرگز نباید از سبزه‌های تازه و سبزیجات تازه استفاده کرد.

بآيات الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد دل النبي اتقوا قراءة القرآن فإنه
ينظر بنور الله ، وثبوته كان قبلكم من آيات محمد بنون ، فيسه إشارة إلى القراءة
الطبيعية - وهي التي فطر الله النفوس عليها ، والقراءة الشرعية هي معاينة القبيات
بالأنوار الربانية ، فمن راقب أخوانه ونفسه ، وتجنب ما حصى - ما صغر منها وما كبره ،
وتحلى بالأخلاق النبوية وتحلى بالأدب المعصومية ولا ير خيرا ولا شرا ولا انما ولا
خيرا إلا من الله ... كات قرأته كاشعش نطلع أنوارها ، ولم ينطق إلا صدقا
وحقا^(١) وعلى هذا فن مدنى القراءة أطالع قلب على مجاهل الغيب بنور من الله^(٢)
وهذا الشفاء صوفى فى تفسيره^(٣) وعلى هذا ففراصة إنما أن تكون وثمة على ما ظهر
من أحوال البدن ، ويعبرى فى هذا النوع التعليم والتعلم ، وإما أن يقوم الحكم فيها
على مجرد القوة الحسية ، وثبت هى فراصة لأتيداء وأكابر الأولياء^(٤) .

قيل أن رسول الله يقول : « كان فيمن قبلكم محدثون ، وأنه لم يكن أحد فمهم
ابن الخطاب ، وأحدث العصب فى ضمه وفراسته كنه حدث بالأمر - فيها يروى
طاشكبرى زاد^(٥) . أو هو التام الذى بقى فى نفسه الشيء ، فيذكر به حدسا وفراصة
فيها يقول ابن الأثير^(٦) . وقد كان عمر يقول « من لم يندمه فثمة لم يندمه عينه »
ويروى فى أمر فراسته رويات « قد يصدق منها القليل ، وتسررب الباطنة إلى كثير ،
ولسكنها على كلتا الحالتين تلك بحقيقة لا شك فيها ، وهى أنه تشبى بالقراءة وحسب
التفرد والاستنباط بالنظرة العارضة ، فمن ذلك أنه أبصر أعرابيا نزل من جبل ،

(١) طاشكبرى زاد ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ (٢) التهانوى ج ٢ ص ١١٢٣

(٣) فى رزى ص ٧ وفى التهانوى ج ٢ ص ١١٢٣ ما يزيد هذا

(٤) رزى ص ٧ ومن رزى فى كنهه لا ما صنف الأول ومد شرح فيه كل مالا بد

من معرفته . (٥) مفتاح السالكين ج ١ ص ٢٧٢

(٦) النهاية فى غريب الحديث ج ١ ص ٢٤٠

فقال هذا رجل مصاب بولادة ، قد نظم فيه شعراً نو شأ ، لا سمعكم ، ثم سأل الأعرابي :
 من أين أتيت ؟ فقال من أعلى الجبل ، فسأله : وما صنعت فيه ؟ قال أودعته وديمة لي ،
 ول وما وديعتك ؟ قال بقي لي هبت فودعته ، ول ولستعنا من تيتك فيه ، فقال وما يدريك
 يا أمير المؤمنين ، فوالله ما تعوكت بذلك ، وإنما حدثت به نفسي ، ثم ألتفت أحياناً
 ختمها بقوله :

عالم الله لا شريك له في حكمة كان ذا روي فادرك

موت على القبر يدق يقر حلق يزيد في حمرة

فبكي عمر حتى بلى لحية ثم ول : صدقت : أعرابي . (١)

ومثل هذا يقال في أبي بكر الصديق ، وقد روي عنه ما يحب «الأمع في الصوف»
 شواهد تنبي : إمامي فرانسه (٢) .

والحديث عن الفراسة : يجرى إلى الحديث عن طريق أخرى لإدراك فروب من
 الغيب ، إذ اعتبرت هذه الطرق عند بعض المؤرخين من فروخ الفراسة (٣) ، وإن
 رفض بعضهم التمسيم بها (٤) ، وليبد : بالحديث عن :

قيافة الأثر والبشر :

وتسمى قيافة الأثر والقيافة أحياناً ، وهي القدرة على معرفة الخراب من الناس ،
 والفضول من الحيوان ينتبع آدم أقد مها ويخففها ويحفرها في الطرق القابلة للأثر ،

(١) نسخة لا تحفرية عمر من ٣٥ وقد ذكر : مثالي آخر .

(٢) أبو عمر سراج عيسى : أمع في صوف من ١٣٣ من سورة يكلمون .

(٣) كالتحرجي في أخبار الخوفا من ١٠ (٤) التري من ١١ - ١٧

ويكون هذا بقوة القوة الباصرة والخطيئة والحكمة^(١) ، وأما فائدة البشر في
الاستدلال ، ليست أعضاء الإنسان على الاشتراك في التمسك ولولادة وسائر وجود
الأخلاق والأحوال ، وإنما تشير في هذا العلم إلى مصلح وبنو طيب ، وهو يعتمد على
قوة القوة الباصرة والخطيئة ، حيث أن طبيعة في تحريمه ، ولا يجوز ، تعلموا واكتبوا ،
ومع هذا فهو حذرس وتحمين ، لا استدلال وتبين ، وإنما كان الشافعي قد ساءم به ،
فإن الحنيفة قد أتتكم^(٢) .

نماذج منه فائدة الذئبة :

وقد روي الترمذي أن بين شمس مصر والشمس قومًا من العرب يقولون
الإنسان من ثمر نخله ، فيطيب عليهم السنين ولا يروا ولا يشعرون ، ومن رأوه بعد
مدة عرفوا أنه لا خلاق لهم ، ولا يكادون يخفون في ذلك . وقد قلت القصة
مقرينة حين خرج النبي و أبو بكر إلى الفار حتى أتت بهما على حجر صلد وسخر
أصم وحبال عارية لأرمل عليها ولا تلبس ولا ترتب تظهر فيه الأقدام ، حجبهم الله
عن نبيه بما كان من أصح المنكيات وما سدت عليه الأبواب^(١) ، وحل الغلاف ودل
ها هذا فذهب الأقدماء ، وبين معهم : لا يروون على الصبر مبرئ ولا على الضمان
ما يتأخذ ، وأبصاره مبيحة وآدمت عنها حراقة والواقع زلزلة^(٢) .

(۱) برزیل : در سال ۲۰۱۳ و ۲۰۱۴ شکایتی نشده است اما در سال ۲۰۱۵ و ۲۰۱۶
و همچنین خلیفہ عام ۲۰۱۷ و ۲۰۱۸ نیز شکایتی نداشته است.

(۲) اخبار تا سال ۱۳۰۵ و جنگی راجع به ۱۳۰۰-۱ اورزی م ۱۴-
۱۳ و اخبار از ۱۳۰۱ تا ۱۳۰۲

(٣) نفس المصنفين في حرفة الخدم - مكتبر هيكلي - ص ٢٠٨ حجة زكية و لأبي
ص ٢ من ١٠١ - ٢ (٤) السعدوني - ص ٣١٢ - ٢ طاعة أوربية +

وقيل إن أولاد نزار بن معد الأربعة كانوا في طريقهم إلى مكة فمروا ، فرأوا
أثر بئر في مقبرة ، فقال أحدهم إنه لأعور ، وقال ثانيهم إنه لأبتر - مقطوع الذنب -
وقال ثانيهم إنه لأزور - معوج الصدر - وقال رابعهم إنه لشروود... ثم اتبعهم صاحب
البئر وسألهم عنه ، فكبر كل منهم الوصف الذي ذهب إليه من قبل ، وأيقن الرجل
بصدق ما قالوا ، فطلب إليهم أن يدنووا عليه ، فقالوا : والله ما حسناتك تبعير ولا
وأيناه... فتبعهم الرجل حتى إذا بلغوا الماء ، صاح الرجل من وراء الباب : أيها الملك
لقد أخذ هؤلاء بعيري ، ثم أقسموا بأنهم لم يرووه ، فدعا به الملك وسأل ضيوفه عن
أمره ، فقال الأول رأيت البعير مجلداً في رمي الكلاب من شق لحسه ، والثاني
الآخر وإن كثير الأتلاف لم يسهه ، فقلت به أعور... وقال الثاني رأيت بئر بهيمة
- رحيمة - مجتمعة ، ولو كان ذ ذبل لمرق هذا الرجيع بفجر بك ذبه ، فقلت إنه أبتر ،
وقال الثالث رأيت أثر إحدى يديه ثبت ولا حرقا فسمعت أنه أزور... وقال الرابع :
رأيت بئر على الشفة من الأرض ثم يمد هذا بئر من كلاب يصف الغض فلا يأخذ منه ،
حتى يأتي ما هو أرق فيرعى فيه ، فقلت أنه شروود... فقال الملك صدقتم ، وهال
لكم جل النفس اميرك^(١) .

في إف البئر :

أما الآخذون بفيافة البشر ، فيقولون إن لأشبهاء نزع ، ولا يجوز أن يمنع
التشابه بين الولد وأبيه أو أحد من أهله ، من جهة من الجهات ، وقيل إن في
الولاء مواضع فاحفظها الفرافة دون غيرها^(٢) ، ومن هذا كان نظر القائل إلى

(١) أسودى ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٣٢ طاعة نور : ومما دلت به ذكر قصة أخرى بين فيها
صدق امرأة عند عولاه... (٢) البصير نفسه ص ٣٢٣ وقيل فتوح ص ٥٨٦ - ٥٨٧

القدم ، لأنها نهاية الشكل وغاية الهيئة ، وقد يخاف الولد أياه في كنه أفعاله ومظاهر خلقه ، ولكنه في لأغلب يوافق في القدم ^(١) .

ومن الأمثال التي ترد في معرض الحديث عن الاستدلال بتكوين الإنسان على أخلافه ، أن ثلاثة سقراط — غير يقول صاحب تاريخ الحكماء — قد أرادوا أن يختبروا فراسة أفليمون ، فقدموا إليه صورة دقيقة رسموها لأستاذهم ، مما أملوا وأنهم فيها فل — وهو لا يدري أن هي — هذه صورة رجل يحب نساء ، فلوا كذبت ، فإلها صورة سقراط ، فقال لأستاذهم أن يصديدهم لئلا ، وما رجعوا إلى أستاذهم فل صدق أفليمون ، وبني أحب الزنا ، ولكني أهدت نفسي وأضطعت مني من هوى جميع ^(٢) .

ولكن هذا العلم مثير إشكالات عند بعض المفكرين ، لأن الناس يشابهون في حد الإنسانية ونعمود من الحدود ، ويختلفون في غير هذا من الصفود ، وليس وجود لأغلب من الأسماء ، مما يوجب إلحاق الشبه بشبهه ، دون أن يخالف ، من حيث أوجبه قضية الحق لاختلاف والتباين ، وليس أذعنوا بالتسايم بفيضة البشر من أهل الشريعة وفقهاء الأمصار ، استندوا إلى أمجاد النبي صلى الله عليه وآله ، وتصديقه عزراً المدعى ، ولقد أنكروها من فقهاء الأمصار ، استندوا إلى الدلائل القاطنة على مساد الحكم فيها ، وعلى أن النبي صلى الله عليه وآله مع عدم التشبه بينهما ، وبحجة أن العرق قد يترعرع ، وأنباء الأهل تشهد بحجة ذلك ^(٣) .

(١) السعدي ج ٣ ص ٢٣٨

(٢) حاجي خليفة ج ٢ ص ١٢٥ — ١٢٦ وفتاوى ٤٨٢ — ٧

(٣) السعدي ج ٣ ص ٢٢٣ — ٥

أشباه القرائة :

ویدخل فی هذا الباب محاولة استمساكنا بالأعمري في خطوطه أو قصورها ، وما ينتظر الإنسان من سعادة أو شقاء ، وقرآن أو عدمه ، من الدلالات التي تحمها الخطوط القائمة في الأكتب والأقسام والجيد ، استناداً إلى ما بيننا من تداخل وتدين وحنون وعرض وقصر ، وما يفصل بينها من مزاج مقسمة أو صيقة ، ويسمون هذا بعلم الأسرار^(١) . ومعرفة أحوال الأمة الأكبر من حروب وحض وحدث ، من خلال الخطوط والأشكال التي تروى في كنف الصان والمزبان فويلات إشباح الشمس ، ويسمون هذا بعلم الأكتاف ، وقلمنا يعرض نقله على معرفة الأحوال الجبرية للإنسان بالذات ، والكنهم يحاولون معرفة ما مقصور العلم من غلات ورغده وحروب ونحوها ، يتأسس ألواح الكنف قبل ما بيحه ، ويقتطع على الأرض أولاً ، ثم النظر فيها والاعتراف بالأحوالها من الصمد والذكر والحرف والخبر ، على الأحوال الطارئة في العالم ، وقد رزق المصنف هذا العلم إلى الإمام علي بن أبي طالب^(٢) ، والسكن مثل «علي» في قواه وافقه ، وورثه ودكاته ، لا يشغل بقل مثل هذه العلوم ، وقد نهى وشدد النهي عن استطلاع الغيب بقل هذه الآية^(٣) ، ومن قبيل هذا علم الاحتلاج الذي يبحث في كيفية دلالة الاحتلاج في أسماء الإنسان - من الرأس إلى القدم -

(١) مثلاً كبرى ردهج ١ ص ٢٥٨ و شيوخ ٣١١ و روى ص ١١

(٢) مثلاً كبرى ردهج ١ ص ٢٥٩ و حاشي طبريز ص ١٠٥ و روى ص ١٢

(٣) وما أضيق منه حين يقول في العقب على ما علم جعفر بن زياد - ع - عن أبيه عن الحسن بن علي لا تخبئة به من ذلك عندك من النبوت في جواب في نسخ باللغة عن خنيز بن يوسف وفئة الریح وغرات الشر وما روي - ع - من منقول كلامه عليه وفي نسخة شرح من كتاب بعد وفروع الخواص بر من قصص وطوبى (عقربية إمام - ص ١٧٧ طبعه أوني) .

على ما ينتظر أن يصيبه من خير أو شر ، وإن كان عند مؤرخيه علما لا يوفى فيه
لضعف دلائله وعموم استدلاله^(١) .

وفد اختصت حياة الترحل عندهم ، المعروف في الأحوال الأدبكية - من غير دلالة
على هذا - بالأمارات السريعة النازة والأرضية الخرى (كشمم رائحة التراب في كل
بقعة) وأطلقوا على هذا علم الاعداد ، بالبرازي والقفار ، فساعدوا هكذا على تسهيل
القوافل على هدى وبصيرة من غير أية وسائل^(٢) .

ومن قبيل هذا معرفة استنباط قيمة من الألف من طريق الأمارات الدالة على
وجودها ، ومن قوتها أو بعددها ، شمم رائحة التراب منها أو رؤية أيات أو حيوان
معين ، ويكون هذا توافر الحس الكامل والتخيل القوي ، وقد أطلقوا على هذا علم
الريافة^(٣) . وإشبه هذا علم الأمارات^(٤) الذي ينصب على البحث في أحكام كل
وقت وزمان من الخير والشر ، ويعتد الأوقات التي ينبغي الاستئثار بها عن مراوغة
الأمور أو يستحب فيها التقيد عيبا^(٥) . ومثل هذا يقال في علم الفرعة^(٦) وعلم
نزول الغيث ، وعلم السمات والطيالان والشار والجامعة وزاوية والرمل وغيرها^(٧)
وحسبنا الآن أن تشير إليها موجزين ، ونسعود إلى التعليق على هذه العلوم ونناقضها
السابقة عندما نعرف إلى بيان موقفنا من التكهن الصعي .

(١) مشكوري راجع ١ ص ٢٢٦ والنوحي ص ٢٩٤

(٢) مشكوري راجع ١ ص ٢٩١ و ٢ ص ١٠٠ والنوحي ص ١٣٤ والنوحي وغيره

(٣) رازي ص ١٥ وكشف حاجي حبيبة ص ١ ص ٤٥٢ ومشكوري راجع ١ ص

٢٩٢ وغيره في المصدر الأول ص ٧٣ والنوحي ص ٣٥٢ في المصدر الثاني والنوحي

(٤) أشهر ابن خلدون في مقدمته ص ٩٧ والنوحي ص ٤٠ من مروج الذهب

(٥) مشكوري راجع ١ ص ٢٩٦ والخير ص ٢٩٤

(٦) النياوي ص ٢ ص ١١٩٩ وحبيبي حبيبة ص ٢ ص ١٠٦ ومشكوري راجع ١

ص ٢٩٩ والنوحي ص ٤٤٤

(٧) انظر في هذه العلوم مشكوري راجع وحبيبي حبيبة والنوحي ورازي والنياوي وغيرهم

علم السحر

أدرك الاختلاف تعريف السحر وتحديد آدقه - كما أدرك الفراسة من قبل -
وانتفع معناه عند البعض حتى مثل ميادين الشكوك بالقياس . رغم أن مؤرخيه لم يسوا
على اتفاق في تحديد موضوعه :

موضوعه :

نبدو ، فظاهر هذا الاختلاف في تعريف السحر عند باحثيه ، عندما أهل الفقه فقد
فقدوا إليه باعتباره عملاً يتقرب به المرء من الشيطان ، ومعركة تنافس الجن ، وأما
الحكماء ، فلأوضح عندهم أنه الإيمان بخوارق ، عن مراوغة قول أو فعل محرم في الشرع ،
أجري الله سنته بحصوله ابتلاء^(١) ، وفي هذا الاتجاه روح إسلامي واضح ، والواقع
أن الفلاسفة قد أمروا السحر وحددوا آدقه بشكل أوضح من هذا ، إذ قالوا بأن
السحر والعمليات من آثار النفس البشرية ، ودأبوا على صحة هذا بأن للنفس
آثاراً في البدن تجري على غير تجري الطيفي الخوف ، وتسير على غير أسبابه
الجمعية ، ودأبوا أن الساحر لا يحتاج إلى معين لكي يؤثر في غيره - كما هو الحال
في صاحب الطلسمات ، والسحر اتحاد روح بروح ، وليس اتلاف روح بجسم

(١) تنبيه في كشافه ج ١ ص ٨٠

— كمالهم — وهو — الساحر — عدد الفلاسفة فطري لا يحصى ، اكتساباً ، وإن صاحبه مفسور على ثلاث الحجة الخمسة بذلك النوع من التأثير^(١) .

ولكن بعض التفكير قد وسع معده حتى تشمل آفاق جديدة غير الأفق التي أساقفتها ، فقلوا إن من الساحر ما هو دين وكشف عن حقيقة الشيء ، وإظهاره بسرعة العمل ودقته ، « ومنه إخباره يكون قبل كونه ، ولا استدلال بعلم المجوم وموجبات أحكام القدر^(٢) » . ففتبروا النجامة ساحر ، ومن مفسره إن الساحر قد يقوم بإخبار نبي بميته ، فيموت النبي حياً بحسب سما يشاء عنه من شئون الغيب ، وتشهد بهذا قصة « طالوت » ملك اليهود ، ونبيه « شمويل » الذي بهت الساحر حياً وأنها الملك عن عافية أمره ، وعصب الله على بني إسرائيل^(٣) .

ذلك أن أهل فلسطين قد ساموا اليهود فحولوا قولهم « حتى إذا كان يومهم » شمويل — صمويل — استوحى الله في اختيار ملك يتولى قيادتهم في قتال أعدائهم ، فكان « طالوت » فذبحوا جماعة بعد تردد ، فنجح منهم من لا تشغله شئونه الخاصة من شئنة القتال ، وصعب هذه القلة تحت رايته إلى ملائكة الأعداء ، الذين كثير عددهم حتى أضر الفزع في قوم طالوت ، ولكن الله أجاب دعاء هؤلاء وهبأ لهم النصر المبين على القوم الكافرين^(٤) ، وكان مصرع كثير أعدائهم « جالوت » على يد — داود عليه السلام — مع حداثة سنه وقهارة جسمه ، ولكن طالوت

(١) ابن خلدون ص ٢٧ - ٢٨ : وقد فصل الحديث فيه إجماعاً .

(٢) إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٤٧ (٣) إخوان الصفا ج ٢ ص ٢٣٠

(٤) اقرأ هذه القصة بالتفصيل في تفسير الكبير (مفاتيح السب) لغفر الله الرأزي

ج ٢ ص ٢٩٣ - ٣٠٤ في تفسيره بآيات ٢٤٦ - ٢٥١ من سورة البقرة (طبعة مصر الأولى عام ١٩٣٠ هـ)

قيل نقول كتب الأخبار التي تجري بحرى التوراة عند اليهود — لم يرع الله في معاملة
 المغلوبين ، تخف هؤلاء قتاله ، وأزعجته كثرة عددهم ، فطلب إلى خاصته أن يأتيه
 بساحر يسأله عن عافية أمره — وكان شوبيل قد قفى بحبه — فجاءوه بساحرة
 اطمأن إليها وسألها أن تحبى له بيا ، فسأته أى الأنبياء يختار ، فاختار « شوبيل »
 فبعثته حياً ..! والسكها فرغت عند رؤيته وارتفعت ، فسأله « طلوت » عن رأت ،
 فقالت إنه شيخ بهي « مثل ملائكة الرب » مشتمل بعراس قد صعد من الأرض .
 فأدرك طلوت أنه شوبيل ، فدخل إليه وسجد بين يديه « فقال شوبيل يا طلوت
 لم أرحمك وأحبكنى ؟ من ما صفت في لأرض من أهل سدابين وحوار بهم إلى ،
 وروال عناية الله عني ومنعه الأحلام منى ، دعوتك لأشبهك في أمري ، فقال
 شوبيل إن الله تعالى قد نقل الشك إلى صاحبك داود ، وعظ عليك وعلى
 بنى إسرائيل ، حرأ طاسك ، مابق وفنك مو شيه ، وسيفل النصر لأعدائكم ،
 ثم حر مشياً عليه ، فمرفته الساحرة ومن كان معها ، فأنزلوا عليه حتى أفق وأنشاهم
 ليأتهم وانصر موا مصبحين ، وبنا التجمت الحرب ، حطت الهزيمة على العبرانيين ،
 وكثر القتل بهم « وقتل طلوت ثلاثة منهم وتسك هو على حربته فأخرجها من
 ظاهره ، فاجتمع بنو إسرائيل على تميمات داود ، ودافع بهم من دأوهم ^(١) .

وإمام بحون الصفا مدلول السحر حتى يشمل الأنبياء ، فمن السحر في رأيهم
 ما اختص به الأنبياء والحكماء ، ومنه ما اقتصر العلم به على النساء والعرب ، وقد
 سعى الأنبياء في الأمة الخالية سحره ، لأنهم طيروا من المعجزات الباهرات ما حير
 الألباب ، كما سعى الحكماء قديماً بالبحر لأمرهم كما يخبرون بالكائنات ، فيتكلمون

بالإنذارات والبشارات بما يكون في العالم من السرور والخيرات وتزول البركات
والنعمات ، فنسبوهم إلى الكهانة لما عمت عليهم الأنبياء ، ولم يعرفوا النبوة والأنبياء
عليهم السلام ، وزعموا أن لهم أصحابا من الجن يأتونهم بأخبار السماء فيعلمون بذلك
ما كان وما يكون « وفي آيات القرآن ما يشهد بصحة ما نقول ، مع أن سحر
الأنبياء يشبه العلم بالأمور التي ليس في وسع البشر العلم بها ، إلا عن طريق الوحي
والتأييد الإلهي ، وأخذها عن التلاوة ، وعن هذا يجيء الإخبار بالغيب بما كان
وما يكون ، ولهذا كانت الجاهلية تقول عن اعتنق الإسلام إنه قد صار إلى دين محمد ،
وقد عمل فيه سحره ، ونعمة سحر باطل يقوم على تنميق الباطل وإنكار الحق وإدخال
الشكوك على المستنصرين حتى يصدوا عن دين الله ^(١) . وقد شمل السحر النجاسة
والكهانة أيام موسى ^(٢) . مع أن النجاسة كانت في الجاهلية تشمل ترجيم الكهانة ^(٣) .

سحر السحر في مجال الإدراك الغيبي

حينئذ بعد إحلال السحر في عتبات آدمه ، وتجاوز ركن بيان مكانه في مجال
الإدراك الغيبي — إن كان له مكان بعد هذا التوسل في تحديد آوقه :

ورد في أسانيد ما يشير إلى أن الإخبار بالغيب ، يدخل في نطاق السحر فيما
يلدعي أهله ، ومن أجل هذا عرسته بالحديث عن السحر تبين من مدى ما في هذا
الادعاء من حق أو باطل ، فإن أهداف السحر السالبة لا كنه ولا أمير غيبا بالمعنى

(١) إحدون : ج ١ من ٣٥٧ - ٣٥٩ وبعدها سورة زمر : ج ١ من ٣٥٩ - ٣٦٠
الحديث في من ٣٦٠

(٢) السحر نفسه : ج ١ من ٥٠٢ (٣) انظر نفسه من ٣٦٥ وقد حذفنا ما يلي هذا
من حديث عن طريق سحر وشعوذة ، عيني نفسه ، وكشاف ربه في التوسل إلى طائفة زائدة
ج ١ من ٢٧٧ و ٣٠٤ - ٣٠٥ وابن خلدون من ٩٥ و ٩٦ والتبصرة ج ١ من ٦٥٩ - ٦٥١
وحاجي خليفة وكنز ... الخ .

الإسلامي الذي أنهى — إذ استشهد يوم واحد هو سحر الأنبياء — فيما يقول
إخوان الصفا — بين مداد يحيى ، كتاباً يروى الناس أو جبر ، عزائم أو
تسخير كواكب ، أو استعانة بحن وروح أرضية أو نحو ذلك من طرق ، ولكننا
سألنا من قال بأن السحرة لم يأتوا في أضاف الأور — القوي ، زعم استعانة أهلها بالجن
والشياطين ، لأن مرجع الأمور فيها إلى طبيعة صاحبها ، وقد عرفنا أن الفلاسفة
يقولون بأن السحر يرجع إلى ثلاثة أنواع هي : السحر عند الله ، والسحر عند الجن ، والسحر
تحت يدهم لأنهم السحر ، وجميعهم لا يكلف — في رأيهم — عن خلق الأمور
والأحداث التي طوالت مدعى أو أحدها مستعمل ، وعلى هذا فليس من الممكن
اعتباره بذر كافيها عند حكمة معلمي الإسلام .

والسحر الذي يتوغل فيه شروك الأوثان القوي كما فعل عليها هؤلاء المفكرون ،
هو سحر الأنبياء ، الذي يكلف من مستعمله عجب ولا يحيى ، اكتساباً ، بل وحياً
والأنبياء هم ، ولكنهم لم يأتوا من المفكرين من يعتبر هذا سحر غير إخوان الصفا —
وقد زعموا في طرق شبيهة له ، بأن الأنبياء قد عرفوا السحر ولكنهم لم يستخدموه ،
لأنه ضرب من الخيل ، ولم يأت الرسل من أجل ذلك ، ولو أنهم اعتلوا هذا الكائن
استجابة الناس إلى دعوتهم ، استجابة بخبرية لا إلى العلم الذي فيه نجات القوم ،
ذلك بالإضافة إلى أن فوائد السحر تقتصر على العلم الأرضي ، والأنبياء دعاء العالم
العلوي — الذي هو أعلى من علم الأفلاك ، وقد أتى الأنبياء أن يضبطوا إلى تأييدهم
روحانية بشرية أو روحية والسية ، أما نحن فيجوز لنا استعمالها في مصالحنا
الدنيوية وهم في غنى عما افترض به^(١) .

(١) خوارزمي ، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ وفي غير هذه صفحات ما يؤيد ذلك مثل

ولكننا نلاحظ بأن السحر لا ينسب إلى الأنبياء إلا مجازاً ، فإن جبهة المفكرين لا يحتملون مثل هذا الرأي ، والذين زعموا بأن السحر لا يزال يخافق وأنه يكون معجزة للأنبياء وكرامة للأنبياء والمصلحين ، قد صادفوا الكثير من حملات المنكرين لأنبيائهم . فلما الفلاسفة قدوا إلى المعجزة قوة هامة أثبتت في النفس تأثيراً قاتلياً يؤيد بروح الله على فعله ذلك ، أما السحر فإنه يفعل ذلك من عند نفسه وقوته النفسانية وبإمداد الشياطين في بعض الأحوال ، فلهذا الفرق في العقوبة والحقيقة والذات في نفس الأمر^(١) ، وقد ذهب المنكحون إلى أنب الفرق بين المعجزة والسحر من والكرامة -- أن الأولى تقوم على التحدى بها بدون الله ، وهي واقعة بقدره الله لا بفضل النبي -- وقد أقروا هذا الرأي على أساس منكرتهم في العقل الخلق ، وإنما كانت أعمال المباد تصدر عنهم ، وفي رأي المعتزلة -- إلا أن المعجزة لا تكون من جنس أعمالهم ، ولكن الحكمة الإلهية ذهبوا إلى أن الخارق من فعل النبي ونفس من الضرورى أن يكون مقرون بالتحدى^(٢) . وكان أهل السنة يحذرون قدرة الساهر على أن يسبح في الهواء ويقتل الإنسان حياً والخنزير إنساناً بقدره الله^(٣) ، ولكن أهل الحنف قد ذهبوا إلى أنه لا يقاتل أحد عبثاً ولا يبدل طبيعة إلا الله لأجله وحدهم . ولا يبدل شيء مما في السم من فصوله الدانية وثوانه وأجناسه إلا حيث ذم البرهان على قدرته^(٤) وفي المصادر التي تشير إلى سحر الكارزين أو ضعف الأنبياء بأنهم سحرة .

(١) ابن جرير من ٤٣٨

(٢) المنكر من ٤١ - ٤٢ . وفي شرح ١ من ١ - ١٠ . عن هذا الرأي بخمسة أبواب من في ١٠٠٠

(٣) ابن جرير من ٤٣٨ . وفي شرح ١ من ١١٣ - ١١٤ . ١١٥ - ١١٦ . ١١٧ - ١١٨

(٤) ابن جرير من ٤٠٠ . وفي شرح ١ من ١١٣ - ١١٤ . وفي شرح ١ من ١١٣ - ١١٤

وعلى هذا فإن رأى الراسخ عند معكروى للإسلام ، أن السحر لا يدخل في نطاق النبوة ، وأنه إنما كان يكشف الغيب — ما تعلل منه بأننى الحق أو المستقبل المحجب ، فإنما ينبغي ، هذا الكتاب لا طهارة وفطرة ، ولا حياء وإفهاماً ، فليس في السحر وقروعه في غلاف معانيها ما يمكن أن يدخل في نطاق الإيمان الغيبي الطبيعي كما سلم به أهل الشرع ، على نحو ما سألت في "أبواب آتية مقدسة على " علم الغيب عند معكروى الإسلام " .

وما ينبغي أن نفزع من الكلام على السحر ، دون أن نرجل بحجاب القاريين بمهارة السامعين في هذا الفن ، ويحسد من هؤلاء ، لأنهم " ابن " وقد دوى الكثير من المفسرين التي شهدت في مصر بمصر ، منها أن الشرايح عبد القادر انقضى قد تمكن بسحره من معرفة الناس الذي سيطر على أئمة السحر سوات Mc Salt فنصل الخبر في مصر ، ومروج بأن السحر قد استطاع أن يستحضر أمام الوسيط — وكان صديقاً صغيراً — مسورة كوردسون وشركبير وغيره من أصدقاء " ابن " ومعارفه ، وأما ذلك صديق هذه الطواهر مع اعترافه بهذه أسرارها ، وأجرب معه بأن الكثير من هذه التجارب قد فشل ، وأمكنه يقول إنها كانت تبدو بين نجاح كامل أو فشل عشوائي ، ولا وسط بينهما ، وبمقتضى مجلة Review Quarterly قد حاولت — في مجلد " السبع عشر من ١٩٠٢ - ١٩٠٣ — أن أقدم مثل هذه الطواهر ، بالتعكس الصور على سطح مرآة ، حيث تلقاها عينا العيني الوسيط ، على سحابة من الدخان ، ولكنني " ابن " رافض هذا الرأي تفسير الطواهر السحر التي رآها في مصر (١) .

حسبنا لأن هذا عن أساليب التكهن الضعيف ، وسنأخذ في بيانها
وعرضنا الكلام عليها جريماً ، ونأخذ استوفيت حديث عما عرضناه فيها ، لأن هذا
بحث بطول أمره ، ويعوز من الجهد والوقت فوق ما ينبغي ، فخصنا

ولعل من خير أن نقول لأن أساليب التكهن قد دحضها أرفط والديجل
كثيراً ، وأخذها البعض ذات الأجر ، استقلالاً عن سرعة التسديق
عندهم ، فلهذا في الكتاب دليل على حجة قاطعة ، وقد يكون هذا الاستقلال
أفضل التبرير بالبرهان العقلية عند البشر^(١) .

ولكن من خير أن يبين عن موقف نحن المخرج من هذه العلوم ، وإن كنا قد
عرضناه قبل ذلك موضعين ، فقد أثبتت عننا عن وجود من التقابل بين موقف
مفكرى الإسلام ومواقف مفكرى اليونان والرومان قديماً ، وإن كان من
الضروري أن نعترف في هذه المناقشة على أن موقف المسلمين مرده إلى الدين ، ياجنون
إليه ، ويستمدون منه العون في شؤون ما يرون ناشئة ، ومواجهة ما يذكرونه من
أساليب التكهن . أما فلاسفة اليونان والرومان فيهم كانوا ياجنون في مناقشة هذه
الأساليب ودحضها إلى العقل والمنطق ، ومن أشدها منهم المستعملون بالهجري والمنطق
أكثرهما استعانة بتقاليد الشعوب وعقائده الدينية .

(١) عرف بيسر ، كواندوس ، Quintus ، روماني ، في حده دفعه عن كون سبق
الطبيعي ، صرح بشدة عند بحث في روم ، منذ ١٠٠ سنة ، من الكتاب الأول في
كتابهم ، يفتي شيعيون ، وقد صرح شارل كون مواب بيسر ، يروج روماني في مداومة
هذا الجدل (في تليفه عن نظرية — لغة في طبعه بيرية) .

موقف أهل الشرع من العلوم السالفة

اختلفت وجهات النظر عند المسلمين ، بين تأييد هذه العلوم وتحريمها ، وأهل مؤيديها كانوا متأثرين بالتراث العفلي القديم . ولا سمح الهيليني الذي انتقل إلى المسلمين في هذا العدد ، كما أثر ، إلى ذلك عند الكلام على الخلاف بين المتكلمين من معتزلة وأنشاعه ، وإخوان الصفا ومن بعدهم في عمل التنجيم ، أما منكري هذه العلوم العنصرية فقد تأثروا — فيما يظهر — بروح الدين ، وتعتبر كل تنبؤ لا يرد إلى وحى الله وإلهامه . ومن مظاهر هذا الخلاف أن ترى الفراءى يذكر العلوم التي يعتبرها الإمامة علوماً محدودة وليس منها ، ويقول ما خلاصته : إن العلم هو معرفة الشيء على ما هو به ، وأنه من صفات الله تعالى ، فكيف يقال إنه مذموم ... في الحق إن العلم لا يذم لهاته ، وإنما يذم في حق الناس لأحد أسباب ثلاثة . بمنيتنا منها اثنين : (١) أولها أن يكون العلم مؤدياً إلى ضرر صاحبه أو أدى غيره ، كما يذم علم السحر والعماليات ، وهو في ذاته حق بدشهرته الفراءى ، والثالث أن الرسول قد سحر حتى أنبأ بذلك جبريل وأخرج السحر من تحت حجر في قبره ، ومعرفة السحر ليست مذمومة إلا لأنها أداة لإضرار الناس : (٢) أن يكون مضرراً لصاحبه في طلب الأمر ، كعلم النجوم — فهو في نفسه غير مذموم لكنه ، وعدم الأحكام منه ما هو مذموم شرعاً ، قال الرسول إذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ... وقال أخاف على أمتي بعدى من ثلاث : حيف الأمة ، والإيمان بالنجوم ... وقال عمر تعلموا من

النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم أمسكوا ، وإنما زجر عنه من ثلاثة أوجه :
 (أ) قد بطل الناس أن الكواكب هي المؤثرة فهي الآلهة المديرة يرجى منها
 الخير ويحذر منها الشر من جهتها ، وينبغي بذلك ذكر الله ^(١) .

ب (أن أحكام النجوم محض تخمينات ، فهي لا تدرك يقيناً ولا طناً ، وقد
 كان العالم معجزة لإدريس وأنجى ، وما يتفق من إصابة النجوم على تدوير فهو محض
 اتفاق ، كتخمين الأتسن بأن السماء ستعطر اليوم استناداً إلى القيم ، وربما ذهب
 القيم فلا يصدق مدسه ، كتخمين الملاح بأن السفينة تسلم عندما على ما عرفة من
 أمس الرياح ، رغم أن الملاح أسياً بغيره لا يتابع عليها .

ج (أنه لا فائدة فيه ، فإني أحواله أنه حوش في غضون لا يفتنى ، وانما يبيع
 العمر مع لا حال نخته ، وما قدر كائن ولا حذر له منه غير ممكن ^(٢) .

والمكن من لا انصاف أن أقول بأن العلماء من مسلم بهذا التقسيم ومنكر له ،
 قال سحر الذي أشير إليه لأن يتفق العلماء على حكم الدين صدهد ، وهم بين مبيح ومحرم ،
 وبعض مؤرخيه يقول بأن أكثرهم قد أباحه ، وجمعه بعضهم فرض كفاية لجواز
 ظهور ساحر يدعى الذبوا ، وإظهار الخورق بالسحر ، فيفترض وجود من يدفعه في
 الأمة ^(٣) . ومن بعضهم بأن السحر لا يظهر إلا على يد فاسق كما أن الكرامة لا تظهر

(١) أنظر إن شاء الله عز وجل من منكرين ومؤيدين كالمعبري ص ٥٢ ومنشكرين
 زاده ص ٢٧٦ وبعض المنكرين على ما عرفت من أن .

(٢) من في البحر ج ١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٢٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٣٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٤٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٥٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٦٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٧٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٨٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٠ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩١ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٢ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٣ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٤ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٥ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٦ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٧ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٨ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ٩٩ ص ٢٦ - ٢٧ . ومن في البحر ج ١٠٠ ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) حاشيكي زاده ج ١ ص ٢٧٧

إلا على يد متفق مؤمن^(١)، وليس له دليل من العقل ولا يجمع لأمة، وعلى هذا كان
تعاليمه حراما مغلقة، لأنه توسل إلى محفلور، وأما ما يشترطه من نعمة أصحاب تحليل
بالاستعانة بالآلات والأدوية، أو مما يبدو من صاحب خفة اليد فقير مذموم وتسميته
سحرا على النجوم^(٢)، وقيل إنه كفر لأن الأرواح الكافرة انبثت على الحجر
لأنه السحر إلا إذا خرج عن دين الإسلام^(٣)، وانحصر هؤلاء، تراء الأئمة
الذين أجمعوا على تحريمه، وإن اختلفوا في كفر من تعلم السحر ويدفعه^(٤)، والراجح
أنه حرم لأن ربايته إنما تكون بانوجه إلى الأولاد والكواكب والمواليم العلوية
والشياطين بأنواع التمائم والخضوع والنداء، فهي وجهة إلى غير الله^(٥) فإن
الأموي الأندلسي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشافعي يقول: إن العرب اعتنوا
بمعلوم سمحت الشريعة منها ما هو صحيح، وأبغضت ما هو باطل، ثم يذكر علم النجوم
بين العلوم الصحيحة، ويذكر العبادة وتوحيده وأنكسارها والضرب بالخصي والعاورة
وتحوها بين العلوم التي أنزلها الشريعة^(٦) وهكذا تراوح علم النجوم بين التحريم
والإباحة.

وذهب البعض إلى أن علم النجوم على ثلاثة أقسام: حسابات تمثيلية في علمها
قد يعمل بها شرعا، وطبيعية كالأستدلالات بانتقال الشمس في البروج الفلكية على

(١) أشرنا من قبل إلى أن هذا رأي الحكماء الإلهيين في ردع على المتكلمين.

(٢) تهاوي ج ١ ص ٢٤٨.

(٣) الشرائع في البرقيات ج ١ ص ١٤٢.

(٤) الشرائع في البرقيات ج ٢ ص ١٤٣.

(٥) ابن خلدون ص ٤٣٤ - ٤٣٥.

(٦) الشافعي: المواقفات ج ٢ ص ٤٦ (عن الاستاذ أمين الخوني في تعليقه على مادة نصير في

دائرة المعارف الإسلامية).

تغيير الفصول ، فإست برودة شمس ، ووهيمات (أحكام النجوم) كالأستدلال على الحوادث السفية من العادات الكواكب ، فلا أستند لها من أصل شرعى ، ولهذا فهى مردودة شرعا ، ولأخبريت النبوية فى هذا كثيرة^(١).

وقال بعض متكبرى هذه الأندلس من إدارك الغيب ، إن الله تعالى يقول : وما كان لله إيطامكم على الغيب ، وإن الرسول يقول : من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد^(٢) ، وقول إن السكينة على قسمين : فطرى وآخر كسبى ، (قيل إنه العرافة أو أن شئ هو الذى حرمت الشريعة سلوكه ، فوجب الاحتراز عن تحصيله وإكتسابه^(٣) . وسكن بعضهم يعترف بأن فى حديث أهل السكينة ما يرمى إلى الكفر^(٤) . وقد أشرنا إلى موقف المتكبرين من السكينة بعد إمضاء الرسول وهجمتهم عليها حتى أتى الكفرون أن يسلم بوجودها بعد الهدنة ، وتدين دعواهم لم تعلم من حملاتهم دينية ، وكل العقيدة من متأخرى علماء الدين لا يرون قرينة فى يبدو بين الفلسفة والسكينة والسكر والشبهة والتنجيم والرمال ! ويعرمون الاشتغال بها^(٥) .

على أن الأنحاء السابعة - رغم هذه الخلافات كاهنا - هو الذى عرضناه فى الفصل الذى عقده على " علم الغيب عند متكبرى الإسلام " ، وثنا فيه بأن الله وحده هو علام الغيوب ، وأنه يهب العلم بإخيب من شاء أن يجتنبه من عباده ، وأن هذا الأنحاء قد انتهى إجمالا إلى تأكيد النبوة النبوية فى مختلف فنونه ، وكرار العنى فى شتى أسانيه .

(١) حاشى خيفة ج ٢ ص ٢٨١ و حاشى نبوت ص ٢٩٤ و ٢٩٣

(٢) تبيان ج ١ ص ٥٢ وروا الألبانى ... فقد يرى مما أنزل على محمد ...

(٣) حاشى خيفة ج ٢ ص ١٩٥ (٤) حديث أبي حنيفة السجستاني فى مقارفة

السكينة وما يتعلق بها من أمور غيب ص ٢٢٦ من تقريرت .

(٥) قارن مصفى عبد الرزاق بانها فى تحصيل تاريخ فلسفة الإسلام ص ٨٨ - ٩ حيث

يورد استنباطين رئيسين فى هذا صدد .

موقفنا من التشكيك الصناعي

عرضنا الأساليب التي كان يتبعها أصحاب التشكيك الصناعي ، وقلنا إن جمهرة مفكرى الإسلام قد أبدوها عن نقد الإدراك الفيينى ، لأنها تستند إلى مهارة الصناعة ، ومنطق العقل وأدوات الحس ، ولا تصدر عن طبيعة فهمها ووجدانها ، أو تفهيم عن وحى الله وإيمانه .

وهذه الأساليب حريتها - فمن يبدو أنها - إلى سعة الخبرة - وامتداد المعارف ، وحسن التقدير ، ونوبات الفطنة والتحصن ، ووفرة الذكاء وسرعة المديهة ، وصدق الحدس ، ودقة الملاحظة ، وحسن الاستفادة من سابق التجربة ، ونحو هذا مما رفض جمهرة مفكرى الإسلام باعتباره أداة إدراك غيب محجب ، ولكن مناهج البحث العلمى لا ترفض اكتشافات الفجوات ، معنى أدت إليها مقدمات ، استناداً إلى القول بأن الملة تدور مع معلولها وجوداً وعدماً ، ومن هنا جاز القول بأن ما أضافناه من أساليب التشكيك الصناعي ، يصدق منه كل ما وضحت فيه روابط المعلوم بعلمته ، وبكذب منه فى منطق العقل كل ما انتقدت فيه هذه الصلات ، وإن كان من الضرورى مع هذا أن ننص على أن عجز العقل عن تفسير ظاهرة ما ، لا يبرر القادى - فى كل حال - إلى إنكار هذه الظاهرة^(١) . وفى ضوء هذا ، نستطيع أن نحلل - موجزين - أهم ما أضافناه من الأمثلة التي عرضناها فى أساليب التشكيك الصناعي :

(١) استعود إلى مناقشة هذا فى فصل ثانى .

ذكرنا نموذجاً لكهنة يتمثل في النسخ بسوق العري - الذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، وقتنا إن طريقة خير فذكرت أسرار السيل في رؤي ، ثم تطيرت من مشاهد المتجذ والساحنة ونحوها ، عتبات بوقوع السيل الذي اجتاحت البلاد على ما عرفنا ، والمحمول من شدة أن لا نجد بين مزارعه وما تبث إليه ، علاقة تامة ، ومع هذا لا تيل إلى مكذب القصة ، لأنه أخذ في تحليل ما يقربنا عن أسرارها ، لأن من اليسور على أهل الخبرة والمنطق ودقة الملاحظة والتمس بقوة السيل في كل عام ، وملاحظة التحال الذي بدأ يدرك السد ، أن يتوقفوا بحجز السد عن مقاومة السيل القليل ، وأنه إن استطاع أن يصد السد عما ، فإن تدوم مقاومته أكثر من سبع سنين - كما ورد في القصة - وحسب طريقة وأسلوب من كتمان ، أن يدركوا ذلك ، أو أن تتسامعوا به من أهل الخبرة والمنطق ، فبنت هذا كذبل - من الناحية السيكولوجية - بأن يثنى عند النوم حتماً يبدو فيه سحابة السهم وسعد رعد ويرق ، ويكبر النفاذ في منطق الخلق ، فلا تأتي السحابة على شيء ، إلا أحرقته ..

وأما المشاهد التي تثير النظير والتشويق ، فيها كثير ، في حياة كل إنسان ، في كل زمان ومكان ، فإن كان المتأخر التي رأينا تلك السكاهنة دلالة على غيب محجب ، فلماذا نكون دلالتها فائمة في وقوع سيل مجتاح ، ولا نكون موت عزيز أو قيام حريق أو نزول وباء أو نحو ذلك ..؟

وأما الفأر الذي كهنت بوجوده في السد ، واقتداره على قلب صخرة بمجز عن قلبها خمسون رجلاً ، فإن هذا مرده إلى الإغراب في التصوير ، والتعميق في التعبير ، أو مرجعه إلى القول بأن سداً كبيراً يتحال - كسد مأرب - لا يسجل تصويره خلوا من الفيران ، وفي استطاعة الفأر أن يحقر تحت الصخرة الكبيرة فإذا بها نهوى

مقلوبة...! ونمل من قبيل الإغراب في التصوير ، امتلاء الرخامة بتراب البطحاء من غير ربح ، وظهور الخصباء في سمع النخل...!

ومن قبيل هذا الذي يفتقد فيه نحل الملافة بين القول وعينه ، ماروباه من أمثلة العرافة ، في الاستدلال على التنبؤ بكلمة تسمع أو منظر يرى أو نحو ذلك ، وليس من السهل أن نكتشف علاقة غامضة بين نوى النمل الذي رآه العراف الأعمى ، والياقوت والزمرد وغيره مما سرق من حزانة الرشيد ، إنها علاقة تشابه في الشكل أو اللون أو نحوه مما لا يمكن اعتباره علاقة عينية بخلاف ما ، ومن الواضح أن أشباه النوى في غير الأحجار الكريمة كثيرة . ونمل الأدنى إلى الصواب أن يقال إن العراف قد تسمع بأن الرشيد قد سرق حزانته ، وليس هذا بالتنبؤ الذي يكلم به ، فرب العراف على ما سمع ، كل ما ورد في قصته . ومثل هذا يقال في قصة أبي معشر وخلاص السجين وغيره من قصص .

ومن قبيل في السكينة والبرقة ، ينسحب على القتل والعلامة ، فإن ما وقع لعمفر البرمكي أو الوليد بن عبد الملك ، مرده إلى مجرد المصادفة فيما يفرح ، ولو لم يسمع جمفر الشعر الذي تلمح منه ، لما كان في حكمة العقل أن يتغير مصيره من أجل ذلك . ولو لم يرقى الوليد كتاب الله ، ما كان يحتمل أن يذهب - من جراء ذلك - إلى غير القتل والصلب . وما أجل موقف عمر بن عبد العزيز حين أسكر استفتاء القمر فيما ينفذ من أحداث - على ماروباه من قبل ، وهذا يشهد بأن المسلمين - كغيرهم من مشروب الأرض لم يكونوا على اتفاق بصدور الإذعان لهذا النوع من التطير والتداول . وقد صدق ابن قيم الجوزية حين قرر بأن التطير يكون من خوفه وخشيته ، وينعدم أثره عند من أغفل شأنه ونسفه من حسابه .

فكان ابن قيم الجوزية ، أراد أن يقول : إن الشير الذي يؤدي إلى التطير عند

إنسان، قد يبعث على التلهي والتفكير عند غيره، فالعبرة بتركيز الاستجابة، لا بمصدر الإثارة، فإن السكر، يستجيب له أهل الفرح بالثناء والرقص، وأهل الزاج السوداوى بالكآبة والبكاء، وأهل الشغب والإجرام بالتخريب والتدمير...! فالأثر واحد ولكن الاستجابات تبين الاختلاف، ومن هنا كانت مثيرات التطير عند أهله، تغنى عند أصحاب الأعصاب السليمة والزاج المعتدل والمطر المزجج، إلى التندر الفاريف بالتطير وأهله، وقد تحدث الدكتور طه حسين بك في محاضرة له، عن إسرائف ابن الرومى فى التطير، إلى حد ملازمة بيته أياماً، لأنه رأى جاره الأحدث أو نحو ذلك، وعقب قتلاً إن تشاؤمه وتطير، قد أصاب ديوانه، فلم يمرض له أحد، إلا أصابه من ذلك سوء، «ومعنى الناس يتندر بذلك: لأن الأستاذ العقاد، أراد أن يكتب عنه فسخن، وأرجو ألا تكون محاضرة تذا عنه مصدر حتى، من هذه الأشياء التي أعيدكم أنتم منها إن لم أعيد منها لى...» (١)

وقد تحدث الدكتور عن طبيعة ابن الرومى، فى حدة مزاجه واضطرابه واختلال طبيعته وضعف أعصابه، ودقة حسه التي تكاد تبلغ حد الإسراف، وذهب العقاد فى معرض حديثه عن طبيعة هذا الشاعر إلى أن «تغييره شعبية من مرض الخوف الناشئ من ضعف الأعصاب واختلالها» وأمل الأستاذ يريد بضعف الأعصاب، ما يسميه الأطباء Neurasthenia وهى حالة تكون فى العادة وراثية، وقد نشأ عن ضعف البنية أو تتخلف عن الحيات والأمراض المعدية والإدمان على المخدرات والإصابات النفسية ونحوها، وكثيراً ما تحدث عقب جهاد حيوية الجهاز العصبي، وتؤدي إلى

(١) منه حين: من حديث شعر وشعر من ٢٢٩ - ٢٣٠ (طبعة أول)

قصور في العقل والحسد وهي تسمى *Psychasthenia* إن كانت أغلب أعراضها نفسية^(١)
«والرجل السليم لا يتغير ولا يتشعب لأنه ينتظر من الدنيا خيراً ، ولا يحس
النفرة بربه وببنيها ، ومن ثم لا يحس الخوف والخطر منها ، وقد تصادفه الحوادث كما
تصادف الدس كافة ، فتقع على همه مواج خفيف ، يثبت معه عزمه ، ويستبسط معه
شموزه ، فهو في غنى عن الخدار والوسوس ... ثم يختل لأحداث فاصفات مكبرة في
حده ، ولا تشبع ولا تنفك كثيره في دمه ... تتوارد عليه سمات ، وكل طارئ في
الدنيا منه لأستجاب هذا مزاج - فبهتت فيه التصور بالخطر ، وجمع غفارب حيث
لا يجمعها ، لا يرون ، كما هو الشأن في كل مستحضر لخطر ، فتوقع مفاجاة»^(٢)
فتتوقع واستفجرت الخوف من كل مجهول ، هو سر الخطر عند أهله .

أما شيوع المنجم في قصور الحسد فإن له مبرره ، لأن الخوف والحكام أكثر
الناس حرصاً على مراكرهم ، وتوهم من مخاض عدمه ، ولا غربة - إن صحت الفصاحة -
في أن ياتيا بلسان بؤفة الخبيث وهو مشرف على الفناء ، وليس ثمة ما ينق علم
المنجم بأن أم الخبيث كانت تسميه كاذباً ، ومثل هذا يقال في الكثير من أحداث
المنجمين مع الحكام ، وقد أشرنا من قبل إلى أن من هؤلاء الحكام من رمض
الاعتقاد في صحة ما يقول المنجمون .

أما عن القناعة وفروعه ، فليس من الغريب أن يصدق «الكثير» منها ، وإن
كان الرازي يقول عن علم الشجاعت وحيلان والاختلاج والضربان ، ودوائر أبدان

(١) H. Lethely Tidy, A. Synopsis of Medicine p. 124 ff.

سادس مادة ١٩٣٤ - وقد أصدر صاحب الموقر الدكتور رجب عبد السلام (الغضائ
الأمراض بصيغة كلية لطلب) مقدمة في الطب على هذه الصيغة ، ولكن صيغ الشرح
دون الشرح . (٢) حذاد بن رومي ص ١٩٢ - ٢

الخيال ونحوها ، إن من المتعذر زجها إلى أصول علمية ، أو إرجاعها إلى تجارب مبروبة
عن التفتين^(١) . ولكننا نرى أن ما يصدق عليها يمكن إخضاعه لقانون العلمية ، وفي
موضع هذا نقول إن قبوفا الأثر ، تبدو تصديق من قبوفا البشر ، مقدرة أو لا دوار من معد
على وصف بغير - لم يروه - استقراط من آثاره ، لها ما يبررها في مجال التمثيل الذي يكشف
عنه النظر الثاقب ، وتبي أن دقة الملاحظة ، ما قبوفا البشر فقد كان المسلمون على حق
في الاختلاف في أمرها ، فإن كثرة الشذوذ في قواعدها ، تفقد التصديق هذه القواعد ،
والحال التي سفت للتمثيل على دراسة قديمون ، يمكن التفسير بأنه كان يعرف ميل
بقراط كثيرا ، وإذا كان هذا قد صرح عليه لثامه من حين استفسروا منه عن ذلك ،
فلا يبعد أن يكون قد ذكر هذا من قبل ، وأن يكون أقليمون قد استمع به ، ولا
محة لقول رواه الفصحة ، إن « أقليمون » كان لا يعرف أن صاحب الصورة هو بقراط
لأنهم يقولون « ... فصوروا صورة بقراط ... وكانت يونان تسبح الصور من جميع
الوجوه ، في قبيل أمره وكثيره ... » وكان بقراط هذا به سر أقليمون ، فأرجح أنه
كان يعرف صورته .

وإذا كان الاهتمام بالبراري والفقار والريافة والسفياك المياه والمعادن وتزول
الغيث ونحوه ، يصدق متى تمت المقدمات التي تفضي إلى نتائج هذا النوع من العلم ،
فإن علم الأساري ولا كشاف والاختلاخ والاختيارات ونحوه ، لا يصدق - فيما يلوح -
إلا مصادفة ، لا تسكن إلى وحدة بشهدها ونون العلمية ، ويراضها منطق العقل .

وهكذا نقسب إلى القول بأن أحداث الغيب المحجب ، بقدر الإنباء عنها ، متى
سبقها مقدمات قدر بها ، وهذه المقدمات تكشف لتأياين ، ونحفي على الكثيرين ،
لأن الناس يتفاوتون في خبرتهم ومدى ما يقدرون عليها ، ويختلفون في دقة الملاحظة

وبعد النظر والقدرة على الخدس ، وغير هذا مما أسلفه ، للإشارة إليه ، فإن ثبت انقطاع
« الاتصال العائلي » بين أحداث الغيب ومقدماته ، وجب التعمد في تكذيبها ومحاولة
تحليلها في ضوء المنطق العقلي وحده .

وإذا كنا قد استظهرنا أن تحول التدرج الساقطة في ضوء المنطق وحده ، فمن
الإنصاف التاريخية أن نعترف بأن في فنون التكهن العنصري ما هو بغير عن
إدراكها وتقليدها منطق العقل في وضعه فرائضه ، وهذه نقطة سنعود إلى مناقشتها
وبيان موقفنا إزاءها في الفصل التالي .

وأخيراً ، من الخطأ التبرير أن يستلحق الخدس « أصحاب التكهن » ، فإن « نومير ووزو »
ومدرسته التي أتت به ، قد اعتبروا أنواع بالغيب واستكناه أسرارها من علامات
المعبرة ، وهذه « علامات » مبهمة يمكن الشك في استقراءها ، والافتقار بين
تفاصيلها وبين الواقع ، صرفة في ذاتها ، ومقربة في حالاتها ، غير أهل في كل
حال للتعمد في التأميم ولا لتمد التأميم . ولا سيما عندما تنافى الظواهر والباطن ،
وتتلاقى فيها الملاحظات العامة ، وهو هذا تعريف التأميم^(١) . ولعل هذا الرئي يبرره
ما أسلفناه من قبل ، من أن هذا التكهن قد لا يتيسر غير اعتماد فكرى يهيأ
لأصحابه ، وحتى الخدس المكشوف منه ، لا يتو فرقة من جرمها .

حسبنا هذا إشارة إلى مكانة أصحاب أنواع بحيرة الغيب أو نزوع إلى استيضاح
بواطنه وكشف أسرارها .

كلمة أخيرة

النفوس بالغيب بين مفكرى الإسلام وفلاسفة اليونان والرومان :

عرضنا فنون النفوس بالغيب منذ مفكرى الإسلام ، وقبلنا بين قدماء الفارسيين قد عرفوا عريضة فنون النفوس النابوية ، والغيب الكونى المسمى - من كيمية وعرافة وطيرة ونجامة وعيونة ونجوها - وصرحنا فى مقدمة الكتاب - وفى غداون الكثير من مصوله - أنها تنبئ إلى رذائل كثير من وجود هذا التشابه ، إلى طبيعة العقل البشرى ، فى وحدة استجاباته لمؤثرات الكسوف ، وذلك أن هذه الظاهرة تناول وجود الحاضرات البدائية من سحر وفتنة وديونة ونجوها ، ونقصد إلى ذلك البحث العلمى ، لا هدف عند هذه الصعرة ديلا :

نتائج التشابه فى مصادر الأثرية ومراكز الاستجابة :

فى سنة ١٨٣٧ عقد تشارلس داروين Ch. Darwin عزمه على أن يكشف عن حقيقة الدشوء بالاشجاب الخبيوى ، ففتنهم بعدير ولأفاد ، وراح ينفق فى شتى بقاع الأرض متفقا عن المودع التى يتطلب بحثه ، وكذا على عمله فى صحت تثير الإعجاب ، وانزل أن أنجى مصرب الأمثال ، فى الخلطة وزهد فى العناية لنفسه ، فأبى أن ينشر عن نتائج بحثه مقالا ، أو يشير إليه بحجود إشارة ، وإن سارح بها عام ١٨٤٤ صديقه العلامة يوسف هوكر Joseph Hooker فأنشأ إليه بخلاصتها خفية عن الناس^(١) .

(1) A. D. White, A. History of the Warfare of Science with theology in christendom

واصل داروين بحثه في هذا الجؤ الملقى الصامت الهادئ، عشرين عاماً ونيقاً... !
وعندئذ — أى في عام ١٨٥٨ — تلقى مذكرة من ألفرد والاس Alfred Russel Wallace تتضمن خلاصة النتائج التي انتهى إليها في بحثه موضوع النشوء بالانتخاب الطبيعي ، خلال عشرة أعوام قضاهها في التفتيب والبحث والتنقل بين البرازيل وأرجيل انلايو ، ومع المذكرة خطاب يطلب فيه إلى داروين أن يبعث بها — بعد الاطلاع عليها — إلى العلامة تشارلس ليل Sir. Ch. Lyell ليقدمها إلى منتدى لينوس Linnean Society . وما اطلع داروين على هذه المذكرة حتى أثارت دهشته ، لأن صاحبها — والاس — قد انتهى إلى وجه التحقيق إلى نفس النتائج العامة التي وصل إليها داروين من قبل... ! ويسجل داروين — في أمانة العالم التريه — هذه المناقشة في مطالع كتابه عن أصل الأنواع ، فيقول عن « والاس » إنه : « I have arrived at almost exactly the same general conclusions that I have on the origin of species » (1)

فإنفسر هذا الاتفاق الذي وقع بين اثنين يبحث كل منهما مستقلاً عن الآخر... !
الفسير الراجع في منطق العقل ، أن الودع التي كانت موضوع البحث عند كليهما من نوع واحد ، وطبيعة العقل عند كليهما واحدة ، ومن ثم انتهى البحث عند كليهما إلى نتائج متشابهة . وإن يكن في حكم العقل أن تختلف وجهات النظر ، وقد تشابه في الحائين مصدر الإلهارة ومركز الاستجابة .

وعندئذ نسخة (1) Ch. Darwin. The Origin of Species-intr. p. 1. (1920)
« هوكر » و « ليل » بالدرجة نفسها بحثاً عميقاً وجمهوراً كبيراً ، بخلاف أن ينفذ فكرة عمله المتواصل طوال هذه السنة ، فقدم إلى منتدى لينوس — مع بحث والاس — خلاصة نتائج أبحاثه ، وعشر أبحاث في جزر الهند من جهة أخرى . ويدر إلى مصدر الجرح أقول من كسبه ، أصل الأنواع ، في يولييه ١٨٥٨ . وعشره بتمحه في بحث وغزارة دونه ووفرة أدلته ، نسبت إليه نظرية التطور ، وسقط عند الناس مرمم والاس... !

وإذا كان هذا هو الحال في دقائق البحث العلمي، في موضوعات لا تتعلق بطبائع البشر، فما أحرأه أن يكون كذلك في موضوع كموضوع التنبؤ بالغيب، تربطه بالطبيعة البشرية أوثق الصلات.

على أننا نبادر — وفقاً لنسكك ليس — إلى تسجيل احتياطات لا سبيل إلى إغفال ذكره، وهو أن مينا إلى تفسير الكثير من وجوه التشابه في ضوء هذه النظرية، لا يمنع من مينا إلى التسليم بحدوث وجوه من التشابه في هذا الصدد إلى نقل اللاحق عن السابق، وعمدوى الآراء وتفرؤج الثقافات.

على أن الكثير من الآراء التي أهدرت إلى السمعي عن اليونان والرومان، مرجع الفضل فيها إلى قدماء الشرقيين... إلخ فمن هؤلاء اسبق الغربيون الكثير من الآراء التي نسبت إلى علماء الإسلام بعد ذلك — فيقول مؤرخو التنكهن بالغيب، ومن دلائل هذه الظاهرة:

أن بعض الشعوب الروماني قد قرر — فيما يقول شيشرون منذ عشرين قرناً — إيفاد ستة — وقيل عشرة — من أبناء البارزين من الرومان، إلى كل قبيلة من قبائل أوروبا، لدراسة أساليب التنكهن، مخافة أن تصممحل وتفجول إلى أداة اللاتجار والادتراق^(١). ويرجع انتشار علم التنجيم — فيقول بوشيه لوكايرك — في دول البحر الأبيض، إلى التنكهن الكلداني (Berosus) إلى ردهيردوت من التنكهن اليوناني إلى أصل مصري^(٢).

ونقد ميرغولا في كتابه شجر الخبز (١) Cicero, Divination, 1. 41 وتأويل غير مرجحة من حورق الأرض وسيد — غير مبررة — في كتابه نفسه.

(2) Bouche, Leclercq, L'Hist. de la Divination, 1. p. 207

(٣) من حيث حذر شوب في صفة بيرسيه على خبره لأول من نسب لأول في كتاب شيشرون صفة تنكهن.

ويرى « شارل يون » أن مجلس الشيوخ الروماني كان كثيراً ما يطبق بكثرة الشرقيين من الكهنة في روما وإيطاليا كما . وقد تقرر في عام ١٣٩ ق . م طرد الكلدانيين من روما في فترة عشرة أيام^(١) .

ويعرج الأستاذ بوشيه بوكيرك Bouché-Leclercq أن اليوناني قد استماروا الكثير من معلوماتهم في موضوع الأحلام . عن مصر وغيرها من بلاد الشرق القديم^(٢) ، وإذا كان الميت أن المسلمين قد استماروا الكثير من وجهات نظرهم في تأويل الرؤيا ، عن كتب أرطيميدورس اليوناني ، على اعتبار أن ابن النديم يقول إن حنين ابن إسحاق قد نقل هذا الكتاب إلى العربية^(٣) . « جون الأسكندر » سايس^(٤) يعرج بأن أرطيميدورس قد استقى مادة هذا الكتاب عن البابليين . . .^(٥)

فنحن نحقق بعد هذا أن نقول إن العلم الإسلامي ، إذا كان قد استقى بعض آرائه في أساليب التنويع عن الغربيين ، فمعنى هذا أنه استرد تراثاً شرفي قديماً كان قد انتقل إليهم وتفاعل مع تراثهم في هذا الصدد ، وقد نشأ المسلمون هذه المصادر الشرقية المتميزة ، لأنها تسار روحهم وتتفق مع طبعهم .

ومعنى هذا أن وجهات النظر الإسلامية في موضوع النبؤ بالغيب في كل صوره ، مردها — في الأغلب والأعم — إلى طبيعة التفكير عند أهلها ، والتراث الذي زودهم به الدين الإسلامي والبيئة العربية إجمالاً . والتفخرة التي حرصنا على تطبيقها على موضوع هذا الكتاب وهي « متى نشأبت مصادر الإثارة ومراكز الاستجابة » تحتم

(١) شارل يون في تعليقه على حفرة الحدية والأربعين من كتاب شيترون Cicero في العلم بالغيب ، طبعة جازينية لغربية .

(2) Bouché-Leclercq vol. 1. p. 292,295

(٣) ابن النديم في الفهرست ج ٢ ص ٢٢٥ طبعة فوجيل .

(4) A. H. Sayce, Ency. of Religion and Ethics, art. Divination

وانظر في تفصيل هذا كتابنا « الأحلام » .

أن تشابه استجابة هذه المراكز « هذه النظرية لا تنفي تسمية اتصال المذاهب الغربية من رواقية وفيدغورية وأفلاطونية محدثة وغنوصية Gnosticism ونحوها ، بالتفكير الإسلامي وانفصالها معه حتى اصطلقت بها استجابات العقل الإسلامي ، وأولات تفكيره حين قُسم نظراته لهذا النوع ، أو غير مثواه وفسرها في ضوء المنطق ، وقد استوعب هذه المصادر مدخولة وتشابهها ، وصيغ في ذب عربي إسلامي ، يكاد الناظر إليه — في حالات التأني الغايبي بوجه خاص — ألا يقدح في المواد الغربية التي شارك في تكوينه .

عود إلى موقفنا من النبوءة :

أبنا في الفصل السالف عن موقفنا من التشكيك المسمى ، وعرضنا لتحليل المادج التي سقناها شاعدا على صحة أساليبنا ، وحدود ما يصدق منها وما يبطل في منطق العقل ، وقتنا إن العقل العلمي يدعي نوع من النبوءة ، تستخلص فيه نتائج مجهولة من مقدمات معلومة ، على افتراض أن الحالة تدور مع معلومتها وجودا وعدما . وليس يسهل على هذا العقل أن يسمي بنتائج لا تسبقها مقدمات يقرها ، ومعلومات لا تترد إلى عقل « قريبة » يسهل عليه فهمها ، ومعارف لا تحصى ، عن طريق حسن أو فطر عقلي ، ومعنى هذا — إن جاز أن يكون مثل هذا العقل العلمي ، هو الحكم الوحيد في قضية النبوءة بالغيب — أنه سيقتضي لنا عكس ما انتهى إليه مفكرو الإسلام ، حين رمضوا التسليم بالصنم من أساليب التشكيك ، واستبعدوا من مجاله كل ما كان نتائج لمقدمات تجري قيامها ، وأدعوا للتسليم بالنبوءة الطبيعي الذي لا يحصى . صناعة ولا اكتسابا . . . !

ولكن الملحوظ أن التنبؤ الطبيعي ليس وحده الغريب على منطق العقل ، بل إن

في فنون الصنعي من التكهين ظواهر قد تنقص العقول عن إدراكها ، رغم أن بعضها يدخل في نطاق التنبؤ العلمي السالف الذكر ، من حيث إنها نتائج لمقدمات تسبقها ، ومعلومات اعلى تؤدي إليها ، فإذا يكون موقف العقل من مثل هذه الظواهر . . ؟
 أنكر صحتها استنادا إلى عجزه عن فهمها . . . كلا ، فإن من الحق أن يقال إن الظاهرة قد يستقيم وجودها ، مع الجهل بتفسيرها والقصور عن تعليلها ، وفي ذلك يقول فلاسفة الرواقية الذين أبلوا في الدفع عن التنبؤ بلامحتمل ، أن إنكار قيام ظاهرة ما ، اعتمدوا على عجز العقل عن فهمها ، يجرى عند من يجهل من المنطوقية أن ينكر جذب المنطوق للحديد وهو بره إيمانيه . . . ويبيح أن يعجز عن تعليل علاج الأمراض ببعض الحشائش ، أن ينكر أثر هذه الحشائش في شفاء المرضى ، وكم شهدت التجربة بصدق ذلك . . .

وهذا صحيح في نطاق العقل نفسه ، ولكن هل معنى هذا أن العقل مطالب - نسيا مع هذا النطق - أن يسلم بصحة ما يقصر عن إدراكه وتعليله . . ؟ كلا ، فإن بعض الذين أوتوا المهارة في الأناب ، (كالخوار ونحوهم) قد يأتون من الأناب والحيل ما يشير كل دهشة ، ونقد عن إدراكه المقول ، ومع هذا فإن بعضهم على الأقل - لا يدعي بأن أعياه التي يبدو أن تفسيرها ليس في متناول العقول ، أثر من آثار القوى الخارقة لنواميس الطبيعة . . فكيف فطالب العقل بمد هذا بأن يدعى للتسليم بصحة كل ظاهرة لا يتقوى على فهمها . . ؟ في الحق إن من الخطأ البين أن ينتهي الإنسان من قصور العقل عن التفسير والتعليل ، إلى القطع بالإلحار أو الجزم بالتأييد .

ولكن من الإنصاف أن نقول إن العقل ليس كل ما لدى الإنسان من أدوات

المعرفة ، وإن كان في رأينا أنها كلها جيمعا .. ! وإن صح هذا كان من حق الإنسان أن يتردد في الإذعان لبعض أحكام العقل ، وأن يترتب في إنكار الظواهر التي يحجزها العقل بتناهيها عن تفسيرها ، هذا إلى احتمال أن تنهيا له في مقبل الأيام قدرة تمكنه من فهم ما يحجز عنه في حاضره .. ! وتاريخ العقل أعدل شاهد على ما نقول .

ومعنى هذا أن تصور العقل عن إدراك ظاهرة ما ، أو تعادل السلب والإيجاب بصدد حكمه عليها ، لا يعبر القادى من ذلك إلى متابعة هذا التصور ، والاذعان لهذا المعجز ، والانتهاء إلى إنكار الظاهرة نفسها ، وإذا كنت قد كشفت للعقل سلطانته في علاج هذا البحث منذ بدايته إلى نهايته ، فقد ألزمت به المرجيح ، وأثبت عليه أن يتجاوز بحاله إلى نطاق اليقين ، رعاية خدش القلب ، وانفكاك لما يحتمل أن يترتب على أفراد العقل من شطط التقدير ، وما أضل أنى — وأنا أكبر العقل وأعتبره — أكل أدوات المعرفة إطلاقا — أنى إذا كانت إن من الخبير لم يجد من منطلق عقله ، ما يهديه إلى وجه الاطمئنان ، أن يترتب في إصدار حكمه . وحسب الإنسان في بعض الحالات وحى قلبه ، فربما كان هذا صدق من بحاجة العقل وجموح تأملاته .. !

فهرس الكتاب

صفحة

٣ - ٦

مقدمة :

٧ - ٢٤

الباب الأول : علم الغيب عند مفكرى الإسلام

١ - علم الغيب

علم الغيب من ٩ - علم الغيب لا يقبل الكشف ١٠ - علم الغيب عند صفوة البشر ١١ -
عامة الإدراك البشري ١٢ - اختلاف المفكرين في تفسير الوحي وإلهامه ١٣ - الأنحاء
الغيبية ١٤ - الأنحاء صوفية ١٥ - منابع هذه الأسرار : موقف القرآن الكريم ١٦ -
موقف اليونان والرومن من علم الغيب ١٧ - المعتقدون عند القرآن وغيره ٢٢ -
الاحتياط على علم ما ساء ٢٣

٢٥ - ٩٠

الباب الثانى : النبؤ الطبعى عند مفكرى الإسلام

٢٧ - ٣٩

١ - إدراك الغيب عند الأنبياء

أهم نبوى من ٢٧ - إمكان الوحي ٣٠ - نال النبوة ونسبة ٣٢ - منابع من
نبوءات رسول الله ٣٣ - القرآن وعلمه ٣٤ - بين الجن وعرفى هذه حدود ٣٦ -
منابع التكليم الإلهى فى الوحي : موقف القرآن ٣٦ - موقف اليونان والرومن من
الوحي ٣٨

٤٠ - ٦٧

٢ - إدراك الغيب عند أهل الكشف الصوفى وصمد إلههم

عازلة الولاية بالنبوة ٤٠ - لولاية دون النبوة ٤٠ - الولاية صو نبوة ٤١ - الولاية

أسمى من النبوة ٥٢ - ككش عند الصوفية ٥٣ - عوائق ككش الصوفي ٥٤ -
طريقة ككش عند الصوفية ٥٥ - ككش عند أهل الصوفى السرى ٥٧ - ككش
عند أهل الصوفى الإسرائى ٥٩ - موقف أبناء من الصوفية ٥٢
أشياء الصوفية من مترك ككش ٥٤ - إمر ككش عند المجان والبروعين ٥٤ -
إمر ككش عند الصوفيين من مرسى صوفية ٥٥ - إمر ككش عند الرضى والشرقيين
على الموت ٥٩ - مريع ككش الصوفى فى التراث القديم ٥٨ - موقف الحزب الإسلامى
من هذه آثار ٦٠ - ككش الصوفى فى تراث اليهود والرومان ٦١ - موقف الصوفية ٦١
الموسمية واللاهوتية الحديثة والقديم ٦٢ - ككش الصوفى ٦٣ - فى تراث الشرق
القديم ٦٤ - أهل ككش من تجيب والرمى ومن الإله ٦٥

٩٠ - ٦٨

٣ - الرؤيا الصادقة

علاقة الرؤيا النبوة والولاية ٦٩ - مرعب مكرين فى صور الرؤيا ومثلها ٧٠ -
الأنباء الصوفى ٧٩ - لا علم صوفى فى صورة ومثلها ٧٥ - مدونة الأدب بأشياء وحى
الحق ٧٨ - تولى رؤيا ٨٩ - تخرج من رؤيا مدونة ونحوها ٨٣

الباب الثالث : فنون الشكرين المعنى عند مفكرى الأسلام ٩١ - ١٦٣

فنون الشكرين المعنى ٩٣

١٠٢ - ٩٣

١ - علم الكبرياء

آفاق الكبرياء ٩٣ - أصل كبرياء ٩٦ - صفة كبرياء بالسوة ٩٧ - مراتب الكبرياء
١٠١ - تخرج من الكبرياء ١٠١

١٠٨ - ١٠٥

٢ - علم المرافة

جدعا ونحوها عن الكبرياء ١٠٥ - تخرج من المرافة ١٠٨

٣ — علم النال والطيرة والعيافة ١١٠ - ١١٥

النال والطيرة ١١٠ - من نوبة ١١١ - من وطيرة من نوبة وإشكار ١١٢ -
سنة الزجر ١١٥

٤ — علم أمثال النجوم ١١٦ - ١٣٥

علم النجوم ١١٦ - من نوبة ١١٧ - في نوبة ونوبة ١١٩ - طيرة ١٢٢ - علم
النجوم من أمثال ونوبة ١٢٣ - علم النجوم من نوبة ونوبة ١٢٩ -
النجوم في نوبة ونوبة ١٣٢ - نوبة ونوبة ١٣٥

٥ — علم الفرائض وأشباهها ١٣٦ - ١٥٢

ماهيتها وآثارها ١٣٦ - نوبة ونوبة ١٣٧ - نوبة ونوبة ١٣٩ - نوبة ونوبة
نوبة ونوبة ١٤٠ - نوبة ونوبة ١٤١ - نوبة ونوبة ١٤٣

٦ — علم السحر ١٥٣ - ١٥٨

موسوعة ١٥٥ - مكا في مكا في نوبة ونوبة ١٥٨

٧ — موقف أهل الشرع من العلوم السالفة ١٥٩ - ١٥٦

٨ — موقفنا من التكرين المعنى ١٥٧ - ١٦٣

٩ — كلمة أغيرة ١٦٣ - ١٧٠

النبي بالحب بين منكري لإلهه وملائكة نبوته والرومان ١٦٤ - نتائج النوبة في
مصادر الأمانة ومركز الاستجابة ١٦٤ - عودة إلى مومنان النوبة ١٦٨ - فوس
الكتاب ١٧١ - كتب النوبة ١٧٤

كتب للمؤلف

- ١ — التنبؤ بالغييب عند مفكرى الإسلام — صدر فى سلسلة مؤلفات الجمعية الفلسفية .
فى أكتوبر ١٤٠٥
- ٢ — الأحلام — بحث مقارن : جاز امتحان الدكتوراه بترتبة الشرف انمنازة فى مايو سنة ١٩٤٣ وقامت بنشره مكتبة الآداب .
صدر فى آخر سبتمبر ١٩٤٥
- ٣ — الشعراى : إمام التصوف فى عصره — صدر فى سلسلة أعلام الإسلام .
(للجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية)
صدر فى أغسطس ١٩٤٥
- ٤ — الفلسفة والإلهيات Philosophy & Theology ترجمة عن أ . غليوم ،
نشرت مع التعليق عليها فى كتاب تراث الإسلام The Legacy of Islam
الذى قامت بنشره لجنة الجامعيين لنشر العلم .
صدر فى أكتوبر ١٩٤٦
- ٥ — قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة — قامت بنشره لجنة الجامعيين لنشر العلم .
صدر فى نوفمبر ١٩٤٦
- ٦ — العلم بالغييب فى العالم القديم — لفيلسوف الرومان وخطيبهم «شيشرون» +
٤٣ ق . م Cicero قدمت الترجمة مع التعليق عليها ملحقا لرسالة الدكتوراه
السابقة المذكور .
(سيضع قريباً)
- ٧ — التصوف فى مصر إبان الحكم العثماني — بحث جاز امتحان الماجستير بترتبة الشرف فى يونيو ١٩٤٨
(سيضع قريباً)

مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

بشرط من مؤلفها، الدكتور محمد الزمراني، رئيس الجمعية - والدكتور عثمان أمين، سكرتيرها العام

بشرك فيها أعلام الباعثين في الفلسفة والادب بمجموع، تستأنف الرغبة العلمية في الشرق وتجعل مسائل الفلسفة في متناول الجميع، ضرورة لكل متقف وباعث .
ظهر منها :

- ١ - فيلسوف العرب والمعلم الثاني : لمعالي الأستاذ مصطفى عبد الرازق باشا
رئيس تحرير الجمعية ووزير أوقاف
- ٢ - الأسرة والمجتمع : للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي
أستاذ الحقوق بكلية الآداب
- ٣ - شخصيات ومذاهب فلسفية : للدكتور عثمان أمين
مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب
- ٤ - الحياة الروحية في الإسلام : للدكتور محمد مصطفى حنفى
مدرس الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية الآداب
- ٥ - الملامية والصوفية وهل الفتوة : للأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفي
رئيس قسم الفلسفة بجامعة داروق
- ٦ - التصوف وفريد الدين العطار : للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزيم
عميد كلية الآداب بجامعة الأزهر لأول
- ٧ - السقراطية والجزء : للأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي
أستاذ الحقوق بكلية الآداب
- ٨ - التنبؤ بأخيب عند مفكرى الإسلام : للدكتور توفيق الطويل
مدرس الفلسفة بجامعة داروق لأول

5
401 US







LIBRARY OF CONGRESS
DUPPLICATE



COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



0047126364

51 1434

178 139

Orien

Arab

AX